

جميلة العلياي

تقدم

من أجل الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْإِسْلَامِ

إِلَى

من أحب الله
ومن أحب الله

الفصل الاول

فى اسوان على مقربة من السد العالى يقم لفيف من العمال تحت إشراف المهندس (ناير) لتنفيذ مشروع جديد لتعمير هذه المنطقة ويمر رجل نوبى وعندما يواجه المهندس يسأله بعد أن يحييه بتحيةة الاسلام :

ماذا يعمل هؤلاء يا أخى ؟

فيجييه المهندس : ألسن من أبناء هذه المنطقة ؟

فيجييه النوبى : لا أنا من واد بعيد ولطالما تمنيت أن أقيم هنا لولا أن أبناء هذه المنطقة لا يسمحون لأمثالنا الإقامة هنا خشية مقاسمتهم مواد الغذاء والمسكن وليس هنا فائض لنا ..

فيربت المهندس على كتفه فى رفق قائلاً : " سيرحبون بكم لوفرة الخير الذى سوف يعم المنطقة •

وبلهجة الابتهاج يقول النوبى : لا شك ان الله سبحانه رضى عن أبناء هذه المنطقة بعد أن عاشوا تحت سيطرة الشيطان الذى اتخذ مالك هذه المنطقة وسيلة لخضوع الانسان له .. فحمدا لله الذى ظهر هذا الوادى من الذل والعبودية وظلم الانسان لآخيه الانسان وبعد أن يحييه يقول سوف أنقل لأبناء وادينا هذه البشرى لنترقب الغد الذى يحمل إلينا الخير المقبل من قبل الله تعالى •

وعندما يتحول المهندس نحو العمال قائلاً : أسرعوا فأمامنا طريق طويل سأذهب لأرى ماذا تم فى الناحية الأخرى وفى طريقه يترامى إليه صوت أنثى تنشد تسير مع جماعة من البدو راكبى الجمال وقد توقفوا ليشاهدوا ما يقوم به العمال فتهرع الفتاة مقتربة من العمال لتخاطبهم ينشدها :

قد صحت روحى على نور الهدى
تستشعر الايمان رمزا للهناء
سبحوا الله ان تستتم بناء
واحمدوا الله قد لاح الضياء
ارفعوا الأعلام فوق الراسيات
عند هذا النيل رمزا للولاء
عمروا الصحراء يا أسد الورى
كم ضحايا سجلت سفر الفداء
أيها الأبطال يا رسل السلام
انتموا رمز الجهاد الأوفياء
يا جنود الله قد بان الضياء
يبعث الآمال تزهو بالرجاء
فانتشروا الايمان لحنا واهتفوا
واسكبوا الدفء بأفاق العراء
ايقظوا العرب وقولوا اننا
نحن يا عرب خلقنا للإخاء
نحن لا نخشى الزئير اذا دوى
انه فى أذتنا صوت العواء

سوف نمحو كل فاسد من هنا
كل من جذبته أضواء الشقاء
حسبنا الله نور عيوننا
حسبنا الله وحى الأتقياء
يستوقفها المهندس فيبدو عليها الارتباك والحياء وهو يسألها :
ما علمك هذا الشدو الجميل يا صبية ؟
فتواري وجهها بخمارها وهي تقول : أمى ..
فيقول : أهى شاعرة أو مطربة ؟
فتقول بعد ان تضحك بغير صوت : انها الأم لنا ؟
فيدهش وهو يقول : أهى جدتك ؟
فتقول : أنها الأم الكبرى لى ولك ولكل الكائنات ملهمة الشعراء
والعلماء والفنانين وكل من ينتسب الى هذه الأرض ولو أنك ولدت
وعشت هنا لقلت أكثر مما سمعت منى ..
فيهز المهندس رأسه فى أعجاب قائلاً : تعنى الطبيعة .. معك
حق إنها أمنا فعلا !
وهنا تقاطعه : وماذا يفعل هؤلاء ؟
فيجيبها نحول الأرض القفر الى جنة خضراء • واتمام الأساس
الذى وضعه جمال عبد الناصر رحمه الله متحديا بعزمه وإيمانه قوة
الغرب •



فتترجل لتعود الى والدها الراكب على الجمل الذى كانت تركبه
وتخاطبه قائلة دعنى هنا لأشترك مع هؤلاء فى العمل ليكون لنا الحق
فى قطعة أرض هنا نبني عليها مسكنا لنا بدل أن نظل هكذا نعيش فى
صحراء قاحلة بلا مأوى •

فيقاطعها الوالد : يا ابنتى كيف أتركك وسط هؤلاء الغرباء ؟

فتقاطعه : انك تتركنى مع الله أنسىت أننى أعيش معه فى أى مكان •
إذهب لأن صحتك لا تساعدك على العمل وسوف ألحق بك فطمئن أُمى

ويتأثر المهندس من اصرارها فيخاطب والدها : اطمئن يا والدى
ودعها فى حماية الله وحمايتنا •

فيهز الوالد رأسه متأثرا مخاطبا ابنته : إنك إذا أضرت على أمر
لا يثنيك عنه غير الله .. ويبدو أن الله أراد لك ذلك فلنكن مشيئته
ولكن حاولي أن تطمئني أمك بعد حين ..

وينصرف مع الجماعة وتأخذ الفتاة مكانها مع العمال على أمل
أن تعمل ولكن المهندس يستوقفها قائلاً : انتظري ريثما أهيبك لك عملا
يناسبك في حين يقول بصوت لا يسمعه سواها :

حديثها سحر يتكلم لقد سباني كلامه

كأنه آى منغم حرك في القلب هيامه

يمر بهم مصور يعجبه المشهد فيستأذن المهندس ليصوره فيأذن
له قائلاً : هاهى أسوان بعد أن شملت النهضة المباركة والتعمير الحديث
أصبحت فى مستوى أرقى البلاد السياحية بل تتفوق بالشمس التى
لا تغيب الا اذا حان رحيلها باذن الله ♦

وعندما تلمحه الفتاة تقترب من المهندس قائلة :

هناك رأيت البارحة صادى الطيور الجارحة

متى يصيد رجالنا ذئاب الليالى السارحة

فيسألها : أى ذئاب تعنين وقد قضينا عليهم منذ حين ؟

فتقول : لم يزل للأعداء بقية تتسلل الى وادينا بدعوى حماية
الوطن من الفقر والحرمان والله يعلم أنهم رسل الشيطان ليهتكوا
حرمة الدين تحت شعار أنهم سادة البلاد .. ♦

فيدرك المهندس ما ترمى اليه ويقول دعى الخلق للخالق فالله
كفيل بحماية الوطن من كل سوء .. فلنعمل مرضاة لله وهو حسبنا ♦

وهنا يقترب منه المصور ويسأله : ومتى ينتهى هذا العمل ؟
فيطرق المهندس دون كلام ثم يرسم على الأرض لوحة كأنه
يصمم خريطة الغد والفتاة تتأمله قائلة :

كأنه يدرى النجوم وأحوالها

وليس يضيق عليه سبيل —

وقد صدقته الرؤى والخيال

ورسمه هذا بشير الدليل

وتتظر إليه فى إعجاب مردفة :

من وحى ربي يستمد

نور الكفاح المستجد

وهنا ينظر اليها المهندس مبهورا قائلا :

لقد عرفت الله يا غادة فهذا اللحن أوراده

وعندما يقترب منها المصور ليصورها تبتعد عنه وتخفي وجهها

بيديها قائلة بلهجة الغضب : التصوير حرام •

فيقول المصور : لو كان حراما لما امتلأت الصحف بصور قادة

الاسلام •

فيقاطعه المهندس : علما تعنى تصوير المرأة ومع ذلك فهناك

نساء فضليات شريفات وزعيمات طاهرات تنشر صورهن كرائدات

للدعوة الى اعتناق المثل العليا وعمل الخير والاصلاح وموقفك الآن

كموقف احداهن •

فى هذه اللحظة يغافلها المصور ويصورها وعندما يلحظ ذلك أحد

العمال يقول لها لقد صورك وسوف تنشر صورتك مع صور البنات

العاريات •

فتصرخ محاولة أخذ الكاميرا منه قائلة : هات الصورة والا حطمت
هذه الآلة وتقبض بعنف على الكاميرا ♦

ولكى يهون عليها المهندس يخاطب المصور باللغة الانجليزية
فيفهم المصور ما يعنيه فيدير الفيلم دون أن تشعر ويقول : لم استطع
تصويرك لأنك تحركت وتكلمت ♦ ويفتح الكاميرا ويعرضها عليها
قائلا : انظري هل بداخلها صورتك ♦

وعلق المهندس : إطمئني ومادمت لا ترغبين فلن يصورك ♦
ويخاطب المصور هيا معي لتصور الانجازات التي تمت ♦
وقبل أن يرافقه يقول لها : بارك الله فيك انك قدوة حسنة لبنات
جنسك ♦ فيعقب المهندس :

فعلا إنها مثلا طيبا لأنها مؤمنة صادقة ♦
فيقول المصور : حقا انها جديرة بالحب ♦
وكان كلمة الحب نبهت المهندس ♦ فيسرح مليا دون أن يتحرك
فينبذه المصور قائلا : فيم السروح يا أخي ؟!

فيقول المهندس : لا شيء ♦ ♦ تذكرت أمي وأسرتي :
حرمت رحيق الحب في رونق الصبا
ولاح محيا الدهر غير جميل
أتضحوا أماني القلب بعد سكونها
وتحلو ليالي الأئس قرب خليل

فتقول الفتاة بلهجة الإعجاب : أمهندس وشاعر ؟!
فيقول : اليست الهندسة قافية بالخطوط كأنها كلمات ؟
فيقاطعه المصور : لقد ذكرتني بقول شاعرة تقول :

قد يورق الزهر بعد أفول
ويصحو القلب بعد ذهول
ويكسو الكبرياء ثوب تضرع
وصوت الوجد لحن أصيل
حقا لاح الضياء إلى
وبات قلبي يهفو إليه

فيصفق المهندس في اعجاب قائلًا : كأننا في ندوة شعرية •
وتلمح الفتاة الشمس وهي توشك على المغيب فتقول للمهندس :
يجب أن اذهب الآن لأطمئن والدتي وسوف أعود غدا ان شاء الله
وتتجه الفتاة نحو طريق العودة الى دربها فيلمحها الاقطاعي في المنطقة
فيسير خلفها وبجانبه أحد أتباعه فيخاطب الاقطاعي نفسه : ها هي
ذات القلب العصي •• وباهجة المغيظ يردد :

أتهوى ذلك الراعي الفقير وتجفوني أنا المثرى الشهير
فيجيبه التابع :

تمهل يا عظيم لعل شيئًا بهذا الأمر قد ضل الشعور
يقول الاقطاعي : لا داعي للتسلية الآن عندما يفتح التابع
الذياع الذي معه •

فيجيبه التابع : أنه حديث ممتع لأكبر داعية للإسلام فضيلة
الشيخ محمد متولى الشعراوى ان حديثه ينقلنا الى عالم ننسى فيه
كل شيء الا الله •

وبصوت جاف يقول الاقطاعي : هل أصابك مس من دعوة هذا
الشيخ •

في حين تقول الفتاة بصوت يبلغ مسمع الاقطاعي :

فتبها للثرى وكل لاه
وكل من يجد الثراء لديه
ويمر بها الراعى فلما يسمع كلامها يتغنى على نايه :
أيها الشادى الحان القلوب
طال ليلي ونهارى فى انتظارك
أى وربى كدت من وجدى أذوب
وفؤادى لم يزل رهن اسارك
فمتى يا حبيب القلب أحظى بلقائك
ومتى القاك دوما باختيارك
ليس لى صبر ولا قلب يتوب
ها أنذا .. قد اصابتنى نبالك
وهنا يختطف الاقطاعى المذيع من تابعه مغيرا القناة فيترامى
اليه صوت الرئيس حسنى مبارك وهو يشرح للشعب أحداث الساعة



وبصوت الناقد يقول : لطالما سمعنا ♦♦ وسمعنا من الرئيس السابق
دون جدوى ♦

فيقاطعه التابع : وما عسى ان يفعل الرئيس تجاه شعب تناوشه
الاضاليل ليل نهار ♦♦ الله معه ♦♦

وعندما يلمح الاقطاعى الراعى وهو يسير خلف الفتاة وعندما
أن يقترب منه يستوقفه مخاطبا بلهجة الكبرياء : أهذى صناعتك تثير
الألم ؟ فيرمقه الراعى فى احتقار قائلا ولم لا أداوى الجراح بلحن
الامل ؟

فيغطّظ الأقطاعى ويلوح فى وجهه بيد التهديد : انك عاطل خطر ♦
فبييتسم الراعى ساخرا قائلا : ولم لا أكون كنور البصر أهيب
بغيرى لرفع الضرر ♦

فيتكلف الأقطاعى الهدوء وهو يقول : هل أنت من بلد بعيد
أم أنت من هذه الناحية ؟

فيجيبه الراعى :

لا بل أعيش كما أشاء

وحيث تسعد ذاتيه

انى جهلت منى الحياة

ولست أفهم ما هيئه ؟

وهنا تحاول الفتاة أن تبتعد عنهما دون أن تولى الاقطاعى أى
اهتمام وتتنظر الى الراعى نظرة عطف ولم تكذ تسير فى طريقها حتى
يتبعها الاقطاعى محاولا ان يستوقفها قائلا : الا تسمعين نداء قلبى ♦
تعالى فأنت الآن فى دربى ♦

فتنظر اليه شذرا وتتحنى عنه قائلة من قال أن بناب العرب
تألف أساليب الكذب •

فيقول بلهجة التحدى : ليس أمامك غير طريقى المرتقب •

وبصوت فيه إصرار الإباء تقول : " خدعك شيطان الشراء المعتصب
وتعرض عنه غير آبهة فيتبعها والغيظ يملكه مشيرا الى تابعه لكى
يختطفها فيتكلف التابع الاستجابة لطلبه متعمدا أن يتلكأ ريثما تطرق
الفتاة باب دار وتدخل في عجلة ويتبادل الاقطاعى حديثا هامسا معه
فيطرق التابع باب الدار فتخرج امرأة عجوز فيبادرها : دخلت عندك
الآن صبية •

فتجيبه : تعنى حفيدتى زكية •

فيقول التابع : سيدى صاحب هذه المزرعة يريد أن يتحدث اليك
بشأنها ••

فتقول له بلهجة صارمة : قل له حفيدى لا يخشى غير الله ولن
يتردد فى قطع رقبة من يحاول الاتصال بها •

وعندما ينقل هذا الحديث الى سيده ينفذ صبره ويأمره أن يقتحم
الدار ويفتشه ولو تطلب الأمر القبض على صاحب الدار • ولكن
العجوز تحول دون دخوله فى عنف واصرار وهى تقول : أتريد أن
تلقى مصرعك •

ويضطر الإقطاعى ان يتدخل وقد اصطنع الهدوء مؤنبا التابع
على سوء تصرفه ثم يعرض على العجوز المال الذى تريده مقابل أن
يتحدث إلى الفتاه ليعرض عليها العمل فى قصره كمديرة بدل أن تعمل
عاملة مع العمال •

فتضحك العجوز ساخرة كأنها قبلت العرض وتقول : فتش الدار
إذا وجدتھا حدثھا بما تريد على أن تتقدنى الآن المبلغ الذى يلائم
تضحيتى لاننى أعرض نفسى الى القتل لو علم حفيدى ♦♦

وقبل أن يفتش التابع الدار يذهب الى قصر الاقطاعى لاحضار
المال الذى طلبه من سكرتيه وبعد عودته يبحث عنها فلم يجدها وهنا
يشند حنق الاقطاعى فيكلفه برد النقود من العجوز وأن يقوم حارسا على
الدار ولكنه لم يجد العجوز أيضا ويعجب كيف خرجت دون أن يراها
ويؤكد التابع بأنه ليس فى الداخل منافذ يمكن الخروج منها فيأمر التابع
بأن يعثر عليهما بأى وسيلة ♦ فيقول التابع : سأصحب رفاقى ونفتش
جميع الدور ♦

فيقاطعه الاقطاعى : بئس التصرف يا مغرور أظن الدور تفتح
لك بسهولة ♦ أتريد أن تحدث مذبحة بين رجالى وأهل هذه المنطقة
وهم من العمال ♦

فيقول التابع : سنوهمهم بأننا نبحت عن هارب شرير لص محتال
وهو من العمال ♦ وذلك بأمر من الشرطة ♦ فيقول الاقطاعى : سوف
تحتجب النسوة ولن تتمكن من رؤيتهن مهما حاولت بأسلوب
شيطان قادر ♦

وبصوت خفيض كأنه يناجى نفسه يقول : يا لها من صبية
كأنها حورية خرجت من الجنة ولبست مسوح جنيه ♦ ولم يدر أنها
خرجت من مخبأ تحت الأرض مع العجوز إذ كان رب الأسرة أعد لحمايتهم
عندما قامت الحرب ♦ وفى الواقع لم يكن البيت بيت هذه الفتاة ولكنها
لجأت لمن فيه لحمايتها ♦

الفصل الثاني

تظهر الفتاة (هبه) تسير في طريق دارها فإذا لمحت أى مار
اختفت خلف الأشجار الكثيفة بحيث لا يراها أحد وفجأة سمعت صوت
الراعى فنتجه صوب الصوت فى حذر بحيث تراه ولا يراها اذ كان
جالسا فوق جذع نخلة يبدو أن صاحبها كسرهما لانها لا تثمر وهو
يصفر على نايه أنا ويتغنى بصوته أحيانا كأنه يخاطب من يهواها :

ها هنا تحيا عروسى

ها هنا لاح الغرام

ها هنا بين ضلوعى

نار أشعلها الهيام

نيت يا مالك روحى

تدرى بأنى المستهام

هل ترى تدرى بأنى

صرت لحننا للغرام

وغدا قلبى خفوقا

وعيونى لا تنام

سقى لنا أى حديث

سقى لنا أى كلام

كل ما قلت شـهى

فيه سحر للأنام

كل ما فيه جلال

ليس ما فيه حرام

أضرم الوجد فؤادى
آه ما أحلى الضرام
لست أخشى الصد لكن
من أفويق الشذا نبع الوجود
غير أنى بت أخشى
لحظك الرامى السهام

ثم يعود إلى الصغير على نايه بأنعام معبرة عن نشيده بينما تتحرك
(هبه) متجهة صوبه .. ولكنها تلمح تابع الاقطاعى يتجول كأنه يبحث
عنها فتراجع لتختفى ريثما يغيب التابع عن ناظرها فى حين تلمح
الراعى يسير صوب السد فتتبعه وهى تتغنى بصوت رخيم خفيض لخلو
المطريق إلا منها ..

لو جئت ربى قلت ربى إننى
عبد رجوت الخير نهلا الوجود
ليتنى أستطع اشباع الورى
من أفويق الشذا نبع الوجود

أى وربى ما رغبت سوى الحياة وفيرة الخيرات من كنز الخلود
سوف أدعوا الناس تحيا ها هنا تستقى الإحسان صرفا وتجد
وعندما يصل الراعى إلى مقر العمال يتقدم إلى المهندس قائلا :
أيمكن أن أعمل مع هؤلاء لأشعر أننى أديت خدمة لوطنى •
فيجيبه المهندس بلهجة تتم عن ارتياحه لهذا العرض ويقول :
غدا تطلب منك الحياة الكثير من العمل والجهد وفقا للنهضة التى سينعم
بها هذا الوادى •

ولم تكذ الفتاة (هبه) تصل إلى العمال حتى تطالب من المهندس بعد ان تحييه أن يحدد لها العمل الذي ستقوم به فيكتسب وجهه بالبشر ويقول : اليوم لا عمل لك .. لأن العمل اليوم لا يمكن القيام به إلا بواسطة الرجال الأشداء حتى الشباب في مثل سنك يصعب عليهم تنفيذه وغدا إن شاء الله قد يمكنك مشاركة الشباب في عملية تناسبهم وستكون مهمتك رصد أجور العمال وأظن هذه عملية سهلة وتناسبك اللهم إلا اذا كنت لا تميلين إلى ذلك • ففتقول فعلا انها عملية سهلة وتناسبني • شكرا لك والله أدعوه أن يباركك ويوفق العمال إلى تحقيق ما تصبو اليه لخير البلاد • ثم تحييه وتنصرف • وفى طريق عودتها لمحها الاقطاعى وكان يتمشى وحده وقد غمره أسى لا يعرف مبعثه لاعتقاده أنه قادر على تحقيق كل ما يتمناه وتأثره بتلك الفتاة لم يألفه من قبل تجاه أى أنثى أعجب بها فماله الآن يستشعر بذلة وخضوع تجاه تلك الفتاة كأنه الأسير لديها ولم يعد يشغله غير التفكير فيها حتى عمله الذى جاء من أجله فى هذا الوقت فى كل عام لم يعد يفكر فيه وكلما حاول أحد الموظفين أو العاملين فى دائرته الاتصال به لعرض نتائج أعمالهم الذى سبق أن كلفهم بها • • أجل لقاءهم ولم يكن يعرف سر عزوفه وانطوائه غير تابعه وكاتم أسرارهم الذى حاول أن ينصحه بترك تفكيره فى هذه الفتاة ويعيش كما كان فى مرح وسرور غير آبه بما يدور حوله من أحداث جسام فيها ما ينذر بالخطر الذى يحتمل على أن يقع على هذا الوطن دون انذار بسبب من خرجوا على دين الاسلام بدعوى أنهم أصحاب الدين الصحيح الذى يحرم تعليم المرأة ورؤية السينما والتلفزيون والخضوع المطلق لرجل أقام نفسه أميرا على هذه الجماعة التى يوجهها للنهب والسلب وترك دراستهم حتى من بلغوا آخر شوط فى التعليم كطبيب أو مهندس • أو مدرس • • وكان التابع يتكلم

ما تتحرك
أنه يبحث
عن تلمح
يض لخلو

الخلود
تجود

قائلا :

ويقول :

سينعم

مصورا تلك المأساة في حين أن الاقطاعى لآه عنه فى التفكير فى تلك الفتاة وكأنه لم يسمعه ..

وفى اليوم التالى بينما العمال يعملون فى جد ونشاط منذ الصباح كان الاقطاعى يتمشى وحده يفكر فيما لا يعلم غير الله وكأن قوة سحرية جذبتة إلى منطقة العمل فى السد فى حين أنه لم يحاول من قبل الأهتمام برؤية هذا العمل (وهبه) تشجعهم قائلة :

أليس العمل فى الدنيا يحاكى

كفاح نبينا راعى النضال

تبارى الله اكسبه جلالا

ليعلمنا محاربة الضلال

فيعلق أحد العمال قائلا : ومع الأسف ليس هنا من يقدر جهد العاملين غير من مارس العمل منذ طفولته أو عاصر والده الذى ينتسب إلى طبقة العمال — فهنا مثلا — علمت أن هذه المزرعة يملكها اقطاعى وحده يعيش دون أن يبذل أى جهد فى سبيل وطنه ولا يعطف على الفقراء والساكنين الذين يفترشون الأرض ويلتحفون السماء ليخفف عنهم عناء الجهد أو يدفع عنهم غائلة الفقر — إلى حد — على الأقل • فتهاز (هبه) رأسها علامة الموافقة وتقول لو نشأ فى بيئة عمل لقدر العمل فماذا تنتظر من ربيب الثراء الذى لم يعانى حرمان الفقير آنا وألم المريض الذى لا يجد ثمن الدواء والمظلوم الذى لا يتف بجانبه من يدافع عنه لأنه لا يملك أجره ولو كان من أصحاب الأعمال المؤمنين الذى يعمل من أجل خير الآخرين لارتاع مما يعانيه غيره من جشع تجار الإفك والضلal •

وهنا يكون الاقطاعى قد وصل إلى مكانهم واستمع إلى حوارهم دون أن يظهر فإذا بالغیظ يدفعه لمواجهة قائلًا : لأول مرة أسمع صبية فى مزرعتى تتكلم كأنها راعية للعمل والخير .. وأنا على استعداد منذ الآن أن أعمل وفق توجيهك وليكن المهندس شاهد على • فقالت فى جد وحرصانة : أيمكن أن تمسك الفأس هكذا ؟ أيمكن أن تحمل الرمل والزلط على كتفك هكذا • أنك رجل لا تتقل حيوية وقوة عن هؤلاء بل قد تكون أقوى منهم فى المظهر ولكنهم أقوى منك فى الجوهر • أنت قوى بمادتك وهم أقوىاء بأرواحهم التى تمدهم من قبل الله بقوة تفوق قوتك • أنهم لم يتعلموا ولكنهم اعتنقوا أسمى المبادئ كأن هذه الرمال كتب مخطوطة لا تطالعها غير بصيرة القلوب على ضوء أرواحهم فتفتحت أذهانهم وقرأوا ما يصعب على مثلك قراءته لأنها كلمات صيغت من حروف كلمات الأرض أنا وكلمات السماء أحيانًا عندما ينتجه هؤلاء إلى رحمة الله ليمدهم بقوة من عنده زادها الايمان الصرف واليقين الثابت وهذا كله ذخيرتهم يوم يرحلون إلى الخالق فيلقاهم الله قبولا حسنا بما قدمت أيديهم من جهد وما لاقوه من معاناة فى الحياة مع الصبر والاحتمال وقوة الايمان • اما أنت فماذا تملك • لا شيء • • غير المال فى خزائنك وهذه الأرض التى تدر عليك ربحا هائلا لا ينتفع منه سواك • ويوم ترحل • لن تأخذ معك غير لفافة من القماش توارى جسمائك شأنك شأن أى فقير لا يملك فى الدنيا أى شيء • • حاول أن تفكر فى مصيرك هذا ؟ وحاول أن تفتح قلبك لتستقرى لغة هذه الأرض أنا ولغة هذه السماء أحيانًا لتعرف قدر نفسك وحقيقة أمرك • • وأنت لا تمتاز فى الحياة عن الحشرة التى تدب على الأرض بل هى فى الواقع تؤدى رسالة كما خلقها الله لا يدركها غير من تخصص فى دراسة الحشرات ثم تقول فى استخفاف :

فى تلك

الصباح

سحرية

الاهتمام

در جهد

يفتسب

القطاعى

الفقراء

هم عناء

(هيه)

لماذا

المريض

فقد عنه

لعمل

الإفك

ضيعت عهد وطن لخيرك حافظ

لو يشتكى لأثار فيض دموعك

ثم تتحول عنه لتلحق بالمهندس الذى رأته يشرف على العمال
ولكنه يستوقفها قائلاً :

يا ليت شعرى هل فى الحب من باسى

أو هل حرام اذا طاوعت احساسى

يا ساكن القلب رفقا اننى رجل

لم يبق منى سوى آثار أنفاسى

وأنت الذى لو رضيت به

روحي فداك وان لم ترض يا قاسى

فتتظر اليه فى استعلاء قائلة : جميل أن تستشعر بالحب لكن حوله
إلى من حولك لكى تهتدى إلى طريق الخير والسداد فتسهم مع هؤلاء
المكافحين فى بناء دولة الحب والسلام • وهنا تلمح نار مشتعلة هرع
اليها المهندس فنتجه صوبها وعندما يصل المهندس اليها يصرخ من أوقد
هذه النار فيجد الراعى يشوى عليها السمك قائلاً : أريد ان اعد غذاء
للعمال لأن الله وفقنى واصطدت من أجلهم هذا الغذاء فيربت المهندس
على كتفه قائلاً : أن صيد السمك رياضة جميلة محببة وهأنت جمعت بين
الخير لك والخير للآخرين إنى أهنتك • وتعلق (به) مخاطبة الراعى :
لقد علمتك الطبيعة علما جديدا • علمتك الطرب والشعر وحب الآخرين
وهذا هو الحب فهنيئا لك يا ابن الطبيعة • ويعلق المهندس : لو اهتم
سكان كل منطقة بدراستها خصوصا أهل العلم والخبرة فيها لخرجوا
بنتائج عظيمة لا تضطرنا إلى العون الخارجى • ويعلق الراعى : حبذا
لو تحقق ذلك يا سيدى • • اعتقد أن الله كفيل بتحقيق ذلك •

وهنا يكون الإقطاعى قد وصل اليهم ليعرف مصدر النار فلما يخبره المهندس ينظر إلى الراعى قائلا : لك منى مكافأة عظيمة فاذهب الى الادارة لتأخذها وسوف تكون مبلغا كبيرا • فيقاطعة الراعى • • شكرا لك • • من أجل أخوتى فعلت ذلك فلا تضيع أجر ثوابى من الله • • فالمال لا قيمة له عندى ولكيلا يحول المهندس حوارهما إلى ما لا يريد لاختلاف تفكيرهما وخشية أن يسيء الإقطاعى إلى الراعى بكلمات تؤذيه • • غير مجرى الحديث قائلا : لا شك أن اسناد كل محافظة إلى محافظ من أبنائها لصلته الوثيقة ببيئته وارتباطه بأرضه منذ ولادته ومعرفته لما تحتاجه محافظته من اصلاحات عاجلة أو آجلة وتأثيره المباشر على أهله وعشيرته يساعد قطعا على تطوير محافظته وفقا للنهضة الحديثة ومطالب العصر الراقى وحل مشاكل الجماهير بالأعمال لا بالكلام • وهنا تلمح (به) الشمس وهى تتحول من مقامها فتعرف كما تعود أهل البدو الوقت فتحبى المهندس والراعى ثم تقول لابد أن أحمل الوقود لأمى وتنسير مسرعة وهى تجمع الاعشاب الجافة من الطريق فى حين يقول الراعى : أريد أن انتطوع فى الجيش لأخدم الوطن • فيقاطعه المهندس فى مقدورك أن تخدم وطنك فى أى مكان توجد فيه فهذه المنطقة فى حاجة إلى ألوف الأيدى العاملة لكى تكون وفق التخطيط • • والراعى مدرسة الصبر والأعتداد على النفس والأمانة والرحمة بدليل أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ حياته فى مستهل صباه الباكر يزعى الغنم فكن معنا اذا شئت لتكون من صانعى أسوان الحديثة عروس صعيد مصر دولة الاسلام الذى طاف بربوعها الأنبياء أنا وكلم الله موسى من سماء واديهها سيناء • فيمد الراعى يده ليصافحه قائلا : اعتبرنى من اليوم من عمالك وتحت أمرك فيربت المهندس على كتفه قائلا : بارك الله فيك وفى أمثالك ويمكنك العمل إن شاء الله عندما تريد • ويأخذ الراعى طريقه وهو يعزف على نايه أنا وينشد أحيانا :

الأمل لاح وليس لى
يارب غيرك من سند
إنى عليك قد اعتمدت
وأنت نعم المعتمد
وقصدت بابك لاجئاً
فاشمل بلطفك من قصد

ويمر به الإقطاعى فيقول : هنيئاً لك لا عمل لك غير الغناء يا خلى
البال • فيجيبه الراعى غدا إن شاء الله أكون من العاملين المخلصين
مرضاة الله ورسوله •

أليس العمل فى الدنيا نضال
يعود علينا بالخير المبين ؟
تبارى الله اكسبنا يقيناً
نصد به ضلال المعتدين

فيهز الاقطاعى رأسه تاركاً إياه دون تعليق ويتمشى سارح الفكر
حتى يلمح (هبه) وهى تجمع (الحطب) متنقلة من مكان إلى مكان
فيسرع الاقطاعى نحوها محاولاً ان ينبهها واقفا أمامها كالخاشع المبهور
لحظة ثم يخاطبها •• يتغنى بك كل من يراك وانت من تغنين ؟ وكل من
فى الوادى بك مولع وانت من تحبين ؟
هبه •• فى ابناء واحتشام قائلة :

قل للهواة العابثين
ما الحب حب للعيون
لن يعرفوا سر الهوى
أو ما يواريه الجبين

لن يدركوا نور السما
أو ما تخبئه السمون
ويح الأناس فانهم
جهلوا وجهلوا مبين
ظنوا العواطف تحت
أيديهم فياويح الظنون
ان لم يكونوا أدركوا
أسرار كون العالمين
فليسألوا الله عل الله
يمنحهم جلال المؤمنين
وبصوت الخاشع المتأثر بها يقول :
يا فاتحا قلبي بسيف الله رحمة
ماذا تركت اذا هدمت مثواكا
وبلهجة التحذير تقول :
شغلتك عن دنيا الإله هواجس
ونسيت أن النصر للأحرار
ونسيت أن الأرض تنتشد زارعا
يضع البذور ليبنى حلو ثمار
هون فان الله لا يجدى هنا
واسلك سبيل المؤمن المغوار
أنظر هناك ولا تمل من الرؤى
فالله أجرى الماء فى الأنهار

ماء يا خلى
الخلصين

روح الفكر
الى مكان
مع المهور
وكل من

ان شئت يا صاح حبا ها هنا
فانزع غشاء الوهم غير مواري
الحب يا صاح نبعا للهناء
ان كان حبا للصالح الجارى
وبلهجة التوسل والرجاء يقول :
حاولى أن تفهمينى لتسعدى بحبى ومالى ؟
فتجيبه بلهجة الجد والرصانة :
هبنى ارتضيت حبيبا
حظى من الدنيا رضاه
لا يشبع القلب المبطن
بالهوى غج الإله
أهـواه ان لاح لعينى
فى الضـيا أو لا أراه
ولقد زهدت ثراءهم
طوعا فزودنى عطاه
زعم الهـواة بأننى
ظبى تشير هوى الهواة
ان كان حقا ما أدعوه
فلست أهوى سوى الإله

تتنحى عنه لتتابع سيرها الى دارها وهو واقف شارد الذهن
لا يدري ماذا يصنع بنفسه وبها .. حتى ينبهه من شروده نداء تابعه
المكرر فلما سأله فى فتور ماذا يريد ؟ .. هاتف من القاهرة ؟ .. وبذل من

يسأله كعادته من المتكلم يهمس لنفسه لم تعد لى رغبة فى ملاهى القاهرة
أصبحت مشدودا بهذه الأرض ولم يعد لى قدرة على حل هذا الرباط
فما عساي أفعل ؟ لا أدرى ! • ويقاطعه التابع • • أتخاطبنى يا سيدى ؟
فينظر اليه فى حيرة ولا يجيب ، وفى اليوم التالى تشعر (هبه) برغبة
ملحة تشدها الى منطقة السد لتؤدى العمل الذى كلفها به المهندس
فتستأذن أمها بدعوى جمع الحطب كالمعتاد • وكان الإقطاعى استيقظ
مبكرا على غير عادته وراح يتمشى بالمقرب من دارها عساه يراها ولما
خرجت لم يثأ أن يشعرها بوجوده وتابعها فى حذر فلما بلغت مكان
العمال ولحت المهندس أقتربت منه لتحيه فرد تحيتها وقد شاع
على وجهه نور الفرحة وقال :

أوما رأيت الأسد كيف أنارا

وغدا تجىء ثماره مدرارا

فتنطلق شاعريتها الفطرية وتقول :

إنى رأيتك موهوبا تنيه به

هذى الأراضى فهنتى كل موهوب

يأتى المعالى بأفلاق مزودة

بالمجد دائبة فى صدق وتصويب

ترى الرجال بسوق الوهم أكثرهم

يسبى العقول بلا حق وتخريب

والعندليب اذا ما هزه طرب

يلقى الموشح فى سحر وتهذيب

فأين منا من يماثله

فى طهر عاطفة تنبى بتدريب

الذهن
تابعه
بدل من

وكان شاعريتها تسلفت الى مشاعر المهندس فأنتقل يقول :
لست أنسى طوال عمري الملتقى
يوم جئت النيل أثناء الأصيل
تائه بين أمان وهوى
وقفار زانها النخل النحيل
ظل نظري في رباها تائها
في صحارى البيد لا أرضى البديل
ومياه النيل تبدو حولنا
طيف خلد لاح يشدو للخليل
ترقص المركب رقصا كلما
ثارت به الأمواج أو راحت تميل
لم أعد إلا وقلبي مولى
بالغد المرموق أشدو وأقول
فتنتنى الجبال فى ألوانها
وبهائها كالزهر فى الأطواق
تتراءى كالباقات منها أحمر
دام كلون الخد فى إشراق
وأرى الصخر فى التماع وجوهه
قبل الشمس تبدو فى الأطارق
قفربات روضا عاطرا
يحكى لنا الحب فى إشفاق
قد بت فى ولهى به فى لهفة
حرى وتلك طبيعة العشاق

ويتأمل الطبيعة حواليه مرددا حمدا لله بينما تقول (هبه) :

كأن الله الهمك الغرام

فلولا الحب ما كنت المرید

وهيأك الإله لهزم خصم

وبالعزومات لان لك الحديد

تسكت عندما تسمع أحد العمال يناديه .. انتصرنا .. الحمد
لله ازلنا الصخر .. فتبادلهم الحمد وتسال المهندس .. انا على استعداد
لكى اقوم بالعمل الذى كلفتني به . فيقول : لم يحن الوقت بعد وسوف
اكلفك فى الوقت المناسب . فتتسحب راجية ان تحين الفرصة لتقوم
بهذا الواجب متطوعة لوجه الله وبعد أن تقطع شوطا فى الطريق يترامى
ليها صوت الراعى يغنى بمصاحبة نايه فتتوقف لتصغى اليه .

عللينى بموعده عليينى

فاض وجدى وحرقتى وحنينى

واخبرينى متى أراك بقربى

رب يوم وعدت فيه تفينى

انما الوعد يشرح الصدر ويشفى بعض دائى ولوعتى وشجونى

ويعيد الرجاء لقلب فآه

لغرام بين الضلوع دفين

قد دفنت الفؤاد هيا بصدرى

ورثيت الفقيد رغم يقينى

وبيينا (هبه) مأخوذة بسحر هذا الصوت تفاجئها صبية من لداتها
قائلة .. أسمعت صوت الشادى كم أنا معجبة به وانت ؟ وتدرى (هبه)
من لهجتها وتعبيرات ملامحها أنها مغرمة بالراعى فتقول : فعلا إنه يستحق
الاعجاب يا أختاه ولكن صارحينى أتجبنى الصوت وحده أم فتقاطعها
الفتاة .. لولا الراعى لما كان الصوت فتبتسم (هبه) قائلة .. معك
حق .. ولكن اتراه يعرف ذلك أعنى هل رأيته ؟ فتقول الفتاة بلهجة حزينة
.. كلما دنوت منه ابتعد عني متشاغلا بالمرعى أنا بالنأى أحيانا فتتألم
(هبه) من أجلها وتترفق بها قائلة .. لا تيأسى يا أختاه .. فقد
يستشعر بك حتما مادام حبك صادقا فانهم يقولون من القلب الى القلب
رسول . فتتظر اليها الفتاة وفي خبث تقول .. اذن فأنت تحبين من
يجبك ؟ وتدرى (هبه) من لهجتها ونظراتها ما ترمى اليه لأنها شاهدت
الراعى يتحدث اليها عدة مرات حديثا ينم عن اعجابه بها فتقول أنا
أحب من يحب الله وهذا هو الحب ولكن صارحينى ترى لو فقد صوته
الجميل هذا أيستمر حبك له ؟ فتهمز الفتاة رأسها بمعنى لا تدرى ! فتعقب
(هبه) اعتقد يتلاشى حبك كما تلاشى صوته الذى جذبك ولذلك اعتقد
انك لا تحبينه الحب المنزه عن الغاية .. ولو انك اتجهت الى الله بقلبك
لاستضاء قلبك بنور قد يجذب من يلائمك فى الشعور والأفكار لأن حب
الله نابع من قلب نقى يسرى فى الشرايين مع الدم وعلى ضوء هذا الحب
تتكشف لك حقائق المرئيات على قدر قوة بصيرتك فاذا التقيتما فى أفق
هذا الحب الالهى اللا محدود كان من الطبيعى أن تتحابا .. ولم تدرى
الفتاة معنى ما تعنيه (هبه) فقالت بلهجة ساذجة .. كل شئ اسمه
ونصيب ظنا منها ان الحب هو الوسيلة للزواج .. وأيقنت (هبه)
من حديثها إنه لا جدوى من الحديث معها بإسلوب يصعب عليها ان تفهمه

لأنها لم تتعلم قط عكس (هبه) التي كانت تعمل مع أمها في منزل ضابط المنطقة وكانت زوجته متعلمة وشغوفة باستئناف عملها الاجتماعي الذي كانت تقوم به في القاهرة قبل أن تتزوج وهو محو الأمية ولم تجد وسيلة لتحقيق ذلك غير تعليم (هبه) لاستعدادها الى ذلك عكس الفتيات الأخريات فكلما حاولت أن تجذبهن اليها لتعلمهن .. هربن وآثرن العمل في مزرعة الاقطاعي لقاء قروش معدودات . ولذلك اضطرت (هبه) أن تغير مجرى الحديث فقالت : ألم تذهبي الى اسوان لقرى التماع نجم نهضتنا الذي سيمتد الى سماء قريتنا باذن الله فنحظى بالكهرباء والماء . فتبدى الفتاة دهشتها من هذا النبأ وتأسف لعدم ذهابها الى اسوان منذ سنين على أثر غرق شقيقها في مياه الخزان وهو يحاول أن يقذف بنفسه في المياه من عل لقاء قروش من السائحين ولم يكن تدرب من قبل ولم ينصح أحد بعدم المجازفة مادام لم يتدرب شأن الصبيان الذين أجادوا هذا العمل فرفهت عنها (هبه) وشجعته على الذهاب معها غدا عندما تذهب إلى السد بعد أن تجمع الوقود لأمها وانفصلا على أمل هذا اللقاء ..

سيرة من لداتها
تدرك (هبه)
لا إنه يستحق
لم فتقاطعها
ثمة .. معك
بلهجة حزينة
أحيانا فتتألم
سأه .. فقد
ب الى القلب
ت تحبين من
أنتها شاهدت
ما فتقول أنا
فقد صوته
رى ! فتعقب
والذلك اعتقد
ي الله بقلبك
كار لأن حب
هذا الحب
يتما في أفق
ولم تدرك
شيء اسمه
ت (هبه)
ما ان تفهمه

الفصل الثالث

في اليوم التالي ٥٥ يترك الراعى أغنامه الى أمه مؤكدا لها أن عمله الجديد سوف يدر عليه ربحا أوفر بجانب اسهامه في عمل يدر خيرا وفيرا لبلده وهى فى حاجة الى المشى ولا يتسنى لها ذلك الا بالخروج مع الاغنام . وفى طريقه للاشتراك مع العمال تحت أشرف المهندس الذى تأثر به راح يعنى بمصاحبة الناي الذى كان يحتفظ به فى جيبه وكأنه صديقه لا يفارقه وقد صنعه بنفسه من الغاب ..

يا منى القلب قد أيقظت أشعارى
هدهدى الروح بصوت فيه أفكارى
كم قلت يا ليل فاهتزت جوانحه
وردد الليل آهات بأوتار
ماذا على عاشق قد نال بغيته
من الخيال يلثم الطيف والدار
منى فى القاب أحظى بطلعتها
هى فى يقينى بلبلى وكنارى
أنا الغريق فما أخشاه من بلبل
أنا المحب وهذا الحب تذكّار

وأثناء سيره لمح الأقطاعى كما ترامى صوته إليه فاسرع إليه واستوقفه مخاطبا إياه فى احتقار .. ألم تسأم هذا اللغو السخيف فنظر إليه الراعى فى كبرياء قائلا .. ألم تتنبه بعد إلى الفارق بينى وبينك أنا أعمل فى سبيل الغير بوسيلة الرعى وسوف أعمل باذن الله فى سبيل الخير لبلدى وأنت ما عمك ؟ لا شئ .. لا شئ .. كأنك لا تستشعر بوجود الآخرين .. ومصلحة هذا الوطن الذى أفاض

عليك بالخير الوفير .. فيقاطعه الأقطاعي في حدة أتجراً على مخاطبتى
أيها العبد الحقير .. وبأسلوب الكرامة والسخرية يقول الراعى ..
لقد دار لولب الزمن وخلع عنك رغم أنفك رداء السادة وها أنت تعيش
كحيوان متجاهلاً النور الباهر الذى انبثق من أفق العدل والرحمة
والمساواة وزالت عنا الدكتاتورية الطاغية التى تتجسم فيك وفى أمثالك
لأن قلوبكم مغلقة لم تستقبل نور الله وها نحن نعيش وفق تعاليم
الإسلام الذى ينص على احترام آدمية الإنسان أياً كان لا فرق بين
أمير وخفير .. أما أنت فروحك حبيسة أسوار الضلال والإفك والبهتان
مرتبطة بأوهام لا علاقة لها بشريعة السماء ومن العسير أن تدرك ضرورة
التزام كل مؤمن بمسيرة الحياة الحرة الكريمة .. أما أنا فروحى طليقة
لم تخضع لسيطرة جاه زائف أو تسعى للحصول على ثراء باطل لذا فى
مقدورى أن أساير التطور ابتغاء مرضاة الله ..

وهنا لم يستطع الأقطاعي أن يكتفم غيظه فهم أن يصفه أولاً
تراجعاً عندما لمح (هبه) تظهر من وراء النخيل حيث كانت تصغى
لحوارهما دون أن تظهر لهما وواجهت الأقطاعي فى شجاعة قائلة ..
لقد صدق الأخ الحر فيما قال .. ألا تحاول أن تفهم لغة الأحرار وترى
ببصيرة قلبك أضاليل الماضى وما يدور حولك الآن لإزالة كل ما ينتمى
إلى الباطل بصلة ؟ .. ورغم انه استشعر بخجل لم يألفه من قبل
فقال .. أنا لا أشعر إلا بك ؟ فنظرت إليه فى احتقار قائلة .. اتق الله
يا رجل وحاول أن تعيش من أجل الله .. فقاطعتها ما زلت أذكر شعر
الشاعرة جميلة إذ راقنى فى باكورة صباى وكأنها كانت تعينك !! ..

يا للجمال ويا للحسن قد جمعا

فى أجمل الغيد ما أبهى الذى صنعها

وأنبت الورد فى الخدين فازدهرا

وأودع السحر فى العينين فالتمعا

م ٣ - من أجل الله

قد رأيت بعيني در ميسـمها
يضىء ليلا ويسبى عقل من سمعا
إنما هي للأضواء منبعها
شمس تضىء الكون إن سطعا
ولم تجد (هبه) بد من أن ترميه بنظرة استخفاف قائلة .. ولعل
الشاعرة كانت تعنيك أيضا عندما قالت ..
أبائع أنت للهوى أم شارى
يا ربيب الغنى كم حيرت أفكارى !
أراغب أنت فى ملك مزرعة
من الحسان فبئس الجاه يا شارى !
فيجيبها الأقطاعى أنا لست شاعرا .. ولكن دفعتنى الغوانى من
قبل إلى قراءة الشعر وحفظ ما يلائمهن لتعلقهن بالشعراء والفنانين
ومما حفظته ما يصلح الآن لأسمعه إياك .. وهو من قريض هذه
الشاعرة أيضا ..

بل عاشق وهل فى العشيق من عار
وكم تدلّيت فى عشقى وأفكارى
ماذا على إذا العذال تبغضنى
أنا الحبيب وقد صاحوا بايثارى
وقد خلقت أرق النفاس عاطفة
أهواها .. أهواها ولو ألقيت فى النار
فتغض (هبه) الطرف عنه وكأنها لم تسمعه وتسرع فى طريقها
فيقول له الراعى ..

إنها اليوم لن تجب لك الطلب
ولا ترى فى الهوى ما يوجب العجا

وبصوت ينم عن أسى الأقطاعى يقول ..

إنى لأعجب من قلب لا يراوده

شوق وكم فى قلبى ما يهبها

فيعطف الراعى عليه قائلا ..

ولو تلوذ بصمت فهى مشفقة

ما أجمل الصمت حتى يجلو ما غربا

ويتنبه الراعى إلى ميعاد بدأ العمل فى المنطقة فيتركه مسرعا فى

طريقه عازفا على نايه نغمة التفاؤل لاستقباله العمل الجديد ..

ويجد الأقطاعى نفسه مشدودا بدوره نحو العمل على أمل أن يجد

(هبه) ولم يكذ يقترب من العمال حتى يراهم يحوطون بالمهندس الذى

أصيب بغيبوبة ويعرف من حديث العمال انه سبق أن أصيب بحمى على

أثر ضربة شمس حادة وقد نصحه الطبيب بالاعتكاف تحت العلاج ريثما

يتعافى تماما خشية أن ينتكس ولكنه لم يأبه لالتزامه بضرورة انهاء

العمل كما وعد السيد رئيس الجمهورية فى الوقت الذى حددده ..

وهنا اندفع الأقطاعى تحت تأثير توجيه (هبه) التى حضرت فى التو

إلى أحد العمال باستحضار أى سيارة لتحمله إلى المستشفى .. فاسرع

هو لاستحضار سيارته وهو يقول .. حالا سأحضر السيارة .. وعاد

مسرعا وحمله إلى المستشفى باسوان ووقف بجانبه بعد أن أمر بأن

يكون تحت علاج ممتاز على حسابه رغم معارضة مدير المستشفى بدعوى

أن ذلك واجب المستشفى حيال رجل عمل هام مثله .. ولما تنبه

المهندس إلى حد طلب استدعاء أخيه من القاهرة لكى يرافقه لكى يتصل

بالمسؤولين لتكليف مهندس للإشراف على العمل ريثما يتعافى ولكيلا

يتأخر انجاز العمل وعلق مدير المستشفى .. لقد بالغت فى مجهودك ..

وأردف الطبيب المساعد .. لطالما نصحته بأن يأخذ قسطا من الراحة
فكان جوابه .. دعنى أعمل من أجل الله .

وعندما سمع الأقطاعى ذلك اتصل بأخيه فورا فلم يجده لانتدابه
من قبل عمله لحضور مؤتمر فى الخارج مدة شهر .. واضطر أن يصارح
المهندس بذلك مطمئنا إياه بأنه كان فى نيته مغادرة أسوان اليوم إلى
القاهرة بالطائرة وسوف يرافقه حتى يصل إلى أسرته بسلامة الله
وسرعان ما اتصل الأقطاعى بمكتبه فى القاهرة لارسال سيارة لانتظاره.

وفى الطائرة نفذ الأقطاعى أوامر الطبيب مع مؤانسته والترفيه
عنه كأنهما على صلة من زمن بعيد .. فلما وصلا القاهرة أسرع إلى منزل
المهندس حيث تقيم زوجته .. وكانت مفاجأة لم يتوقعها حينما وجد
المنزل مغلقا والجارة تقول أن زوجته سافرت إلى الاسكندرية منذ شهر
وتركت عنوانها لتحويل الرسائل التى يرسلها إليها .. ولم يشأ
المهندس أن يذهب إلى والدته وهو مريض لكيلا يزعجها وفضل الذهاب
إلى أخته ريثما تزول آثار الحمى .. فاعترض الأقطاعى قائلا .. وسوف
تنزعج أختك أيضا فمشاعر الأخت كالأم وقد تكون أمك عندها واعتقد
أن جو الاسكندرية الآن يساعدك على النقاهة لعناية زوجتك الكاملة
بك .. وأنا شخصا فى حاجة إلى قضاء بعض الوقت فى المصيف
وها أنت اتحت لى هذه الفرصة فشكرا لك .. وعندما وصلا إلى
الكابينة حسب العنوان التى تركته الزوجة .. تركه الأقطاعى يتحامل
على نفسه سعيد بأن يشاهد أروع مشهد للقاء زوجين بعد فراق وقد
تزوجا عن حب كما قال المهندس له أثناء حديثهما وعندما لمح المهندس
امراة فى رداء يكشف صدرها وذراعيها تضع رأسها على كتف رجل
بشكل مثير خيل إليه انه لم يتبين رقم الكابينة المذكور فى العنوان وهذه
المرأة ذات شعر ذهبى وزوجته شعرها أسود ولما تأكد من رقم الكابينة

اقترب من المرأة ليسألها عن زوجته إذ لا شك أنها فى ضيافتها فلما
رفعت المرأة رأسها ووقع نظرها عليه .. صرخت بصوت الملع الخفيت
.. زوجى وإذ بالرجل يفر بسرعة أما هو فقد ارتمى على المقعد الذى
كان يجلس عليه العشيق عندما أسرع الأقطاعى إليه على أثر مشاهدة
هذا الموقف وأخرست الصدمة لسانه وسألها الأقطاعى .. حضرتك
فقاطعتة .. انه ابن خالتى جاء ليطمئن على عندما علم من خالتى إننى
جئت هنا لاسترد صحتى بعد انحراف لازمنى على أثر سفر زوجى ..
قال إذن أنت زوجته .. وهنا أدرك خطورة الموقف فحمل المهندس إلى
عربته دون كلام واسرع به إلى طبيبه الخاص الذى قرر بعد الكشف
عليه انه أصيب بانهايار عصبى وفى جرأة ذهبت معه ولكى تبرىء نفسها
أمام الأقطاعى ظنا منها أنه زميله وصديقه .. قالت لقد كان ابن
خالتى مهاجرا فى أمريكا منذ زمن بعيد واذلك لم يره زوجى فلما حضر
وعلم من خالتى وجودى هنا جاء ليودعنى قبل عودته إلى أمريكا ..
وابتسم الأقطاعى فى سخرية معقبا .. لذلك ساء زوجك الظن بك وكان
المفروض أن يعرف أثناء مدة زواجكما أن لك ابن خالة فى أمريكا ..
فقالت .. لم يترك لى فرصة لتقديم أقاربه له .. إذ سافر إلى اسوان
بعد تمضية شهر العسل مباشرة فقال الأقطاعى ولماذا لم تسافرى معه
مع انه طلب منك مرافقته فى الحاح ورجاء فقالت : لأن صحتى
لا تساعدنى على احتمال الحر الشديد وغالب ما دار بخلده من شك
ومرارة بابتسامة قائلا .. المهم الآن اكتساح أثر الشك فى نفسه
بلباقة مع إثبات حبك الوفير له مع حنانك ورعايتك وسوف أمر عليكما
فقد تحتاجا لخدمة عاجلة ومر على رأس المهندس بحنان الأخ وهو
يقول .. زوجتك بريئة .. فاطمئن وأنا على مقربة منك وسوف أراك
غدا إن شاء الله ..

الراحة

لا تتدابه

يصارح

يوم إلى

.....

تنتظاره.

والترفيه

لى منزل

فما وجد

شذ شهر

يشأ

الذهاب

وسوف

واعتقد

الكاملة

لصيف

سلا إلى

يتعامل

اق وقد

المهندس

ف رجل

ان وهذه

لكابينة

وعلى أثر انصراف الأقطاعى اقتربت منه فى حنان كما يبدو ولكنه
حول وجهه لكيلا يراها دون أن يتكلم ولزم الصمت ويبدو أن الأقطاعى
استشعر بأنه قد يحدث بينهما شجار بسبب سوء ظنه فتزداد حالته
الصحية سوءا فعاد فى التو بحجة أن يسأله إن كان أخذ الدواء فى
الميعاد أم لا ؟ فأجابه لا داعى للدواء الآن .. سأخذه عندما أذهب
إلى والدتى فإذا سمحت فقاطعه الأقطاعى .. أفضل أن تذهب إلى
بيتك مع زوجتك ريثما تتعافى تماما لكيلا ترعج والدتك وعلقت الزوجة
وخصوصا أنها متعلقة به لأنه وحيدها وهى على خلاف معى بسبب عدم
سفرى معه وقد تظن الآن أننى سبب مرضه لعدم وجودى معه فى
أسوان ولكنه أصر على الذهاب إلى والدته فوافق الأقطاعى على شريطة
أن يذهب معه إلى الطبيب الخاص به لكى يطمئن على حالته وصحة
العلاج الذى حدده طبيب أسوان .. فلما ذهبا إلى هذا الطبيب رغم
اعتراضه نصحه أن يمكث عنده فى العيادة بعض أيام تحت العلاج
لأنه فى حاجة إلى العناية المكثفة وأرتاحت الزوجة لاقتراح الطبيب
لكيلا يذهب إلى والدته لكيلا تسيء الظن بها ومكث فى عيادة الطبيب
وهى تلازمه رغم أنفه تحت تأثير الأقطاعى بضرورة وجودها معه لكيلا
يشعر الطبيب بأن بينهما سوء تفاهم ولم يكذ يسترد صحته حتى تأهب
للذهاب إلى والدته وعندما أراد قبل خروجه من العيادة أن يكتب شيكا
إلى الطبيب بقيمة العلاج .. أخبره بأن قريبه محسن بك .. دفع
المطلوب فلم يعترض قائلا .. إذن سأدفعه له إذ لا شك أنه فضل أن
يدفع نقدا وقبل أن يغادر العيادة جاءه الأقطاعى (محسن بك) واتفق
معه على أن يخبر والدته بأنه قادم من أسوان فى التو ورافقته الزوجة
حسب توجيه (الأقطاعى) رغم اعتراضه وخيل لأهله أن زوجته كانت
فى انتظاره بالمطار أثناء وصوله .. ولما هم بتقديم شيك علاجه إلى

الاقطاعى قال له • كان لزاما على التأمين الصحى أن يدفع قيمة هذا العلاج ولست أنا وهذا ما حدث لكن بوسيطتى •• ولذلك ظن الدكتور أننى عنك دفعت •• ولم يشأ أن يجرح كبريائه ويخبره أنه هو الذى أدى ذلك ••

ولاحظت الأم جنوح ابنها للعزلة وعدم اختلاطه بزوجه كالمعتاد وسارحت أخته بذلك وكانت الأخت علمت من الخادم التى تعمل عندها وتزور الأخت من آن لآن لتعرف متى يعود سيدها المهندس •• ان لزوجته صلة برجل يتردد عليها كل يوم بعد سفر زوجها وأنها سافرت إلى الاسكندرية لتقضى شهرا معه قبل مجيء زوجها فى أجازته السنوية وقد سمعت ما دار بينها وبين هذا الرجل فى سياق حديثهما فى آخر لقاء لهما قبل سفرها خلصة ولما كانت الأخت مؤمنة عاقلة تتقى الله فلم تشأ أن تخبر أمها لكيلا تخبر ولدها على أمل أن تقابل زوجة شقيقتها بعد عودتها من الاسكندرية وقبل مجيء المهندس وتنصحها بالكف عن هذا الحب والخوف من الله ورعاية حرمة الزوج والتوبة ووعدتها بعدم مكاشفة زوجها وأمها على شريطة تنفيذ ذلك •• ولكن أراد الله أن يكشف الزوجة فحدث ما حدث وأراد المهندس أن يقيم وليمة للأقطاعى (محسن بك) بعد أن استرد صحته تماما ليشكره على ما قام نحوه من خدمات لا يمكنه مجازاته عنها غير أن يدعو الله بأن يجازيه عنه •• وقبل أن يستدعيه جاءه الأقطاعى ليطمئن عليه ويخبره أنه سوف يعود إلى اسوان لبعض مهامه وهو على استعداد لكى يؤدى له أى خدمة هناك فى حين عادت الزوجة إلى بيتها بعد أن اكدت له بأسلوب الدهاء براءتها وصحة انتساب ابن خالتها المتوفية إليها وهو شقيقها فى الرضاعة بدليل أنها لم تتزوجه •• على أنه لم يقتنع بذلك ولم يصارحها بما اعترم على تنفيذه وبعد الانتهاء من تناول الطعام مع الأقطاعى ••

ولكنه
اقطاعى
حالاته
فى
أذهب
إلى
الزوجة
بعدم
معه فى
شريطة
وصحة
يب رغم
العلاج
الطبيب
الطبيب
معه لكيلا
فى تأهب
تب شيكا
• دفع
فضل أن
() وافق
« الزوجة
جته كانت
لأجله إلى

صارحه بأنه سوف يعود إلى اسوان ويمكنه حجز تذكرة معه على أن يذهب معه قبل ذلك إلى المأذون ليطلق زوجته إذ لا يمكن أن يبقى على ذمته امرأة خائنة وازاء اصرار الأقطاعى على عدم طلاقها سرد عليه قصتها قبل الزواج إذ كانت متزوجة برجل تخلصت منه عندما أحببت المهندس فلما سأله الأقطاعى وهل خانت زوجها وهى على ذمته واتصلت بك اتصالا محرما قال المهندس أجل كنت فى فورة الشباب ولم اختلط بالنساء مطلقا والتقيت بها فى منزل صديق لى فى حفل سمر وغناء أعجبنى فى الواقع صوتها عندما قامت بأداء أغنية أعجبت الجميع وتكرر لقاءها فى كل حفل يرتبط صاحبها بزوجها وكنت استجيب لدعوة صاحبى من أجل سماع صوتها .. ولست أدري كيف أثرت على ولم تمض مدة حتى نشأت بيننا علاقة أنتهت بخلاصها من زوجها من أجلى كما أكدت لى ذلك .. وليتني أخذت بنصيحة أختى عندما دعوتها لتغنى فى حفل عيد ميلاد ولدها الصغير ولما رأتنى أختلت بى وحذرتنى من الاختلاط بها أو الزواج منها إذ أدركت من تصرفاتها أثناء الحفل تعلقها بى وغيرها على فاكدت لأختى استحالة ذلك .. وكنت حديث التخرج من كلية الهندسة فاشتغلت فى إحدى الشركات ريثما استلم عمل الحكومة .. فعند خروجى من الشركة أجدها بعد انتظارى على بابها وكنت أشرت مع زميل لى فى مكتب للاستشارة الخاصة بعملنا وعند انصرافى منه فى المساء أجدها فى انتظارى بدعوى أنها لابد أن ترانى ثم دعتنى لرؤية مسكنها بدعوى اصلاح بعض غرفه الداخلية فذهبت وكان الشيطان ثالثنا فاستجبت لها غفر الله لى .. لذلك أحاول أن اكفر عن خطيئتى بعد زواجى منها بالعمل الجاد وبذل أقصى التضحية فى سيله من أجل الله .. وشجعتنى على المضى فى هذه العلاقة بعد أن عرفت أننى أجيد العزف على العود إذ كنت من هواة الموسيقى إلى درجة التحقت بمعهد الموسيقى لدراسة العود دراسة وافية ونلت الدبلوم تقديرا لتفوقى

وهكذا ظلت العلاقة حتى أنتهت بزواجنا رغم اعتراض والدتي وأختي دون أن أعرف أى شيء عن أسرتها مقتنعا بما قالته بان والدها كان من كبار تجار المجوهرات وقد توفى بعد ولادتها وتركها وشقيقها فى حماية صديق استولى على تجارته بدعوى أنها خاصة به وأنه يرعانا من أجل الله واضطرت أن تعمل فى مصنع للبويات عند رجل أجنبى تبناها حتى أصبحت صبيرة لفتت نظر (كونسابل) أى أمين شرطة كما هو معروف الآن فأحبها وتزوجها ومن أجلى تركته وبعد زواجنا استدعت رجلا ناهز الستين من عمره وقدمته لى بأنه كان وكيل والدها وهو الذى كان يرعاها منذ كانت طفلة هى وشقيقها الذى أصبح عند زواجنا طالبا بمدرسة المعلمين وهى مدينة لهذا الكهل برعايتهما لذلك أخذت على عاتقها أن ترعاه وترد له الجميل بأن يمكث معنا وكان من الطبيعى أن أوافق وكانت عودتنى أن أحقق رغباتها وحدث خلاف بينى وبين شقيقها لسوء سلوكه إذ كنت أعمل لحسابى وحدى فى مكتب الهندسة وأكلفه بتحصيل أجر ما أقوم به لكثرة شواغلى وأخيرا اكتشفت بعد اتصالى بصاحب عمل ما أنه لم يسدد المبلغ المطلوب مما اضطررنى إلى الاتصال بالآخرين وإذا بى أكتشف انه كان يسجل أقل مما يأخذ مما دعانى إلى أن استغنى عنه وقد أصبح ليس فى حاجة إلى معونتى إذ أصبح مدرسا فى التعليم الإلزامى وقد تزوج ويعيش على حسابى مع زوجته فى مسكن آخر ولما علم الكهل بذلك صارحتنى زوجتى بأنه كان يعمل فى مخبز وقد تركه من أجل الخدمات التى يقوم بها فى منزلنا لأمانته ولا بد من تعويضه بمبلغ يخصص له شهريا فوافقت وإذا بى لاحظ انه يخرج كل يوم على غير عادته ليذهب الى أخيها وهنا صارحتها بأنه مادام يعيش معنا كما نعيش فى المأكل وتوفير أسباب الراحة له فلا داعى للذهاب إلى أخيك يوميا فإذا كان متعلقا به فليذهب ليعيش معه .. وأثناء عودتى من عملى وكنت استلمت عملى فى الحكومة استوقفتنى

على أن
قى على
د عليه
حبت
التصلت
اختلط
وغناء
وتكرر
صاحبى
ض مدة
أكدت
فى حفل
تالاط بها
وغيرتها
كلية
ومة ..
أشترك
هته فى
لرؤية
الشیطان
خطيئتي
من أجل
أجيد
بمعهد
تتوقى

جارة تقطن بجوارنا وقالت لى أن فلان .. تعنى الكهل الذى يعيش معنا جاء لى وأخبرنى أن زوجتك هى ابنته وشقيقها ابنه .. فتماسكت أعصابى وواجهت زوجتى بما سمعت وقلت لها .. ان الفقر ليس جريمة مادام الرجل يؤدى الصلاة والواجب نحو الله .. فنفت ذلك واتهمت الجارة بالكذب لتوقع بيننا لأنها تغار منها .. ومرت الأيام وقد اقتنعت بما قالته .. مع احتمالى بمبالغتها فى العناية بهذا الكهل واهتمامها بعلاجه إذا مرض أكثر منى .. ظنا منى أنها تعمل ذلك من أجل الله .. ولكن الله لا يرضى قطعا بالكذب فقد حدث أننى جئت مبكرا على غير عادتى وكان شقيقها فى زيارتها إذ كان يتردد عليها كرائر من حين إلى حين .. فسمعته يقول لها .. وإلى متى تتكرى أنه والدنا .. وكدت أفقد أعصابى لولا أن تداركنى الله برحمته فجاء تعيينى إلى العمل فى السد بأسوان .. وعرضت عليها مرافقتى فرفضت .. وهنا قاطعه الأقطاعى لكى يوقف تيار الألم والحسرة التى طغيا عليه قائلا .. أيمكن لبنت أن تنكر والدها .. انها شاذة .. ومع ذلك اعتبرها مريضة .. ومادمت بصبرك اللامحدود أن تحطم الصخر وتوقف تيار الأمواج وتحويل كئيبان الرمال إلى ما تريد لتثبت قوة الإنسان المؤمن المخلص القادر على الطبيعة المتمردة فحاول أن تعالج امرأة استهانت بالدين والخلق عندما خانته زوجها الأول معك وكان يجب أن تتعظ من خيانتها لزوجها الأول .. أما وقد وقعت فى المصيدة يا بطل .. فطبيعة انسانيتك اللامحدودة لا تقف عند الصخر الذى حولته فى السد إلى ما يجب .. بل يجب أن تجربته فى النفس البشرية التى تمثلها زوجتك .. هبها صخرا بمساوئها كان المفروض أن تؤثر بأسلوب الحب واللين لتأخذها معك ولا تدعها تحت تأثير مغريات الشيطان وهى كما تعلم على استعداد لذلك قبل زواجك ولاحظ انه راح يسرح فيما لا يدريه فأردف هيه .. أين ذهبت ؟ لا شك أنك تفكر فيما يجب عمله مقتنعا بوجهة نظرى

فانتجه إليه وقد بدا على وجهه ما يثير اهتمام الأقطاعى .. أجل يا أخى .. تركتك حيث شدتتى اسوان .. اتذكر فتاة اسوان .. فتغابى الأقطاعى قائلاً .. لم أر غير صبية بدوية فقال المهندس .. أجل هي .. أقارن الآن بينها وبين ابنة المدنية هذا التى بين يديها كل مستلزمات الثراء ولا تقنع وبين ابنة الصحراء التى تحتفظ بفطرتها متمسكة بطهرها وإيمانها .. والحب فربيع الأقطاعى لسماع الحب .. وتساءل .. أتراها تحب ؟ قال .. أجل انها تحب الله .. ألم تسمع شدوها معبرة عن حبها لله وحده مع أنها أوفر جمالا وأكثر سحرا وقد لاحظت القلوب التى تحوم حولها وهى كالضوء المنبعث من شعلة تجذب كل فراش يدنو منها فاذا بحاجز يحول دون مساسها هذا الحاجز قوة إيمانها المجسمة فى روحها اللامرئية .. الآن بعد تجربتى مع هذه الزوجة عرفت الفارق بين المرأة التى نشأت فى بيئة متمسكة بتعاليم الإسلام لا غاية لها فى الحياة غير العمل من أجل مرضاة الله .. وبين المرأة التى خرجت كما يخرج النبات الشيطانى من الأرض دون أن تعرف نكهته وفصيلته فيضطر الزارع أن ينزعه من الأرض لكيلا يفسد البذر الصالح للزراعة .. ولم يلحظ أن الأقطاعى سرح عنه بعيدا فقد أثار حديثه إحساسا عميقا فى قلبه مبعثه تلك البدوية الزاهدة .. لكن صمته دون تعليق كعادته نبهه فاردف .. أراك سرحت فأين ذهبت ؟ حذار أن تأسرك فتاة بمظهرها الخلاب دون أن تعرف جوهرها الأصيل .. خذ من تجربتى درسا واقعيا .. إذا راقت لك فتاة تنتمى إلى مدنية هذا العصر الملىء بأباطيل الحياة .. فقاطعه .. معك حق على أننى أوفر منك علما بخفايا النساء فكل امرأة تستجيب للحرام لا تؤمن ولذلك لم أقع فى مصيدة اية امرأة من هذا الطراز رغم محاولة كل من اتصلت بى أن تؤثر على بشتى وسائل الاغراء .. والآن دعنى أسألك بمناسبة مقارنتك بين ابنة الصحراء وابنة المدينة .. يمكن لهذه البدوية المتعلقة

يعيش
تماسكت
جريمة
وتهمت
اقتتعت
اهتمامها
الله ..
على غير
حين إلى
وكدت
لعمل فى
نا قاطعه
.. يمكن
يضه ..
الأمواج
الخلص
والخلق
لزوجها
سانيتك
يجب ..
هبها
لتأخذها
الاستعداد
ف هيه
نظري

بالله إلى هذا الحد الذى يقصدها عن يحومون حولها .. انتظن انه فى
معدورس ان نقهر غريزه الانتى حتى نهايه عمرها .. وإذا صح هذا فما
الفرق بينها وبين العدراء التى تدخل الدير لتعيش راهبه .. وديننا
يحرم ذلك .. ادن فهى لا تعرف حقيقة الدين؟! فقال المهندس ..
اعتقد انها الان فى سن لا يتيح لها التفكير فيما يجب أن يكون وما لا
يجب أن يكون .. إذ لاحظت ان حبها لله وحده لم يدعها تفكر الا فيما
يتعلق بالله على غير المألوف فى بنات المدن فى هذه السن .. انها تعمل
من أجل الله مؤقتة أن ذلك واجب مقدس تؤديه راضية ابتغاء مرضاة
الله بدليل أننى عرضت عليها أجر اليوم الذى عملت فيه رفضت وهى
تقول .. إن أجرى أكثر من هذا وأحتفظ به عنده وأشارت إلى السماء
.. وقطع حديثه عندما ناولته الخادم برقية .. وهاله الأمر بعد قراءتها
إذ بها قرارا بنقله إلى القاهرة مراعاة لصحته وبدل أن يفرح ويبتهج
اعترض قائلاً .. لا .. لن أنفذ هذا القرار فقاطعه الأقطاعى .. لقد
أراد الله بك خيرا لتستقر هنا بجانب زوجتك واغفر لها والله غفور رحيم
.. فقال المهندس فى إصرار .. لا بد أن أتمم العمل الذى أخذت على
عاتقى إنجازة مهما كلفنى الأمر من تضحية .. وحاول الأقطاعى أن
يؤثر عليه لتنفيذ القرار دون جدوى وأخيرا استأذنه للانصراف لعودته
غدا إلى اسوان لبعض أعمال هامة توقف إنجازها ريثما يعود فأبدى
المهندس رغبته فى أن يتصل به تليفونيا ليخبره ماذا تم فى العمل
ريثما تنتهى أيام أجازته ويعود إلى عمله بعد التفاهم مع صاحب القرار
الذى صدر بشأن نقله ..

الفصل الرابع

لم يكد الأقطاعى يصل إلى اسوان حتى ذهب مباشرة إلى المنطقة التى يجرى فيها العمل وهاله صدى خبر نقل المهندس إلى القاهرة وتجمع العمال واصرارهم على رفع طلب إلى المسئول فى القاهرة رجاء الغاء نقل المهندس وبقاؤه فى اسوان • وأراد الأقطاعى أن يعرف السبب فى تعلق العمال به فأخذ مجاسه بجانبهم كأنه من زائرى السياحة واد أن يستريح بعد جولته فى الآثار وسمع بعضهم يقول أنه لم يكن كائى رئيس إذ كان يعاملنا كأخ وصديق للشباب ومحب ورحيم للكبار كأنه الابن لهم بجانب متاعب عمله الشاق دون أن يشعروهم بالملل أو اليأس حتى انتصر بالعزم والإصرار والإيمان والاعتماد على الله وتأثيره بالحب والحنان على معاونيه لبذل الجهد إلى أقصى حد وطال الحديث فى مكارم أخلاقه وتمسكه بالقيم وأنهى بعضهم حديثه بقوله • • أخشى أن ينتحر محبيه كما حدث مع الشاب الذى الحقه بالعمل هنا قبل مرضه رغم انه كان لا يصلح للعمل ويعيش كراعى غنم • • ولكنه كان يعول أمه العجوز وليس لها سواه وأخويه الصغيرين إذ عرف حقيقة أمره من غيره فكان يدربه ويعلمه كأنه ملزم بذلك فلما جاء المهندس المنتدب للعمل ريثما يعود المهندس (ناير) من أجازته المرضية عامله كعامل جاهل باساوب الغلظة والقسوة لأنه أقل منا خبرة ودراية فلما علم بقرار نقل المهندس وان المهندس الحالى سيظل هنا لم يستطع احتمال العمل معه فقذف بنفسه فى النيل وعندما حاول بعضهم انتشاله • • كان فقد الحياة • • وعقب غيره • • إنا لله وإنا إليه راجعون وقال آخر لبيته عاد إلى الرعى من أجل أمه العجوز وقال غيره • • كنت أحب صوته وأغانيه • • إلى حد كنت أقوم بالعمل بدلا منه لكى يغنى لى • • وقال غيره لقد تحولت أنعامه الشجية بعد

مرض المهندس إلى أنغام تدر الدمع غصبا وتحرك القلب فيئن أنينا
نسمع صده في نايه ♦♦ كأنه كان يرثى نفسه بالنعيم وهو لا يدري ♦
وفهم الأقطاعى ان هذا الشاب هو الراعى الذى كان يستمتع
بألحانه رغم ما كان بينهما من نفور وحز ذلك فى نفسه كأنه افتقد
عزيزا عليه فسأل ♦♦ واين دفنتموه فدلوه على مكانه كما عرف مقر أمه
من العامل الذى كان يحبه ♦♦

ولاحظ الأقطاعى من حديثهم أن العمل فى السد ليس مجرد
تحويل الصخر الجامد إلى عمل مفيد خالد ليثبت عبقرية الانسان
المصرى الأصيل تلك العبقرية التى ورثها الانسان المعاصر من أجداده
القدامى والتى وضعت بصماتها على جبين الزمن منذ أرسى القدماء
قواعد الفن الأصيل الخالد فى كل بقعة من بقاع الأرض فى الشرق
والغرب وإن كان أعظمها تلك الآثار الخالدة على مر العصور القائمة
فى مصر ♦

واستشعر الأقطاعى بانتفاضات هزت وجدانه فتصور أن كل
حركة تبدو من كل عامل ما هى الا انتفاضة من احساسيه صاررة من
أعمق أعماقه ووجد نفسه يتجاوب مع مشاعر العمال وتفكيرهم متمنيا
لو استطاع فى التو المشاركة معهم فى عمل ما ليؤكد أنه قادر على
معاونتهم ولكنه لم يجد فى نفسه الكفاءة والقدرة على العمل باليد
ولكنه أدرك أن الله منحه ما يمكن أن يبذله بوسائل أخرى لاثبات وجوده
كإنسان جدير بالانتساب إلى مصر وتأهب للانصراف وهو يقول لقد
تشوقت لرؤية هذا المهندس الذى تحدثتم عنه كحبيب لكم ♦♦ وهنا
قاطعه بعضهم ألسنت حضرتك من حملته إلى المستشفى يوم أصيب
هنا فابتسم وقال ♦♦ انه أخى ويشبهنى تماما كتوأمين وهو يعيش
هنا وأنا أعيش فى القاهرة ♦♦

وفى طريق عودته تذكر مثنوى ابراعى حيث أشار بعض العمال
فاتجه نحوه وقرأ الفاتحة عسى روحه تسامحه على ما بدر منه وفوجىء
بمقدم (هبه) تتقدم نحو القبر لتضع عليه بعض الزهور وقد كسى
الحزن العميق وجهها بنقاب يعبر عن مدى حزنها الكمين كأنها فقدت
أعز حبيب وراعه رؤيا دموعها تنهال على خديها وقد ظهرا كجمرتين من
اللهب وراحت تردد بصوت منكسر قراءة بعض آيات الذكر الحكيم ..
ثم جلست وكأنها لم تر الأقطاعى قائلة بعد أن ختمت القرآن ..

أنثروا الزهر وحيو مضجعه

واسألوا التراب يجبكم مرتعه

مات لم يحفل بأسباب الحياة

مات لم يحفل بآمال الغير

مستهام القلب مجلوا انظر

كل ما يرجوه أن يرضى الإله

لم يحقق غير ما أوحى التقدير

من غرام طاهر عبق الأثير

كان يأمل أن يرى خير الفلاة

وهنا تقدم نحوها فى خشوع وكأنه يراها لأول مرة وبادرها بصوت
ينم عن الحزن الأكيد .. لقد أحزننى موته كأنه أخى وبودى لو كفر
عن خطيئتي أثناء معاملته بأى وسيلة مهما كلفتني فما رأيك فى توزيع
مبلغ من المال على العمال باسمه ومساعدة أمه بمعونة شهرية عوضا
عنه فقالت .. العمال فى غنى عن مساعدتك المالية فان شئت التكفير حقا
عن سوء معاملتك له وبصوت تخنقه العبرات أردفت .. من أجل الحب
مات .. وليته كان يدرى أنه فى مقدوره أن يعيش لحب الله وحسبه

شئنا أنينا

• بدرى •

ن يستمتع

كأنه افتقد

ف مقر أمه

ليس مجرد

الانسان

من أجداده

فى القدماء

فى الشرق

سور القائمة

سور أن كل

صادرة من

لهم متمنيا

قادر على

عمل باليد

ثبات وجوده

يقول لقد

.. وهنا

وم أصيب

وهو يعيش

على أننى اعتقد أن الله سيغفر له لأن حبه للمهندس كان لاعتقاده أن المهندس ضحى بصحته فى سبيل انجاز عمله على الوجه الأكمل من أجل الله على أن نهاية حياته كما قدرها الله .. فقاطعها لم توضح لى كيف اكفر عن سوء معاملتى له .. قالت .. أن تشتري قطعة الأرض التى تحوى مقبرته وتقيم عليها مدرسة لتعليم الصغار وفى مقدورى أن أعلمهم القرآن الكريم متطوعة ومبادئ القراءة والكتابة بالإضافة إلى مسجد يحمل اسمه .. فملكه الذهول ونظر اليها فى دهشة وهو يقول .. هل تحفظين القرآن ؟ واين تعلمت القراءة والكتابة فقالت : يقطن على مقربة منا شيخا خريج الأزهر الشريف عاد الى قريته بعد بعد اتمام دراسته ليؤدى رسالته كداعية لخلو القرية من المدارس فأنشأ هو مدرسة فى حدود امكانياته لتعليم الصغار القرآن الكريم مع القراءة والكتابة وله الفضل فى تعليمي والحمد لله .. قال .. سوف أنفذ هذا المشروع طوعا لأن هذه المقبرة موجودة فى أرض من أملاكى .. فقالت .. جزاك الله خيرا وسوف يكون لك الفضل فى تعليم أبناء العائلات المقيمة هنا وهم من الفقراء المحتاجين إلى العون والمساعدة .. ويمكن استغلال المدرسة بعد انتهاء الدراسة لتعليمهم حرفة تساعدكم على مواجهة الحياة بعملهم وتنهت مردفة .. لو كان حيا لعلمهم موسيقى الفطرة فقد كان يجيدها ولشد ما أتمنى أن يتعلم الصغار الموسيقى بجانب القرآن لتشغل فراغهم ومع تطهير مشاعرهم بالقرآن تقصيههم الموسيقى عن كل ما ينتهى إلى الرذيلة بصلة .. فقال يمكننى استدعاء مدرس لها على حسابى .. وأى حرفة تصلح لهم فى هذه المنطقة ؟ قالت : صناعة السلالات والحصار من سعف النخيل والكليم من صوف الأغنام ولقد كان فى نية المرحوم أن يفتتح مصنعا صغيرا لتعليم أبناء هذه المنطقة هذه الصناعة بعد أن يوفر من مرتبه الذى سيتقاضاه من عمله فى السد ولقد قال لى فى آخر حديث له معى قبل

مرض المهندس شفاه الله أن المهندس وافق على هذا المشروع ووعدته بمساعدته ماديا وتكليف المختص لتعليم الصغار هذه الحرفة فليتك تنفذ هذا المشروع أيضا من أجل الله وتأوهات مستطردة ليتنى قابلته قبل انتحاره .. فلو تمهل قليلا لرآنى قبل أن يتخلص من حياته وصارحنى بما اعتزم عليه كان فى مقدورى أن أحول دون انتحاره وافتح بصيرته على نور الله الذى غاب عنه ساعة يأسه وقنوطه وسيطر الشيطان عليه وقال الله شر الشيطان وحدها لله لأنك استعدت إيمانك كما يبدو .. وأدركت من شعاع الشمس الساطع ميعاد ذهابها إلى العمل فتركته بعد أن حيته وعندما ذهبت راعها منظر العمال وقد بدا على وجوههم الحزن واصرارهم على العمل لإلغاء نقل المهندس فأيدتهم ولم تدر أن الأقطاعى تبعها دون أن تدري ومن شدة حماسها قاطعها .. لقد علمت من أخى الذى رآه فى القاهرة أن مصلحته تقضى بتنفيذ هذا القرار حرصا على صحته وحياته إذ لم تعد صحته بعد الجهد الذى بذله تحتل الحرارة هنا ولو عاودته الحمى ستكون أشد خطرا وصدقت (هبه) ذلك فقالت .. إذن عاينا أن نعمل كأنه معنا وان نقيم له تمثالا من هذا الصخر الذى حوله بقدرة الإنسان المؤمن إلى نبع للخير والرخاء ولكى يثير هذا التمثال إلى كفاح وعزيمة ابن مصر البار فى سبيل إسعاد ابنائها على مدى السنين وليكن هذا التمثال الدليل على الحب الذى ربط بينكم وبينه من أجل الله ولا تنسوا الشاب الذى انتحر من شدة تعلقه به واستحالة حياته بدونه فأقيموا له تمثالا كراعى للأغنام وفى فمه الناي الذى كان يطربنا به فوافق بعضهم وقال البعض لا يمكن تنفيذ ذلك إذ هذا العمل يتطلب نحاتا خاصا فقال الأقطاعى أنا أعرف فنانا يجيد هذا العمل ويمكننى استدعاه على حسابى فقالت (هبه) وليكن فى المكان الذى كان يجلس فيه المهندس ظهرا ليستريح وهنا لمحاو مقدم المهندس

تقاده أن
أكمل من
حتى لى
لأرض
مقدورى
بالإضافة
شدة وهو
فقلت :
فرته بعد
الدارس
ن الكريم
.. سوف
ن أملكى
عظيم أبناء
والمساعدة
هم حرفة
ن حيا
ن يتعلم
مشاعرهم
ة . فقال
ح لهم فى
ل والكليم
نما صغيرا
تبه الذى
معى قبل

المنتدب فقالوا لقد هل الجبار فتفرقوا فى فزع وقد أخذ كل عامل مكانه فى العمل فقالت (هبه) لتهون عليهم .. لا تظلموه .. انه يخشى أن يفشل فى مهمته وانتم السبب لأنكم أهملتم العمل على أثر غياب المهندس (ناير) فقال بعضهم لقد فسر حبنا للمهندس (ناير) يحول دون تنفيذ أوامره فقالت حاولوا أن تشعروه بالحب بتأدية العمل على الوجه الأكمل وسوف تتحول معاملته لكم من الغلظة إلى الرأفة ومن القسوة إلى الرحمة وتركتم لتأخذ مكانها المحدد لعملها بعيدا عنهم وكان الأقطاعى لم يزل واقفا مأخوذا فقال له رئيس العمال مشيرا إليها .. إنها بركة .. تصور إنها تعلم أولادنا القرآن دون أجر .. ربنا يجميها .. يا هنا من تتزوجه وتكون أم أولاده ..

وترامى إليهم صوت آذان الظهر من مذياع كان مع أحد العمال فتفرقوا لتأدية الصلاة وبعد عودتهم قال بعضهم افتح المذياع عل فيه أغنية فقال صاحب المذياع أنا أفضل اذاعة القرآن فلما فتحه شدهم حديث رائد الدعوة لفهم معانى القرآن الشيخ محمد متولى الشعراوى



الفصل الرابع

لقد لاحظت (هبه) أن الأقطاعى يحاول أن يتبعها خصوصاً بعد انصرافها من العمل ليعرف مقر أسرتها لذلك احتاطت وأقامت علاقة طيبة بينها وبين العجوز الذى لجأت إليها من قبل لكى تذهب إليها بعد انتهاء عملها اليومى ولم يحاول الأقطاعى أن يشعرها بتتبعها غير انه اضطر إلى أن يستوقفها فى اليوم التالى ليقول لها بعد أن حياها ..

لقد حضر المآل بعد استدعائى له فى الهاتف مباشرة وهو يريد تحديد المكان الذى أشرت إليه البارحة .. فنظرت إليه وكأنها لأول مرة تراه فقد بدا لها على غير ما عهدته يشيع فى عينيه بريقاً ينبى عن إشراق روحه وخيل إليها أن روح المهندس جذبت روحه ليمارس عمل الخير فلبس من العسير على من يحول الجماد إلى شىء يتكلم بغير لسان حسب مشيئة الله أن يحول روح إنسان من الشر إلى الخير أليس البناء الذى أقامه فى السد يلهم الشعراء والأدباء والفنانين فيتكلمون باسمه ونبهها من سروحها الأقطاعى قائلاً .. لقد تأثر المآل بالعمل الضخم العظيم الذى قام به المهندس (ناير) ورفض أن يأخذ أجراً منى مساهمة منه فى تخليد المهندس واعترافاً بنبوغه وسوف نكون فى انتظارك صباح الغد إن شاء الله عند مجيئك لعملك لتحديد المكان الذى يقيم عليه تمثال المهندس والمكان الذى يقيم عليه تمثال الراعى حسب رغبتك وبعد تأكدها من انصرافه وبعده عن المنزل الذى تلجأ إليه اتجهت فى طريق مقر أسرتها وهى تستعرض موقف الإقطاعى مع العمال البارحة وموقفه مع المهندس يوم أصيب فى اسوان وأيقنت أن تصرفاته تلك لا تصدر إلا من إنسان تطهر قلبه من العبث والمجون وقذف الأنانية والغرور فى أعماق أعماق النيل الذى خلقه الله ليروى عطاش الناس أجمعين .. ولم تكذ تصل إلى منطقة العمل حتى سمعت أصواتاً تعبر

أهل مكانه
يخشى أن
غيا ب
() يحول
عمل على
رأفة ومن
يدا عنهم
مشيرا
أجر ..

العمال
ع على فيه
شدهم
شعراوى

عن الفرح والابتهاج وخيل إليها أن العمال يرحبون بالمثل .. فاسرعت نحو تجمعهم .. وإذا بالمهندس (ناير) يبادلهم القبلات والعناق .. وعندما تقدم إليه المهندس البديل .. قال له .. جئت للزيارة والاطمئنان على العمل لأن أجازتى لم تنته بعد .. وعندما علم أنه سيقام تمثالا له .. رفض فى إصرار .. وفى هذه اللحظة وصل الإقطاعى والمثال .. وقال للمثال .. إذا كان فى مقدوره أن يعمل تمثالا يجمع جميع من ساهموا فى هذا العمل وفى مقدمتهم هؤلاء العمال فلهم الفضل فى انجازه ومن أجلهم جئت الآن لأحيى فيهم المهمة العالية والعزيمة الفائقة والاخلاص الأكيد للعمل بتأثير حبهم الله ورغبتهم فى أن يرضى عنهم وتأثر المثال بكلامه وقاطعه .. ولكنهم يريدون عمل التمثال لك وحدك .. فقال المهندس .. معاذ الله أن أثبت على مر العصور أنني قمت بهذا وحدى .. وكأنى بذلك سابت مجهود العاملين المخلصين .. وحيال إصراره اقتنع المثال .. مكثفيا بعمل تمثال للراعى .. فاعترض المهندس أيضا قائلا .. وهل يستفيد أهل هذه المنطقة من إقامة هذا التمثال ؟ أبدا .. الأفضل أن نعمل عملا يدر الخير على من تعوزهم المساعدة والبر فقاطعته (هبه) معك حق .. وقدمت الإقطاعى الذى كان واقفاً ينتظر دوره فى الكلام فلما حان شرح للمهندس المشروع الذى اقترحته العاملة هبه .. فوافق المهندس شاكرا لها حسن صنيعها ومقدرا صفاء ذهنها ونقاء تفكيرها وصلاحية توجيهها .. وهنا اصطحب الإقطاعى المهندس ليرى على الطبيعة المكان الذى سيقام فيه المشروع وبعد الاطلاع عليه دعاه مع المثال لتناول الغذاء عنده .

وبعد انتهاء المهندس والمثال من تناول الطعام والاستراحة بعض الوقت مرضاة للمضيف خرجوا وعند مرورهم على المكان وجدوا (هبه) ترسم على الأرض تحديد مبنى الجامع والمدرسة وهى تنشد ..

يارب أنت مروضى

وأراك أبداً ملهمى

انى أحبك واضحاً
وأحب فيك تكتمى
أكرم إلهى المؤمن
وأنله فيض الكرم
من نبع خلدك أسقه
من شهد روض الراحم
ليزيل كرب البائس
ويعين أهل المعدم
يا زارعاً فى قلبنا
نبت الغرام الدائم
يارب أمنح جيلنا
حباً كحب المغرم

واسعفت الذاكرة الإقطاعى فقال ..

لو علمونى لكنت أعلم عالم
ولكان بيتى كعبة الزوار
لكنهم ظنوا الثراء مناعة
تحمينى من غدر الزمان الجارى

وهنا صفق المهندس والمثال وقال المهندس .. حماسة تشدو وعقب

المثال .. وعندليب يتغنى ..

واتجه نحوها الإقطاعى قائلاً .. غداً إن شاء الله سنضع حجر
الأساس لبناء الجامع والمدرسة بحضور المهندس والمثال قبل عودته
للقاهرة وقد تفضل المهندس ورسم هندسة هذا البناء أثناء تشريفه
عندى اليوم وبذلك أصبح الفضل له فى تصميم هذا المشروع أثابه الله

خيرا وجزاه بما يستحق من ثواب بقدر الخير الذى يعود على المستفيدين
من هذا العمل الذى نقوم به من أجل الله ..

وكان لابد أن تستأذن (هبه) لتعود إلى منزلها منتهزة فرصة
وجود المهندس والمثال مع الإقطاعى لكيلا يتبعها .. ولم تكذ تصل
دارها حتى فاجأها فتاة تطلب منها العون لاسعاف أخيها الصغير حيث
أصيب بجرح من جواد جمح يصاحبه في الصباح الباكر عندما كان
يرتاض راكبه كما تعود كل يوم ولم ينتبه لعجز الطفل عن الاستغاثة
وأسرعت (هبه) لتضمد الجرح إذ سبق لها دراسة الاسعافات عندما
تطوعت في الخدمة الاجتماعية في اسوان .. أثناء اقامتها مع والدتها
التي رافقت حرم الضابط رئيس نقطة هذه القرية لكي تدرب الراغبات
من الفتيات على القيام بالاسعافات إذ يحتمل أن تقوم الحرب بين مصر
وإسرائيل كما تشير الأنباء التي يذيعها كل قادم من القاهرة وكانت أمها
تعمل في خدمة هذه السيدة وكانت (هبه) عرفت في قريتها باسم
الحكيمة لنجدتها كل مصاب كأنها ملزمة بذلك لا فرق بين قريب وغريب
أو من يستجير بها من الضواحي المجاورة وبجانب ذلك لا تقنع بمداواة
الجرحى بالعلاج والإسعاف الواقى الذى تعلمته بل تبيع نصيبها من
التمر ولبن الماعز والجبن إذا تطلب العلاج أجر طبيب وتقديم نصيبها
من الخبز واللحم لمحروم لا يجد قوت يومه مؤثرة صوم اليوم كله
شاعرة بأن الله يعوضها خيراً ب زاد روحى واحتمال بدنى وساعدها على
هذا اليقين حفظ صحتها من كل سوء مع النشاط والحيوية التى تمتاز بها
عكس لداتها من بنات المدن اللاتى ينعمن بأطاييب الحياة فكثيرا ما يتعرضن
لأمراض تحتاج لعلاج مزمن أو تزول بعد عناء وإذا أخذت عليها
أمها إيشار غيرها على نفسها وحرمانها من القوت اللازم لها ..
استشهدت بأن السيدة نفيسة رضى الله عنها بنت الحسين رضى الله
عنه وحفيدة السيدة فاطمة الزهراء رضى الله عنها ابنة الرسول ﷺ

كانت تصوم أكثر الأيام لتقدم الغذاء لكل محتاج فليتها تكون مثلها •
وإذا اعترضت الأم لفرط حنانها سردت عليها (هبه) ما جاء في القرآن
الكریم أو أحاديث النبی ﷺ وتأكيد السيدة عائشة أم المؤمنين في
أحاديث لها •• ان الجوع لا يضر من أجل اشباع الغير مرضاة الله ••

وكان لابد أن تنقطع لعلاج الصغير في اليوم التالي لعدم انقطاع
نزيف الجرح ورأت لابد أن يدخل مستشفى إسوان والصغير لا يستطيع
السير على قدميه فاضطرت أن تستعير حمار أحد الجيران لتحمله عليه
ولم تشأ أن تعهد بذلك لأمه خشية أن تعرضه لشمس الطريق فيزداد
ألم الصغير فأخذت على عاتقها القيام بهذه المهمة ولم تكذ تقطع شوطاً
في الطريق حتى لمحها الإقطاعي بعد أن ودع المهندس والمثال ••
فاستوقفها قائلاً •• لماذا تجشمي نفسك مشقة ركوب حمار وفي وسعك
ان تكلفي أي أحد باحضار عربة من عندي فلما أخبرته عن السبب ••
حمل الطفل وهياً له مكاناً مريحاً في عربته قائلاً لكي يطمئن الصغير إليه
يجب أن تظل معه ولكي تطمئن عليه أيضاً واقترح علاجه في عيادة الطبيب
الخاص به إذ يشاع أن العلاج بالمجان في المستشفى لا يؤدي على
الوجه الأكمل لازدحام المستشفى بالفقراء المحتاجين للعلاج فعلقت
اعتقد أن السبب الحقيقي سوء الرقابة وعدم التزام بعض الأطباء
بالواجب الإنساني الذي يحتم عليهم العلاج على ضوء الرحمة المنبثقة
من الرحمن الرحيم والطبيب يقوم بتأدية رسالة تتصل بالله دون أن يدري
بدليل أننا نلاحظ في هذه الأيام كما يشيع أن راغبي دراسة الطب
يعتقدون أن هذه المهنة تدر عليهم مالا وفيراً فاعترض الإقطاعي قائلاً ••
قد يكون لهذا الزعم من الصحة نصيب ولكن ذلك لا ينفي أن هناك أطباء
يقومون برسالتهم من أجل الله لا من أجل المال مثال ذلك الدكتور إبراهيم
ناجي رحمه الله كان يعالج المرضى بمشاعر الإنسان الشاعر فكان يعالج
فقراء المرضى دون أن يتقاضى أجر الكشف بل يحول المحتاج إلى صيدلي

بجانبه ليمنحه الدواء على حساب الدكتور حسب تعليماته وهو لا يقنع بمعرفة النبض أو قياس الضغط بل يساير المريض كصديق ليعرف كيف يعيش وعلى ضوء تصريحات المريض يعالجه ومن تصرفاته الإنسانية أن اتضح له بعد الكشف على مريض أن السبب عدم تناول الغذاء الكافى لمقاومة جهد عمله فصارحه بذلك وناولها جنيها ليشتري دجاجة يأكلها وما تبقى فأكمة وكانت الاسعار يومئذ تكفى لذلك .. وبعد أيام قابل المريض يتناول الشاي حيث كان يجلس الطبيب أحيانا ليسجل خواطره ولما سأله كيف حالك ؟ أجابه لقد ذهبت إلى طبيب وكتب لى روثته استعصى على شراء ثمنها لأنه أخذ الجنيه مقابل الكشف ..

وهذا هو الفارق بين الطبيب الإنسان والطبيب المحترف فتأوهت (هـ) قائلة كل المهن تحتاج لإنسانية أى عمل فالإنسانية هى المولد الكهربائى الخفى الذى يشع منه حرارة الإيمان التى تسيطر عليه وتلهمه الصواب ليرتفع بإنسانيته عن مصاف من لا إحساس لهم ..

وذهبت يوم قرر الطبيب السماح للصغير بالخروج لشفائه فلم تجده وعلمت أن البك الذى أحضره أخذه .. وأيقنت أنه حمله إلى أمه ليطمئننها بعد أن عرف من الطفل مكان أمه .. فأسرعت لتطمئن عليه فإذا بالأم تستقبلها بالدعاء إلى البك الذى حمل إليها أبنها وقال الصغير بصراحة الطفولة مشيراً إلى مبلغ كبير كان لم يزل فى المكان الذى وضعه البك وهنا أدركت من حديث الأم عندما وصفت من أحضر المولد وترك لها النقود انه الإقطاعى .. فقالت لها .. لقد أراد أن يعوض ابنك بدل من أصابه .. وأنا على استعداد لأى خدمة وودعتها وقبلت الصغير وانصرفت متمنية الصحة للصغير وطول العمر للأم .. وفى طريق عودتها كان المنزل الذى لجأت إليه من قبل فى طريقها والعجوز واقفة على الباب كأنها خارجة منه فتقدمت إليها لتحيتها وتسألها إن كانت فى حاجة إلى خدمة لتقوم بها بدلاً منها فشكرتها العجوز وقالت أنها كانت

فى زيارة ابنتها ولم تدر أن الإقطاعى كان مقبلا نحوهما •• فحيت
العحوز وأسرعت إليه قبل أن يصل إلى هذا المنزل •• فلما اقتربت منه
تقدم نحوها قائلاً •• كنت قادم إليك لكى أدعوك إلى مشاهدة وضع
الأساس لبنى المشروع الذى لك الفضل فى انشائه فسارت فى
طريقه وهو يسير بجانبها قائلة له •• أرجو ألا تحاول الحضور هنا لكيلا
تتعرض لأذى لا يخطر على بالك •• فرجال الريف يعترضون بعروببتهم
ويحرصون على حماية المرأة مهما كلفتهم الحماية التى قد تؤدى الى قتل
المعتدى ولما وصلا مكان بناء المشروع كان العمال فى انتظار الإقطاعى
(البك) كما يطلق عليه للبدء فى وضع الأساس فلما لحوا (هبه) رددو
أهلاً •• أهلاً •• وقال من كلف بوضع (المونه) اعتقد لكى تحل البركة
بإذن الله أن تضع الآنسة أول جزء بيدها فقال الإقطاعى •• لو استجابت
لرغبتك •• تكون يد الله فى يدها •• وفى صوت هامس قال عامل :
استغفر الله وهل الله يد •• فقالت (هبه) إنه يعنى بأمر الله •• وهذا
الأمر كأنه يد الله •• وقال عامل آخر •• ألا ننتظر ريثما يحضر المهندس
وقد جئنا رغم أننا فى عطلة الأسبوع من أجله ؟ فقال الإقطاعى :
لقد عاد البارحة إلى القاهرة لأنه لم يزل تحت العلاج فقال عامل
آخر •• إذن يجب أن نرسل إليه مندوباً عنا ليطمئن على صحته ويرجوه
باسم العمال جميعاً أن يعود إلينا بسلامة الله بعد أن يلغى قرار نقله
فقال الإقطاعى •• اعتقد لن تسمح له زوجته بذلك لأنها متعلقة به
وسوف يستجيب لرغبتها لأنه يحبها •• فقاطعه هذا العامل ولكن حبه
الله أكثر بدليل أنه تركها مدة إقامته هنا وكان يحفزنا دائماً للعمل مرضاة
لله •• على أننى واثق من أنه سوف يستجيب لرجائنا وحبنا عندما أذهب
إليه فقاطعه أحد العمال إن سنك لا تساعدك على متاعب السفر كما أنك
لا تعرف عنوان أسرته فقال أحدهم أنا أعرفه إذ أرسلنى قبل مرضه
بانتاج اسوان مما يصلح للعلاج من أعشاب للمرضى مع تمر هندى

وكركدية وتمرفقاطعه آخر : أنا أوفر منك صحة فاعطني العنوان إن كنت تعرفه حقا فأجابه المهم أى أحد منا وعنوانه ها هو وأخرج من محفظته ورقة بها العنوان فوقعت على الأرض فالتقطتها (هبه) وقرأتها ثم قالت •• انتظر للغد لكى اكتب له رسالة باسم العمال لكى تأخذها معك وهنا تركهم الإقطاعى وبعد أن اطمئن على بدء العمل ريثما يستدعى فى الغداة عمالا من دائرته لم يرتبطوا بالعمل فى السد •• وبعد انصرافه تقدم رئيس العمال مخاطباً (هبه) نعتقد أنه لا يؤثر عليه لإلغاء قرار النقل إلاك •• ونحن نتوسم فيك شجاعة نادرة تساعدك على السفر •• فقالت (هبه) وهبنى وافقت مرضاة لكم ومصلحة للعمل من أجل الله فماذا تقول زوجته عنى فقد تظننى مثل فتيات القاهرة الجريئات وقد تعرفت عليه على صورة غير شريفة وقد رأيت فى التليفزيون عند حرم الضابط التى أمى تعمل عندها مناظر مخزية تجمع بين الرجل والمرأة فى مواقف لا تنتمى للإسلام بصلة ! فقال العامل : إذهبنى بملابسك البدوية وقولى لزوجته انك ابنة عامل ممن يعملون تحت اشرافه وقد أرسلك نيابة عن العمال للاطمئنان عليه إذ لم يتمكن أى عامل أن يأتى لأن المهندس الجديد لم يوافق على أخذ أجازة •• وأعتقد أن الاطمئنان على صحته والعودة إلينا يهكم مثلنا •• فهزت رأسها وهى تقول : سوف أحاول أن أقنع أمى واختلق لها سببا لسفرى مع بنات الخدمة الاجتماعية المرشحات لتمثيل بنات الصعيد فى مؤتمر المرأة فى القاهرة وحازت اعجاب العمال مع تهنئتها على ذكائها وقبل مغادرتهم أقبل الإقطاعى ليخبرهم أن غداء الظهر فى الطريق إليهم وهنا أخبره أحد العمال بانتداب (الأنسة هبه) للذهاب إلى المهندس لتقديره لها •• فلم يعترض الإقطاعى وقال •• وفقها الله •• وعند عودتها مرت كعادتها على منزل العجوز لاعتقادها أنه يتبعها •• وقبل أن تصل إلى المنزل استوقفها قائلاً : " يمكنك السفر فى القطار الذى يقوم مساء وطهأنها

على وجود عربة وسائقها فى انتظارها إذ سوف يتصل بمكتبه فى القاهرة ليكلف من يقوم بهذه المهمة ..

ووافقت أمها على سفرها بعد الحاح ورجاء .. ثم أخذت القطار المنفق عليه ولما وصلت القاهرة وقفت مبهورة وظلت يرها تفكر ما عساها تفعل وهنا تقدم منها سائق عربة وقفت أمامها وقال .. هل أنت من تريد الذهاب إلى منزل المهندس (ناير) قالت أجل أنا .. فقال تفضلى وفتح لها باب السيارة ولكنها ظلت واقفة كالمسحورة فأشار إليها بيده لتركب قائلاً .. اركبى .. ولمحت شخصاً يرقبها فى دهشة فارتعدت وقالت .. أخشى أن يرانى أحد أبناء قريتنا الذين يتعلمون هنا فى القاهرة فيسبى الظن بى .. فحرك السيارة وهو يقول .. أين المنزل .. أعنى عنوانه فذكرته له وقبل أن نقف أمام المنزل .. فتحت منديلها الذى وضعت فيه النقود التى معها وقالت قالو لى لما اركب أى شئ يوصلنى للمنزل أدفع الأجرة .. أنت عايز كام .. فقال صاحب هذه السيارة لا يأخذ أجراً ممن يجيئون لزيارة أهل البيت ولا شك إنك جئت من أجل ذلك بوسيلة أهل المهندس فتركته يظن ذلك وقالت الحمد لله أنى وصلت .. دا أنا طول المسكة وأنا خائفة تصطدم بسيارة من كثر الزحام بعكس عندنا العربات فى إسوان تسير فى هدوء فقال : انتى من إسوان .. دى معجزة تعمير العصر بالسد فقالت .. ياريتك تيجى وتشوف منطقة السد لقد أصبحت كفردوس أرضى فقال يبدو أنك تحبين هذه المنطقة .. قالت .. كل الحب لأن كل من فيها يتعاملون على ضوء الحب من أجل الله ولا وجود عندنا للذئاب التى تقتنص الفتيات البريئات للاعتداء عليهن كما تظالنا الصحف .. قال معك حق .. عندكم كل ما ينتمى إلى الإسلام والفضيلة بحق .. بارك الله فيك وفى أهل بلدك ..

وقبل أن تصل السيارة إلى منزل المهندس توقفت فلما كشف عليها اتضح أنها فى حاجة إلى ميكانيكى فجرها بمساعدة بعض المارة ووقفها

في الجانب المباح فيه الوقوف ونزولها ريتما يحضر الميكانيكي .. فراقها
الوقوف بجانبها تتمكن من رؤيته المارة ولشد ما ادهشها رؤية النساء
عاريات الأذرع والسيقان والصدور وهذا حرمة الله فريعت
وهمست لنفسها يا للعار .. من أي دين هؤلاء لأبد انهن من الدين
البهائي الذي يتحدثون عنه الآن ويتبرأ منه الإسلام .. أنا فخورة
لأنني انتمى لقرية تحرص المرأة فيها على أن تخفى جسمها وتغطي
وجهها بخمار لا يظهر غير عينيها لتتمكن من رؤية الطريق إذا خرجت
وخيل لبعض الشباب المتسكع في الطريق أنها خادمة صاحب هذه
العربة ولولا فقرها لما كان هذا الجمال في خدمة رجل من الأغنياء قطعاً
وراحوا يدورون حولها على أمل اختطافها بأي وسيلة مرددين ألفاظ السوق
والوقاحة على مسمعها بينما كان السائق يسأل عن المهندس في الهاتف
فأخبرته زوجته بأنه نائم ولا يمكن أن يصحو .. في حين راحت تردد
(هبه) الدعاء إلى الله أن ينقذها من هؤلاء الذئاب واسرعت لتختفي في
السيارة واقترب بعضهم ليقول على مسمع منها لأنها لم تعرف كيف
تغلق زجاج نافذة السيارة .. أنها تتخفى بزي بنات الصعيد لتبعد عن
نفسها الشبهة ويقول آخر قد تكون ممثلة كانت تقوم بهذا الدور وبينما
هي تائهة في بیداء حيرتها واضطرابها وخوفها وقلقها توقفت عربة بجانبها
وأسرع السائق إليها لتركب فيها وهو يقول .. وكأنها كانت غريقة وقد
انتشلها من الغرق معذرة .. لقد تأخرت إذ لم أجد الميكانيكي في مكان
المفروض أن يكون فيه إذ يجب أن يكون تحت الطاب ولو جاز لي أن
أقترح بضرورة إيجاد محطات لتصليح العربات والاتصال بها بوسيلة
الهاتف وقت الحاجة وهنا لمحها في مرآة العربة تجفف دموعها فقال بلهجة
مهذبة هل أسأت اليك بتأخيرى هذا معذرة برغمى والله ..
لشد ما أنت مرهفة الحس يا آنسة ؟ .. فقالت بلهجة الأسف
لأول مرة اسمع ألفاظاً بذيئة لا تصدر إلا من لا دين
لهم لقد حاول بعض الشبان لا أعرف كيف أسميهم غير

أنهم شياطين يلبسون مسوح البشر ولو صوبوا المسدسات نحو صدرى لقتلى لكان ذلك أهون على مما سمعت .. إذا كان هذا شأنهم فتاة تقف موقفا بريئا لا ينتمى إلى الرذيلة بصلة فما بالهم إذا شاهدوا إزاء فتاة تبدو مستهترة كأنها لا تنتمى إلى الفضيلة بصلة .. وفهم السائق ما حدث فقال .. هونى عليك فالقاهرة كالمحيط الهادر تجمع بين الخير والشرير وما حدث صورة لأبناء لم ينالوا قسطاً من تربية أبوين صالحين أو انصرفوا لأسباب لا صلة لها بالإسلام ..

وعندما وقفت السيارة تنفيذاً لإشارة المرور لمحت بعض النسوة يتزين بعقود وأقراط من الخرز الملون .. فقالت بأهجة الدهشة .. با عجباً .. كنت اعتقد أن الخرز لا يتحلى به غير فقراء واديننا .. فضحك بغير صوت وقال : إنها موضة في أوروبا بعد أن باعت النساء الحواهر والذهب أثناء الحرب لشراء الاسلحة لانتصار دولتهم .. فتنهدت في مرارة وقالت : تبا لهؤلاء الذين يشنون الحرب على البلاد الآمنة فإذا بها تتحول إلى مآسى تحوى الأرامل والأيتام والعجائز اللاتي كن فى أشد الحاجة لأولادهن وأزواجهن والآن عرفت لماذا تشتري السائحات عندنا كل ما صنع من الخرز فأبتسم وقال هل معك ما أشتريه لأخواتى .. ؟ فقالت : لقد بعث ما كان لدى من أجل مصاريف مجيئى هنا .. وسألته بكم تباع القلادة والقرط المصنوعان من الخرز فلما ذكر الثمن صعقت وقالت لقد بعث كل ما لدى وكانت أُمى أعدته لأتزين به وقت زواجى بثمان أرخص من هذا اسائحة أمام رجل كان يرافقها كمرشد لها .. وقبل أن أغادر مكاني .. عاد بدونها وقال : سوف أصحبك إليها لكي تستردى ما بعته إليها لأننى فى حاجة إليه من أجل ابنتى العروس وسوف أنقذك الثمن الذى أعطتك إياه .. وتم له ما أراد لاعتقاده ان ابنته العربية أولى من السائحة الأجنبية ولما عاد معى إليها خاطبها باللغة الانجليزية التى تعامها بممارسة الاختلاط بالسائحين فى هذه المنطقة ..

.. فراقها
النساء
فريعت
من الدين
فخورة
وتعطى
خرجت
احب هذه
شيء قطعاً
ظ السوقة
فى الهاتف
تتحدث
تحدث فى
عرف كيف
التباعد عن
ور وبينما
بجانبيها
عريقة وقد
فى مكان
أزلى أن
بوسيلة
قال بأهجة
والله ..
الأسف
ن لا دين
هم غير

ولكى يكشف الله أمره مر بهما شاب مصرى فوقف يتأمل السائحة ويصمى إلى الحديث الذى جرى بينها وبين الرجل وكان يجيد الانجليزية وعرف أن الأمر يتعلق بى إذ كنت لم أزل فى موقفى .. انتظر صديقة لى هى التى رافقتنى إلى هذا المكان لبيع ما أريد فأسرع إلى وسألنى هل أنت التى بعت لهذا الرجل وأشار إليه هذه الأشياء المصنوعة من الخرز .. قلت أجل .. قال بكم .. قلت بهذه القيمة .. وعرضتها عليه وكانت كلها نقود فضية فلما كنتى بذكرها ولم يفحصها .. فقال .. انك ساذجة .. لقد خدعك وقال للسائحة إنك نشالة وقد سرقتها منه ولذلك بعتها لها بثمن رخيص وأخذ منها الثمن الذى حددته .. فقلت .. تعال معى إليه لى أثبت لك أنه كذاب وأن هذه الأشياء ملكى أنا .. فرافقنى إلى الرجل فلما قال له الشاب .. حرام عليك تخدع بنت بريئة وتتهمها بالنشل لى تستولى على الثمن الذى كان يجب أن تأخذه هى .. انت نصاب ومحتال .. ولم يكذب يذكر ذلك حتى انهال عليه الرجل بالضرب وهو يقول يظهر انك شريكها فى النشل واجتمع بعض الناس ولم يحاولوا معرفة السبب الحقيقى لضرب الشاب لترديد الرجل .. نشال ونشالة .. وخيل للناس يكفى ما ناله الشاب من جرح أسال الدم من وجهه من شدة لكلمات الرجل وإيقاع الشاب على الأرض واصطدامه بقطعة حجر جرحته .. ورغم اعترافى بأننى بريئة وهذا الشاب برىء وهذا الرجل نصاب ومحتال .. لم يصدقنا أحد .. وكان لزاماً أن أصحب الشاب إلى المستشفى لتضميد جرحه وإيقاف النزيف وقد تطلب ذلك ذكر أسباب ما حدث للشاب فإذا بنا نحول إلى الشرطة لعمل محضر .. هو كالمجنى عليه وأنا شاهدة على ما حدث .. واضطر الشاب أن يرجو الضابط أن يترك سراحي إذ لا ذنب لى ويكفى تسجيل شهادتها فى المحضر وهو متنازل عن القضية لأنه طالب فى الجامعة ولا يريد أن يعرف والده لكيلا يتهمه بالتهور وتدخله فيما لا يعنيه وقد تتطلب القضية استدعاءه للتحقيق من حين إلى حين وذلك يعطله عن دراسته ..

فوافق الضابط وترك سراحنا بعد أن نصحنى بالحذر من معاملة أمثال هذا الرجل ولو عرف اسمه لاستدعاه وعاقبه ..

أرايت الفارق بين أخلاق من ينتسبون للإسلام وهم لا يحملون من الإسلام غير اسمه .. وبين الأجانب التي تمثلهم هذه السائحة وهم يتعاملون بأسلوب الصدق والأمانة كأنهم ممن يعتنقون الإسلام ... وسكنت عندما أوقف السائق العربية أمام منزل المهندس وهو يقول لقد وصلنا إلى منزل المهندس المكتوب في العنوان ، ولعلى لا أتطفل إذا سألتك هل أنت قريبته أم قريبة زوجته ؟ فقاطعته .. لا اكذب عليك .. لقد جئت موفدة من قبل عمال يعملون تحت إشرافه لكي يطمئنوا عليه لأنه كان مريضاً وفي طريق الشفاء فقال .. اسمح لي أن أبدى اعجابي بصراحتك التي تدل على سمو نفسك وإيمانك الأصيل إذ كان يمكن أن تكذبي وتقولى .. أنك قريبة للزوج أو الزوجة .. فلو كانت فتاة من بنات المدن .. لأكدت تخميني .. فقالت .. هبها قريبة !! أليست قرابة الجنس والوطن كقرابة الدم ألسنا كلنا من سلالة آدم عليه السلام فقال .. جميل أن تدافعي عن بنات جنسك بمنطق سليم . ولو كان لكل إنسان هذا الإيمان الكامن في نفسه لكنا جميعاً أبناء عائلة واحدة ولكنها تفرعت في شتى البلاد التي تنتمى لدين الإسلام وهنا لمحت المارة ينظرون اليهما نظرات الزينة ؟ فتأوهت معقبة متى تتطهر القلوب من أضاليل الحياة .. وتأهبت لكي تتركه وهي تقول : الشكر وحده لا يكفي فلعلك تجيء سائحاً عندنا لكي أكلف من يرد لك الجميل فقال .. والدك أم شقيقك قالت : لا هذا ولا ذاك رجل يعمل الخير من أجل الله .. ومازلت أرجو قبول أجر ركوبى ليرتاح ضميرى فابتسم قائلاً : مادمت مصممة .. لا شك أن المهندس لن يتركك تعودى الآن بعد مشقة السفر لذلك اسمح لي أن أنتظرك ريثما تؤدي مهمتك لكي أرافقك إلى المحطة عند عودتك إلى بلدتك بالسلامة ولا شك أن زوجته على خلق فتستضيفك حتى يحين ميعاد قيام قطار المساء وقبيل

السائحة ويصعق
جليزية وعرف
حديقة لى هي
لى هل أنت
من الخرز ..
عليه وكانت
أنتك ساذجة
ولذلك بعثها
.. فقلت ..
ملكى أنا ..
ع بنت بريئة
تأخذها هي ..
عليه الرجل
بعض الناس
د الرجل ..
جرح أسال
على الأرض
بريئة وهذا
أحد .. وكان
يقاف للنزيف
إلى الشرطة
.. واضطر
يكفى تسجيل
معة ولا يريد
وقد تتطلب
دراسته ..

ذلك بساعة سوف أحضر اليك إذ لن تجدى سيارة توصاك في الميعاد وتركها قبل أن تتكلم .. وطرقت الباب في تهيب وخجل .. وبعد أن فتحت الخادم الباب وعلمت منها أنها قادمة من إسوان اسرعت إلى سيدتها لتخبرها .. وقبل أن تراها السيدة خيل إليها أنها فتاة تعرف عليها المهندس في اسوان ولا شك أن بينهما علاقة ولعله أخبرها أنه غير متزوج فقابلتها بوجه عابس وسألتها بلهجة الاحتقار من تكون ؟ وزلزل صوتها كيان (هبه) فارتبكت لحظة ولكنها غابت اختناق انفاسها وارتباكها وقالت أنا .. فلم تدعها تنتهم كلامها وقالت .. انا جرم الباشمهندس (ناير) أظن أنت الشغالة التي كنت كلفته باحضارها (ماما) ولم تكذ تذكر ذلك حتى ربيعت (هبه) وانقبض قابها وزاد اضطرابها فعادت تقول .. أنا يا هانم فلم تدعها تكمل كلامها وقالت للخادم خذها معك في المطبخ تساعدك ريثما أكلم (ماما) في التليفون وبلهجة المغيظة قالت : إسوان كانت شؤم عليه وعلينا فتوقفت (هبه) وقالت بالعكس يا هانم .. اسوان ينبوع من الخير للجميع وحمداً لله الذى أنعم عليه بالشفاء .. والأحداث لا علاقة لها بالمكان .. فى بورسعيد استشهد فيها الآلاف وهم الآن يحتفلون فى بورسعيد بذكرى الشهداء كأنها تترف اليهم تهانى الاعتراف ببطولتهم .. فقاطعتها السيدة فى سخرية .. شغالة جريئة يظهر ! نك اشتعلت عند الباشمهندس ومنه اتعلمت هذا الكلام .. وفقدت (هبه) صبرها وقالت لا يا هانم .. انا تعامت فى مدرسة قريتي وساعدت أبى العامل فى السد تحت اشراف المهندس وتركتها وخاطبت والدتها فقالت لها أنا لست فى حاجة إلى شغالة .. وترامى إلى مسمعها قول (هبه) وهى تخاطب الخادم .. كنت أظن أن زوجته تمتاز بالخلق القويم والدين الأصيل مثله .. فهرعت إليها وقد ملكتها ثورة الغضب وشدتها فى عنف وفتحت الباب وهى تقول .. ليس بيتى مأوى للساقطات وقذفت بها كما تقذف الكرة بقدمها أولاً أن (هبه) تماكنت نفسها واستندت على درابزين السلم ..

الفصل الخامس

على أثر هذه الحركة المزعجة فتحت خادم الشقة المواجهة لها
 فساعدتها على النزول وهى فى حالة يرثى لها .. فلما اختلت بها تحت
 السلم وعرفت منها سبب مجيئها فلم تشك فيما قالته لاعتقادها فى سر
 خلق زوجة المهندس ولا عجب إذا ساءت الظن بها لأن المعين ينضح
 بما فيه فهى تعتقد أن جميع النساء مثلها حتى البريئات الطاهرات وسردت
 على (هبه) ما يثبت سوء سلوكها بجانب محاولتها الايقاع بينها وبين
 سيدتها على أمل أن تطردها بعد أن لاحظت أنها كانت تراقب عشيقها
 عندما يحضر إليها أثناء غياب المهندس وقضاء مدة طويلة عندها وقد
 حاولت أن تغرينى على أن أخفى ذلك بما تمنحنى من المال وكنت أقبل
 المال دون أن أخفى عن سيدتى ذلك وعندما سمعت صوت سيدتها تنادىها
 استأذنت (هبه) على أمل أن تتحدث إليها عند ذهابها إلى السوق
 الآن وقبل أن تتركها قالت (هبه) ان السائق الذى أحضرنى سيأتى
 قبيل قيام القطار بساعة ولم يمر بخاطره ما حدث ووقوفى فى الشارع
 حتى يجىء يدفع المارة إلى سوء الظن بى فقالت الخادم .. تعالى
 أقدمك إلى سيدتى .. فى حذر وهدوء لكيلا تراك الخادم أو سيدتها
 وسيدتى طيبة جداً فصارحيها بموقفك وهى لا تعيب زوجة المهندس
 ولا تختلط بها لسوء خلقها وقامت فعلاً بهذه المهمة من باب الشفقة على
 (هبه) وإيمانها واحساسها بأنها بريئة حقاً وعطفت عليها السيدة وقدمت
 لها الغذاء وعندما جاء السائق فى الميعاد ونبه بمنبه السيارة لم يبلغ
 مسامع (هبه) إذ كان ما مر بها أسلمها لغفوة عميقة لم تشأ خادم
 السيدة التى استضافتها أن تنبهها كما أنها لم تسمع صوت نفير السيارة
 إذ كانت جميع النوافذ مغلقة لتفادى هواء المساء البارد .. ولذلك عاد
 السائق دن حيث أتى ظناً منه أن زوجة المهندس استضافتها بتوجيه من
 م ٥ - من أجل الله

فى الميعاد
 وبعد أن
 سرعت إلى
 فتاة تعرف
 ها أنه غير
 ن ؟ وزلزل
 انفسها
 انا جرم
 احصارها
 قلبها وزاد
 لامها وقالت
 فى التليفون
 مت (هبه)
 مع وحيداً
 كان .. فى
 بعيد بذكرى
 عتها السيدة
 يائس المهندس
 لا يا هانم
 السد تحت
 ت فى حاجة
 الخادم ..
 ل مثله ..
 تحت الباب
 تحذف الكرة
 السلم ..

المهندس لكي تستريح بعد مشقة السفر .. وتنبهت (هبه) في منتصف الليل وكان أهل البيت لجئوا إلى مضاجعهم فلزمت الصمت لكيلا تزعجهم ظناً منها أن السائق حضر وأيقن أنها ستقضى الليل وقد تسافر في قطار الغد وعلى أمل أن يحضر غداً .. وفي الصباح صارحت (هبه) السيدة الكريمة بما طاف بذهنها .. فقالت لها .. أنصحك يا ابنتي أن تذهبي الآن إلى والددة المهندس لأنه يعيش عندها للخلاف القائم بينه وبين زوجته وهي سيدة مؤمنة أدت فريضة الحج وقد لاحظت أنك أديت الصلاة في الفجر كما أديته بالأمس .. ولكي لا تفسدي إيمانك هذا لا تخبري والددة المهندس بما حدث لكيلا تضيفي جديداً من المساوئ إلى زوجته وكأنك جئت من اسوان في التو وهناك تطمئني على المهندس .. وأعطتها عنوان منزل والدته لأنها كانت تحبها وتزورها مع زوجها الأطمئنان على صحة المهندس عندما علم زوجها بانحرافه .. وإذا جاء السائق سوف تخبره الخادم بذهابك إلى بيت أم المهندس .. ولكي تطمئن (هبه) على صحة المهندس وتراه إذ يحتمل أن يخرج في الصباح لأنه تعود السير في الطريق كرياضة قبل البدء في العمل وقد لاحظت أثناء وجوده عندما جاء للأطمئنان على العمل أن صحته تسمح بذلك .. وقبل أن تركب عربة (حنطور) بجواد مرت أمام البيت قبل أن تغادره على أمل أن تخبرها خادماً السيدة كيف تذهب .. إذ همست إليها أن تنتظر أمام المنزل حيث ستذهب لشراء لوازم البيت الآن .. فلما رأت الخادم هذه العربة قالت لها .. يمكنك الذهاب بوسيلة هذه العربة .. وأوقفت هي العربة ومن حسن حظ (هبه) أن الرجل رحب بها ووافق على توصيلها إلى حيث تريد مادامت غريبة وهو يخدم الغرباء من أجل الله لأن ابنه يعيش الآن في السعودية كغريب وبعد أن وصلت إلى بيت والددة المهندس لم يبالغ السائق في الأجر وطلب مبلغاً تعتمد أن يكون قليلاً .. ولما طرقت الباب لم تجد أي أحد فلجأت إلى

حائك بجانب المسكن وسألته أليس هذا منزل والدته المهندس (ناير)
فأجابها •• أجل ولكنهم ذهبوا جميعاً لحضور عقد قران شقيق
الباشههندس ولن يعودوا إلا في المساء وقد كلفوني بتبليغ ذلك لمن
يحضر لهم وها هو العنوان لو شئت الذهاب إليهم بيدو انك قريبة
الحاجة والدته •• فلم تعلق عليه وأخذت العنوان مع شكره وسألته كيف
اذهب من فضلك ؟ قال أمامك محطة أتوبيس اسألي الكمسارى •• وقبل
أن تسأل الكمسارى عندما وقف الأتوبيس سمعته ينادى سيدنا الحسين
•• فتنبه إحصاسها لذكر الحسين رضى الله عنه وركبت بعد معاناة على
أمل أن تعرف من الكمسارى كيف تصل إلى عنوان الفرع ولما طلب منها
الكمسارى ثمن التذكرة قدمت له جنيها اعطاه لها الرجل الذى ابتاع
منها حلى الخرز وقبل أن يتناوله قال لها ليس معى فكة فقالت له خليه
معك لما تفك •• وأدرك من لهجتها وملامح وجهها حسن نيتها وبراعتها
فقال •• خذى يا ابنتى التذكرة ودعى الجنيه معك ربما المفتح يمر
وانا ادفع الثمن من عندى فتحركت اريحية راكب بجانبها وقال وما ذنبك
افت كثر خيرك •• خذ ثمن التذكرة آهى فرصة الواحد بيداً يومه بعمل
خير عشان ربنا يفتح علينا •• فشكرته (هبه) قائلة ربنا يرزقك من حيث
لا تحتسب فابتسم الرجل وقال •• دعوتك عندى أكثر من ثمن التذكرة
فقال الآن انا مدينة لك بثمن التذكرة فكيف أردتها •• فقال يا ابنتى
انا مدين لله فلتكن مما على فقالت •• بارك الله فيك •• صحيح مصر ••
فيها الأخبار والأشعار •• وعندما وقف الأتوبيس على مقربة من
الحسين رضى الله عنه ونادى الكمسارى •• الحسين •• ورأت الركاب
يتسابقون للنزول تبعثهم وفى لهفة لزيارة مقبرة الحسين رضى الله عنه
طافت حوله مع الدعاء لأمرها وللههندس وتمنت لو تعرف اسم الإقطاعى
لدعو له جزاء ما قدمت يداها من أجل الله •• وبعد أن خرجت إلى
اليدان سألت كيف تصل إلى حلوان ظنا منها أنها كأتى شارع فى القاهرة

فى منتصف
لا ترعجهم
ر فى قطار
(السيدة
من تذهبي
بينه وبين
أنك أديت
يمانك هذا
المساوىء
فى المهندس
مع زوجها
وإذا جاء
•• ولكى
فى الصباح
قد لاحظت
مع بذلك •
قبل أن
اذ همست
البيت الآن
ب بوسيطه
الرجل رجب
هو يخدم
يب وبعد أن
وطلب مبلغاً
فلجأت إلى

فقبل لها أركبى أولاً أتوبيس يوصلك إلى باب اللوق ومن هناك أركبى قطار حلوان وبعد المعاناة ركبت الأتوبيس ولما طلب منها الكمسارى التذكرة قدمت له الجنيه ولاحظ الكمسارى بعد أن تأمله أنه مزور فقال لها ليس معى فكة شوفى معاكى غيره .. فقالت ليس معى غير هذه النقود وكلها فضة فإذا كان فيها ثمن التذكرة خذه فأخذ النقود وتأملها ثم قال .. دى كمان برانى فقالت له فى سذاجة يكفيننا شر بره فضحك الكمسارى ومن سمع كلامها ثم لزم الجد قائلاً .. دى عصابة تزوير وهمس فى أذن السائق فاتجه إلى قسم الشرطة وهناك قال الكمسارى ان هناك عصابة تزوير تستخدم هذه البنت التى تمثل البلاهة لترويج النقود و (هبه) تنظر إليه فى دهشة دون أن تدري ماذا يعنى وعندما حقق معها الضابط سردت عليه ما حدث عندما باعت حلى الخرز فى صدق وكان الضابط ذكياً يعتمد على دراسة نفسية الجانى فى تحقيقاته أكثر من اعتماده على ظواهر الجريمة ورغم اعتقاده بصدقها فيما قالت وبراءتها من التمتع عينها التمتعاً يؤكد طهرها وعمق إيمانها فقد حولها بمقتضى القانون إلى النيابة لا لإدانتها ولكن للكشف عن هذه العصابة وتانى يوم نشرت الصحف صورة (هبه) كضحية لعصابة فى تزوير النقود ولم يكذ الإقطاعى يطالع ذلك حتى اسرع إلى النيابة وأثبت للوكيل براءة المتهمه وصدقها فيما قالت وام تدر (هبه) ان الإقطاعى كان وضع فى السيارة التى ركبته جهاز تسجيل لحديثها .. ولذلك استشهد بحديثها الذى ذكرته للسائق فى السيارة .. وعندما خرجت من الشرطة وجدت السائق فى انتظارها وكأنه لا يعلم شيئاً مما حدث غير أن البك صاحب السيارة كلفه بالحضور ليوصلها إلى العنوان الذى تريد الذهاب إليه لتحضر حفل زفاف شقيق المهندس وقد أحضر باقة من الورد لتقدمها للمهندس لكى يقدمها للعروسين فلما أخبرها بذلك قالت بلهجة الدهشة وكيف عرف البك ذلك قال عندما ذهبت إليك كما

اتفقنا علمت من خادم هناك أنك ذهبت الى والدته المهندس لأنه موجود عندها واعطتني العنوان فلما ذهبت هناك علمت من الحائك بأن فتاة من الصعيد جاءت تسأل عن والدته المهندس وقد ذهبت إليها حسب هذا العنوان واعطاني إياه وترددت قبل أن تركب السيارة فقال لها : لا شك أن الحفل بدأ وأخشى أن ينتهى إذا تأخرت ولا يمكنك رؤية المهندس فقد يقضى ما تبقى من الليل في منزل أسرة العروس .. وبعد أن ركبت قالت له : لقد أخذوا كل النقود التى معى .. وهأنذا مدينة لك وفى حاجة إلى ثمن تذكرة العودة إلى اسوان . قال لا تفكرى فى ذلك ربنا يفرجها .. فمن حديثك عن جمال اسوان اعترمت السفر لمشاهدتها وقد أرافقك وهناك تدفعى لى تكاليف انتقالك وثن تذكرة العودة فهل توافقين ؟ فارتاحت لهذا الحل وقالت .. يسعدنى ويطمئننى ويريح ضميرى .. قال أتريدى زيارة الحسين رضى الله عنه قبل مغادرته .. قالت لقد تبركت بزيارته ودعوت لأمى وللمهندس (ناير) وتمنيت لو أعرف اسم إنسان لأدعو له قال ومن هو هذا الإنسان المحظوظ ؟ قالت رجل رضى الله عنه فحوله من الأشرار يوم كنا ندعوه بالإقطاعى إلى الأخيار فقاطعها وهل لك صلة به حتى يطوف بخاطرك وأنت فى رحاب الحسين رضى الله عنه ؟ قالت صلة ربطت بين روحينا فى عالم يجله كل منا ولا يعلمه غير الله قال : وما الفارق بين حبك للمهندس إذ تصرفك هذا دليل على أنك تحبينه وصلتك بهذا الشخص المجهول ؟ قالت أنا أحب الله وأحب من يحب الله فإذا جاز وأسميت تقديرى للمهندس حبا فذاك لأنه يحب الله ويعمل بدافع حبه لله ! قال والرجل المجهول ؟ قالت : الآن يعمل الخير من أجل الله بعد أن كان من قبل مستهترا عابثا يعيش لنفسه واعترف أننى كنت أحتقره فى هذا الوقت حتى قام بمهمة عظيمة لا يقوم بها غير أهل الخير لذلك أدركت أن قلبه تلقى النور ربه فى هذه اللحظة تمنيت لو يحتفظ قلبه بهذا النور ليسير على ضوئه بعيداً عن الشيطان

من هناك اركبى
الكمسارى
أنه مزور فقال
معى غير هذه
النقود وتأملها
شربره فضحك
عصابة تزوير
قال الكمسارى
البلاهة لترويج
ذا يعنى وعندما
حلى الخرز فى
فى تحقيقاته
دققها فيما قالت
مائها فقد حولها
من هذه العصابة
صاية فى تزوير
النيابة وأثبت
(ان الإقطاعى
يئها .. ولذلك
وعندما خرجت
شيئا مما حدث
العنوان الذى
وقد أحضر باقة
ما أخبرها بذلك
هبت اليك كما

واعتقد أن الله استجاب لدعائى فله الحمد •• إذ راح يعمل ما يقربه إلى الله بحق •• ولذلك تحول احتقارى له إلى تقدير فقال وإذا جاز على حد تعبيرك وأعتبرنا هذا التقدير حباً فما الفارق بين حبك للمهندس وحبك له ؟ قالت وهل ترى أحبهما لغاية حتى أقارن بينهما وأضعهما فى كفتى ميزان الحب الدنيوى أو التقدير كما أسميه فمن ارتفعت كفته بقدر استطاعته لتحقيق غايته كان تعلقى به أوفر ! لا •• أنى أقدر كل منهما بقدر حبه لله ومن أجل الله •• قال •• ولكن يبدو أن حبك المهندس أكثر بدليل تحملك هذه المشاق والمعاناة التى تفوق احتمال فتاة فى مثل سنك قالت ولم لا تكون روحه هى التى جذبتنى وحبيت إلى هذه المعاناة •• وهل عرف الإنسان سر الجاذبية التى تربط الإنسان بالأرض أو تبيح له الارتفاع إلى السماء إذا شاء •• حتى يدرك جوهر الحب ؟ •• الذى هو من أسرار هذه الجاذبية ؟! •• فhez رأسه دهشاً وقال : إلى أى حد بلغت من مراحل التعليم ؟ فقالت إلى حد من مراحل التعليم الإلهى •• قال •• كأنك بلغت مرحلة التعليم الجامعى وأكثر • قالت لكى أوضح لك •• كان والد أحد أبناء قريتنا يعمل خادماً عند ثرى فى القاهرة ينتسب إلى الأتراك المؤمنين فلكى يكتسب جراً عند الله ألحق خادمه وكان شاباً إلى الأزهر فى وقت فراغه يتزود من تعاليم الدين بقدر ما يستطيع فلما توفيت زوجة هذا الثرى وكانت تقضى شتاء كل عام فى اسوان وكانت أوصته أن يدفنها فى اسوان لامتيازها بالصفاء وبعدها عن الأضاليل وتنفيذاً لأوصيتها ابنتى قصراً فى اسوان ليعيش فيه ما تبقى من عمره محتفظاً بخادمه •• الذى قطع مرحلة التعليم فى الأزهر وقتذاك •• فلما توفى الثرى أوصى الخادم أن يفتتح مدرسة لتعليم أولاد الحى الذى يقيم فيه القرآن وما تيسر من الكتابة والقراءة • ومن حسن حظى كنت أنا من أبناء هذا الحى ولاحظت حرم الضابط التى كانت تشتغل عندها أُمى فى المنزل احتفاظى

بكل صحيفة تطالعها هي لكى أحاول قراءتها وسؤالها عما يصعب على معرفته فعطفت على وراحت تشجعنى على المضي فى الاطلاع واستيعاب ما لم أعرفه بوسيطتها ولها الفضل فى تزويدي بما ساعدنى على معرفة ما انتفع به الآن وما هبأتى إلى تعليم الصغار فمن القرآن تعلمت ما لم تتعلمه أخت الضابط التى كانت تزورنى فى بيتنا المتواضع أثناء أجازة دراستها الجامعية فإذا تحدثت إليها فى بعض الشؤون .. قالت : من يسمعك يا (هبه) يظن أنك درست الفقه والمنطق والفلسفة والشعر والأدب فى الجامعة فأقول لها : لو أنك حفظت القرآن مع تفسيره وإدراك مراميه ومعانيه لكان ذلك حسبك .. فمن القرآن أنشد الآن ما تسميه شعراً وأنا لم أتعلم حتى الآن نظم الشعر وفق ما تسميه أنت بالمفاعيل .. ولن أحاول .. لأننى أنشد ما يلهمنى الله إياه وهذا حسبى .. فإذا سألتها عن معنى كلمة استعصى على معرفتها وأنا أطالع قصة كانت هى تطالعها تدور حول الحب .. ودار الحديث بيننا أثناء ذلك عن الحب وسألتها عما تفهمه عن الحب قالت فى جد إنها تحب الرجل لتتزوج فقاطعها هذا هو الواقع ! فاحتدت قائلة .. الحب الحقيقى أسمى من تحديد غايته ! قال أليس حبك لله له غاية .. مثلاً الثواب والرغبة فى دخول الجنة بعد عمر طويل إن شاء الله .. قالت .. فى الآخرة لا فى الدنيا .. ولست أنا التى حددت الغاية بل هو سبحانه وتعالى وعد ذلك للمتقين المؤمنين .. إن حبنى الله لا صلة له بالمادة والغريزة وهما غاية المحبين فى هذا العصر واأسفاه .. فتنفّس الصعداء وقال لذلك ربك الله به على ضوء حبه فهنيئاً لك .. وأبعد عنك مغريات الشيطان التى تغرى فتيات العصر لا فرق بين المثقفة والجاهلة فيمارسن المدنية التى تتطلب الكثير من المال ومستلزمات الجاه فقاطعته الذنب ذنب البيت والمدرسة والمجتمع .. وعلى نشاطه النيل توقف وهو يقول .. شراب الفاكهة الطازج فى هذا المحل يدعونا

الح يعمل ما يقربه
وإذا جاز على
حبك للمهندس
بينهما وأضعهما
من ارتفعت كفته
لا .. أنى أقدر
لكن يبدو أن حبك
التي تفوق احتمال
قدبتى وحببت إلى
التي تربط الإنسان
.. حتى يدرك
.. فhez رأسه
فقلت إلى حد من
التعليم الجامعى
ثناء قريننا يعمل
هين فلكى يكتسب
وقت فراغه يتزود
هذا الثرى وكانت
يدفنها فى اسوان
صيتها ابتنى قصرا
دمه .. الذى قطع
ى أوصى الخادم
القرآن وما تيسر
من أبناء هذا الحى
فى المنزل احتفاظى

لنتأوله .. وسارع فأحضر لها كوباً وبعد أن شربا استأنف سيره وهى تقول على أثر تأملها النيل .. فى امواج هذا النيل التسبيح لله ليـل نهار ولا ينقطع لأنه خلق لذلك فهو لا يشغله شاغل عن الله .. ألا تراه أوفر حظاً عند الله من الآدميين الذين ينقطعوا عن التسبيح والتكبير والحمد لله بمشاغلهم • فقال بالرغم منهم اعتقد ولذلك قرر الله التوبة إذا عادوا إليه .. ثم استوقف بائع الصحف وبعد أن مر بنظره فى عجلة على الصفحة الأولى لفت نظره نتائج زيارة رئيس الجمهورية محمد حسنى مبارك إلى الولايات المتحدة وبعض دول أوروبا لتدعيم السلام فى الشرق مع الاعتراف بالشعب الفلسطينى كدولة مستقلة .. فقالت يخطىء من يظن أن اسرائيل وحدها عدونا اللدود بل هناك من ينتمى إلى العرب ومنهم الفلسطينى اسما أليس فيهم من اعتدى على ابن مصر البار الشهيد يوسف السباعى رحمه الله حينما أغتاله نفر من أبناء فلسطين فى الوقت الذى كان يدافع بحماس المؤمن المصادق عن فلسطين وإذا بمن اغتاله مأجور من أجل المال .. هل كان الرئيس الراحل الشهيد أنور السادات الذى ذهب إلى اسرائيل كفدائى على استعداد لقبول اغتياله أيضا من أجل السلام فى الشرق يستحق قتله فى اليوم الذى يحتفل فيه مع شعبه بالنصر الذى منحه الله للعرب بما بذلته مصر بعد معاناة وكفاح طويل •

وهنا لاحظت أنه قطع مسافة طويلة فى الطريق فقالت متى نصل منزل العرس فنتبه إذ كان سارحاً وقال .. أوه معذرة يا صبية حديثك الشيق انسانى اتجاه الشارع الذى يؤدى الى منزل العرس .. مازال فى وقت العرس بقية تكفى لمشاهدة الأفراح عندنا .. عقبالك وكأنها لم تسمع أمنيته فقالت .. المفروض أن أصل مبكرة قبل أن يصعب على رؤيته لكثرة المدعوين • فقال : مجرد سؤالك عنه سوف تصلى إليه فاطمئنى .. قالت .. صحيح ولكننى أخشى أن تكون زوجته معه

وقد تحول دون رؤيته رنطردنى فقال : إن زيك الذى يخالف ملابس المدعويين سيلفت النظر ومنهم طبعا المهندس وسوف يرحب بك قطعاً .. وأوقفها حارس الباب .. قائلاً عندما لمح باقة الورود معها .. أظنك قادمة من عند أحد المدعويين لعدم تمكنه من الحضور .. حسنا ادخلى .. ولم تكذ تصل الى مكان الحفل حتى راعها مشهد الرجال والنساء وهم يرقصون وقد احتضن كل رجل امرأة في غير مبالاة .. واسرع اليها شاب ماداً ذراعيه وهو يضحك في سخرية .. فلتكونى من نصيبى فأبتعدت عنه مذعورة وهو يحاول أن يشدها ولفت هذا المشهد أنظار الجميع فأرتفعت الضحكات الساخرة والكلمات التى دفعتها الى أن تخرج مسرعة وقد وقعت منها باقة الورود على الأرض .. ولمحها السائق تعدو كأنها هاربة من شخص يطاردها فاسرع لاستقبالها وساعدها على الركوب وهى توشك ان تفقد وعيها .. وأدرك بفطرته أنه حدث ما لم تتوقعه ولم تستطع مقابلة المهندس .. فهدأ من روعها وقال لم أثنأ أن امنعك من المجئ لعلمى ما يحدث فى أفراح الطبقة التى تمثل هذا العصر الذى يقلد أبناء المترفين كل ما يتنافى مع الاسلام بصلة .. فهونى عليك وحسبك مشاهدة ما يحفزك على انتقاد هذه المبادئ فى شجاعة مستشهادة بتعاليم الاسلام بحيث لا تظهر فى السينما والتلفزيون كان الرقص فى ملابس عارية وتناول الخمر الذى حرمه الله فى الإسلام وتحدث طويلاً ليترك لها فرصة لاستعادة وعيها ولكنها لزمّت الصمت ..

ولما لاحظ المهندس ارتفاع الأصوات الضاحكة مع همسات الاستهزاء والسخرية تساءل ماذا حدث .. فقدم إليه الشاب الذى التقط باقة الورود من على الأرض وعندما قرأ البطاقة الموجودة فيها تهتئ من عمال السد وعنهم (هبه) فسأله المهندس وأين من أحضر هذه الورود فقال الشاب خادمة ترتدى ملابس بدوية يبدو أنها من الصعيد

وقد خرجت من سوء تصرف المدعويين .. نفهم المهندس وراح يفكر فيما عساه يفعل ليسترضيها ! وكيف يقابلها .. واين ذهبت الآن ونظر إلى ساعته فوجد الوقت لا يسمح لكى يعود إلى إسوان فى قطار المساء ..

ولما لاحظ السائق أنها استردت هدوء نفسها سألها هل قابلته ؟ وقدمت له الورود ؟ ولكيلا تنتقل إليه المشهد الذى أفزعها غيرت الحديث بقولها ليتنى لم آخذ هذه الورود أليس نهايتها الذبول ورميها فى القمامة .. عندنا فى مثل هذا المقام لكى يعبر أفراد الأسرة والأصدقاء للعروسين عن أطيوب الأمنى مع التوفيق والسعادة .. بدل الورود يقدم إلى العروسين هدية نافعة من أدوات البيت باسم الشخص الذى يفضل التعبير عن مشاعره وحده أو الاشتراك مع الراغبين فى تقديم هدية كبيرة من مستلزمات البيت بعد أن يعرف صاحب الهدية الحاجة إليها لعلو ثمنها وليس فى مقدور العريس أو العروس شراءها ... وهذا الحفل الذى يمثل الاستهتار وعدم الاعتناق بالمثل والدين الذى تكلف بلا شك مئات الجنيهات وأكثر .. أليس فى هذا الحى فقراء يحتاجون لمشروع يكفل اهم حياة لا تدفعهم الى العوز أو الانحراف .. وطال حديثها فيما يجب أن يكون وما لا يجب أن يكون .. وسكتت لتتنفس كأنها تريح عن صدرها ما علق به من أثر ما شاهدته وكأنه الضباب الكثيف الذى كاد يغلف قلبها الصافى لولا استعادة إيمانها وهى تردد : استغفر الله استغفر الله .. فانتهاز الفرصة وقال : يبدو أن زوجته كانت معه ولذلك لم تتمكنى من رؤيته فتنبّهت وإزاء الحاجة سردت عليه ما شاهدته بصوت يعبر عن أسائها وآلمها وأسفها الشديد ..

الفصل السادس

قبل أن يغادر المهندس بيت العروس الذى أقيم فيه الفرح سأل حارس الباب هل رأيت من أحضر باقة الورود أثناء الحفل .. فقال الحارس .. يبدو أنها خادم من بنات الصعيد وقد خرجت مسرعة وركبت سيارة فاخرة .. فخيل اليه أنها فتاة قادمة من إسوان على صلة (بهبه) وقد كلفها العمال بوسيلة (بهبه) تقديم هذه الورود .. ولم يخطر بباله قط .. أن (بهبه) هى التى جاءت .. فى هذا الوقت طلبت (بهبه) من السائق ان يقرضها ثمن تذكرة العودة الآن على أن تكتب له ايصالا بثمانها مع قيمة أجور تنقلاتها لكى ترسلها اليه فى البريد بعد وصولها إلى أسوان أو تكليف من يأتى إلى القاهرة بأن يسلمه ذلك وطلبت منه العنوان لارسال المبلغ فى البريد اذا استعصى عليها وجود مسافر إلى القاهرة .. فتظاهر بالموافقة لعلمه أن ميعاد القطار فأت وليس فى مقدورها السفر الآن وتركها أمام الأمر الواقع فلما وصلا محطة السكة الحديد وعلمت بقيام القطار منذ أكثر من ساعة انزعجت وانهمرت دموعها وهى تغغم رباه كن معى وبلهجة الألم قالت : اذن دعنى هنا أمكث حتى ميعاد قطار الصباح مع شكرى واعترا فى بجميلك وأدعو الله أن يوفقنى لرده فقال : قد يحدث هذا لمسافرة ليس أمامها مسكن تقضى الوقت فيه ان ابنة أختى وهى صبية فى مثل سنك تزوجت من رجل من أصحاب الأعمال التى تضطره إلى السفر من حين إلى حين إلى الخارج لقضاء مصالحه وهو الآن فى فرنسا وأعتقد أنها سترحب بك وتسعد بقضاء هذه الليلة معك فتعالى لترى لونا آخر من نساء مصر المؤمنات .. وكان من الطبيعى ألا تسيء الظن به بعد قضاء هذه المدة معه إذ لم يحاول خلالها أن يتحدث حديث شباب السينما للتغريب بها لقاء تمضية بعض الوقت تحت تأثير نزوة طائشة .. كما حدث

الح يفكر
الين ذهبت
إلى إسوان
هل قابلته ؟
بيت الحديث
رميها فى
والأصدقاء
الورود يقدم
الذى يفضل
تقديم هدية
الحاجة إليها
شراءها ...
تتلاق بالمثل
فى هذا
إلى العوز
لا يجب أن
يه من أثر ما
لولا استعادة
وقال : يبدو
وإزاء الحاجة
فيها الشديد ..

لبعض الفتيات اللاتي يركبن سيارة ليصلن إلى المنزل أو العمل فإذا بالسائق ينتهز فرصة وجود الفتاة وحدها ويتجه بها إلى حيث يريد للاعتداء عليها أما هذا الرجل فقد أثبت صحة إيمانه وسمو خلقه ولذلك استجاب لرغبته ..

ولما وصلا إلى بيت ابنة أخته كلف الخادم باستدعاء ابنة أخته قائلاً : قولى لسيدتك خالك هنا وأستأذنها ليقابل ابنة أخته لكي يقدمها إليها كأنها ابنة صديق له يقيم في إسوان وقد جاءت إلى القاهرة لزيارة خالتها ولكنها وجدت على سفر وهي مضطرة للعودة إلى إسوان غداً إذ ليس في مقدورها أن تنتظر عودتها من المصيف .. وأردف هذه كذبة غير ضارة أليس كذلك ؟ فقالت بصوت خفيت .. أحياناً نضطر إلى ذلك .. وتركها ثم عاد وبرفقته ابنة أخته وهي شابة رغم ارتدائها الملابس المحتشمة ولكنها ظهرت بمظهر جميل خلاب دفع (هبة) إلى الاطمئنان إليها وابداء سرورها بمعرفتها ولم تترك لها السيدة فرصة للكلام فقالت : لحظة ريثما أهيب لك غرفة لنومك واستراحتك وخرجت مسرعة وانتهزت (هبة) فرصة لتتأمل أثاث الغرفة التي لم تر مثله الا في السينما ولفت نظرها صورة فتاة بدوية تشبهها تماماً فخيل إليها أن هذه السيدة سافرت مع زوجها إلى إسوان وراق لها هذا الزى كما تفعل السائحات فاستعارته من إحدى بنات البدو وتصورت به كتذكاري ويبدو أن زوجها اعجب بالصورة فوضعها في هذا الاطار المحلى بالذهب ولما عادت السيدة لتتقودها إلى الغرفة التي أعدتها لها فقالت لها أريد أن أتوضأ أولاً فقد فاتتني صلاة اليوم كله فقالت السيدة : الله غفور رحيم .. وقادتها إلى غرفة للنوم فاخرة وقالت مشيرة إلى دورة المياه .. يمكنك الوضوء هنا واطمئني فليس هنا الا أنا والخادم وقد نهبت عليها ألا ترعبك بحديثها لأنها تعودت تسليني بحديثها أثناء غياب زوجي وتركتها لكي تتوضأ .. وبعد أن أيقنت أنها أدت فرائض صلاة اليوم كله .. عادت لتتقدم إليها منامة من الحرير وهي تقول ارتدى هذا الزى

لنتامى فيه بدل ملابسك تلك وريثما تغيرى ملابسك ساحضر لك الطعام هنا وكانت (هبة) جائعة إلى أقصى حد فلم تمنع .. وتذكرت (هبة) أخت الضابط عندما رأتها فى هذا الزى .. فلم تر غضاضة من ارتدائه لترى نفسها ولتعرف هل الزى هو الذى يخلع على المرأة صفة الجمال أم هى التى تخلع عليه .. وعندما نظرت إلى المرأة وجدت نفسها جميلة أكثر مما هى فى زى البدوية .. فأيقنت أن الزى هو الذى يجمّل المرأة .. وهنا عادت السيدة تجر مائدة بعجلات وعليها الطعام وتركتها أمام مقعد كبير مريح وهى تقول .. تفضلى وتركتها بعد أن قالت .. إذا شئت أى شئ .. ضعى يدك على هذا الجرس وإشارت اليه بقرب المخدع تجدينى تحت أمرك .. ونظرت (هبة) الى الطعام التى لم تر مثله فى قريتهم ولم يخطر ببالها قط أن تذوقه .. وتناولت منه بقدر ما سمحت به شهيتها ثم لمست الجرس فإذا بالسيدة تحضر وتأخذ المائدة ولم تكذ تأوى إلى فراشها حتى شمل المنزل سكون يثبت ان من بالبيت استسلموا للنوم عداها فقد أبى النوم أن يحتضنها ويساعدها الضوء الذى فى الغرفة على أن تتأمل محتوياتها فإذا بستر يرتفع من تأثير الهواء الذى اندفع من النافذة المقابلة له .. يحجب صورة تماثل الصورة المعلقة فى الصالون ولكن هذه الصورة وضعت مقابل المخدع ليراها النائم عندما ينام أو يصحو عن عمد فخاطبت نفسها ما أسعد هذه الزوجة إن زوجها يحبها حقاً حفظ الله لهما السعادة والوفاق فهى زوجة جديرة بالحب ومضى الليل إلا أقله وتحت تأثير دفء الفراش ونعومته استشعرت كأن أمها تضمها فى رفق وحنان فاستسلمت للنوم بعد أن تحصست الوسائد والمراتب لترى ما بداخلهم وصعب عليها معرفة الحشو لأنه من ريش النعام .. ثم تنبهت على دقات الساعة معلنة آذان الفجر ولأول مرة تسمع دقات الساعة كأنها موسيقى تنبه النائم لسماع آذان الفجر وتلفتت لترى مصدر الصوت فوقع نظرها

على صندوق صغير بجانب المضجع وعلى وجهه أصابع بارزة فخيّل إليها أنه راديو غير ما ألفته عند أخت الضابط فضغطت على الأصبع القريب منها فإذا بصوت الشيخ رفعت يعلن آذان الفجر ثم يتلو بعض آيات القرآن الكريم فانشرح صدرها واطمأن قلبها وأيقنت أنها في ضيافة أسرة رغم ثراءها الذى يبدو من فخامة القصر وما فيه من أثاث فاخر فهي مؤمنة وقبل أن تتوضأ خلعت المنامة وارتدت زيتها لكيلا تراها الخادم .. وبعد صلاتها فتحت النافذة المطلة على الحديقة لتطالع وجه الفجر فلمحت رجلا يجلس كأنه لم يزل يؤدى صلاة السنة لكنها لم تستطع رؤية وجهه لأن ظهره هو الظاهر ولم تكد الشمس تشرق حتى أقبلت السيدة وبادرتها : اتمنى أن تكونى استمتعت بالنوم والراحة فشكرتها على ما شملتها من عطف ورعاية فقالت السيدة : لم أقم بغير الواجب والآن حان موعد الافطار فهل تحبين تناوله هنا أم فى غرفة المائدة ؟ فقالت (هبه) حبذا لو تفضلت وسمحت لى بتناوله فى الحديقة لأننى تعودت تناول الطعام بين الخضرة فابتسمت السيدة معقبة لبيت فى الحديقة مرآة اترى وجهك لتجمعى بين الطبيعة والوجه الحسن . وام تدر السيدة أن (هبه) تعمدت تناول الطعام فى الحديقة لكى ترى الرجل الذى رآته من النافذة أهو خالها ! أم خادم يؤدى الصلاة شأن أهل القصر .. إذ لا يمكن أن يوجد غريب أثناء غياب زوجها ولكنها لم تجده .. وبعد تناول الطعام جاءتها السيدة لتقديم لها الشاي .. فتناولته على عجل شاكراً للسيدة حسن ضيافتها متمنية أن تراها فى اسوان لترد اها الجميل وأنهت شكرها وتمنياتها بقولها اسمحى لى أن أخرج حالا لكى ألحق قطار الصباح بلغنى خالك ذلك وإزاء لهجة إصرارها أسرع وأخبرت خالها (السائق) الذى كان فى انتظارها كأنه كان يتوقع ذلك فلم يعترض وأسرع لاعداد السيارة وقبل أن تصل السيدة إليها لتخبرها بأن خالها ينتظرها أمام باب

القصر داهمتها حالة إغماء فسقطت على الأرض أمام غرفة الخادم
التي تنبهت وأسرعت لتنبهها كالمعتاد فلما استفاقت كلفت الخادم
بمرافقة (هبه) حتى تصل إلى الباب الخارجى وعندما ذهبت الخادم
لتصحب (هبه) إلى الخارج قالت لها (هبه) أريد أن أحيى
(الهانم) قبل انصرافى • فقالت الخادم •• لقد اغمى عليها وحالتها
الآن لا تسمح بمغادرة غرفتها أو مخاطبة أى إنسان كما أمر الطبيب
•• فقالت (هبه) دعيني إذن أحييها في غرفتها •• فقالت الخادم ••
أقد تعودت ألا يراها أحد وهى في هذه الحالة غير الطبيب وسوف
استدعيه لكى يعطيها الحقنة التى تأخذها كلما جاءها هذا الدور ورغم
انزعاج (هبه) وألمها الشديد لما أصاب السيدة في الوقت الذى يتحتم
أن تنصرف فيه ولولا ضرورة عودتها إلى بلدتها لمكثت معها حتى تسترد
عافيتها وخرجت على مضض واستقبلها السائق خال السيدة مرحبا قائلا
أرجو أن تكونى استمتعت بنوم هادى واستعدت هدوء نفسك ونسيت
ما حدث فقالت : حدث مع الأسف ما أزعجنى وآلامنى الآن فقال
هل تصرفت ابنة أختى تصرفا آلك فقالت بالعكس لقد أحسنت
إلى بما شملتني من حنان لا يصدر إلا من أخت لأختها •• ولكنها
أصيبت بحالة اغماء فجأة ولم تسمح لى الخادم برؤيتها تبيل خروجى
فأرجو أن تقدم لها شكرى الوفج وأسفى الشديد على مغادرتها
مضطرة وهى في هذه الحالة فهل ترى هذه الحالة أصيبت بها قبل
الزواج أو بعده ؟ فقال : بعد الزواج لعدم إنجابها ذرية تملأ فراغ
حياتها وخصوصا أن زوجها على سفر دائما وقل أن يمكث في مصر
ورغم ذلك لم يقصر في علاجها فقد استعان بأشهر الأطباء في مصر
دون جدوى وآخر طبيب وهو أخصائى عالمى •• قال تفكيرها الدائم
بإستحالة تحقيق ذلك قد يكون سبب العقم إذ ثبت علمياً أن كثيراً من
الأمراض سببها سوء الحالة النفسية فقاطعتة ألا يحتمل أن

يكون الزوج هو السبب فقال : لقد حاول هو أيضاً علاج نفسه دون جدوى •• فقالت بلهجة اليقين •• من يدري لعل لذلك حكمة لا يعلمها إلا الله •• لقد منح الله الزوج ثروة يحسد عليها فاعله لا ينفق فى سبيل الله ما تفرضه الزكاة على من كان مثله •• فقاطعتها : ولم لا يكون اختباراً من الله لتقدير مدى إيمانها وما يحمله هذا الإيمان من الصبر والاحتمال • وقبل أن يصل إلى المحطة توقف عند بائع فاكهة واشترى كمية كبيرة فلما سألته لمن هذه الفاكهة •• قال لأسرة أوصاني (البك) أن أقدمها إليها فقالت : يبدو أنه كريم •• فقال السبب أنه أراد أن يرد جميل رب هذه الأسرة •• فقاطعته •• اذن أداء واجب • فقال •• عندما كلفنى بذلك سرد على السبب : وهو أنه كان يقود سيارته بنفسه للنزهة فرأى امرأة عجوز وابنتها الحامل فى انتظار تاكسى والحامل تتلوى من ألم شديد لمح أثره عليها وهى تقبض بيدها على كتف العجوز والعجوز تستنجد بسائق كل تاكسى يمر عليها دون جدوى فدفعته إنسانيته إلى أن يوصلهما إلى المستشفى التى حددتها الحامل وأثناء عودته بعد أن أدى هذه المهمة من أجل الله كما يعتقد كان لأبد أن يتفادى رجلاً ضريباً فاصطدم بشجرة إذ كانت الكهرياء مقطوعة •• وعندما تنبه وجد نفسه طريح فراش يدل على فقر هذه الأسرة واتضح له أن رب هذه الأسرة هو الذى أنقذه وحماه إلى داره وأوقف نزيف الجرح الذى أصابه بطريقة بدائية ورثها عن أبيه العربى وأن شجرة التوت التى انكسرت من شدة صدمة السيارة كانت يملكها رجل صالح يعمل الخير رغم فقره وبدل أن يبيع التوت وهو فى حاجة إلى ثمنه • كان يوزعه على جيرانه الفقراء الذين لا يملكون ثمن شراء فاكهة من السوق وأراد البك أن يرد جميل الرجل الذى أنقذه ويعوض مالك شجرة التوت •• فسأله عن عمله ليساعده بأى وسيلة فسرد عليه قصة زواجه من فتاة بادلته الحب فى إخلاص وكان لا يملك غير ما يقدم

إليه من دراهم لقاء عمله كسايس في جراج وكانت هي تشتغل في منزل مالك سيارة يتركها في هذا الجراج .. ولما شعر برغبة جامحة في الزواج منها بسرعة وافقت دون أن يصارحها فيما اعتزام عليه لتوفير مقدم الصداق ..

وذات مساء اكتشف صاحب الجراج اختفاء هذا الساييس وسرقة بعض أشياء هامة من السيارات المودعة في الجراج ومنها سيارة سيدها الذي تشتغل في بيته الفتاة التي أعترم الزواج منها وكان تصرفه صدمة هزت كيانهما وبذل أن تتجاهله اسرعت إلى بيته خلصة وعلمت من أمه انه لم يحضر كعادته في وقت راحته منذ البارحة فلجأت إلى صديق له كان يتردد عليه دائماً في الجراج ولا يفارقه في وقت راحته وعلمت من أسرته أنه سافر مع صديقه محمد ليحضر حفل زواج أخته في بنها فادعت أن أم محمد هذا تحتضر وواجبها يحتم عليها استدعاه بصفتها خطيبته وأسرعت إليه بعد أن عرفت العنوان فوجدته مع الصديق فاخترت به وأخبرته أن المباحث تبحث عنه ولا بد من القبض عليه ويكون مصيره السجن وهي لا توافق مطلقاً على أن تتزوج بلص فإذا كان يحبها حقاً يعيد المسروقات وسوف تهيب له الفرصة وأتفقا على عمل اللازم لاعادة كل ما سرقه وفي المساء قابلت الساييس الذي يعمل معه وكلفته بشراء دواء لها لأنها تشعر بمغص شديد فلم يتردد في ترك الجراج ريثما يحضر لها الدواء ، إذ كان يتمنى من قبل أن تبادله الحب بدل شريكه وفي هذا الوقت وأثناء ذلك وضعت المسروقات في داخل سيارة متروكة منذ مدة لغياب صاحبها في بلد عربي في حين ذهب خطيبها وقام بعمل محضر بدعوى اعتداء لصوص عليه وكان وحده في الجراج وقيده وكنمو أنفاسه وخلعوا بعض أدوات السيارات وقيل مغادرتهم الجراج جاءت الشغالة التي تعمل في منزل السيد حافظ فلما رأته حاولت أن تصرخ ولكنهم أسرعوا بالفرار غير واحد بقي ليحمل

م ٦ - من أجل الله

علاج نفسه
لذلك حكمة
قلعه لا ينفق
عنها : ولم لا
هذا الإيمان
وقف عند بائع
.. قال لأسرة
كريم .. فقال
.. اذن أداء
: وهو أنه كان
حامل في انتظار
ي قبض بيدها
يمر عليها دون
ي التي حددتها
الله كما يعتقد
كانت الكهرباء
على فقر هذه
جماله إلى داره
عن أبيه العربي
ارة كانت يملكها
ت وهو في حاجة
ملكون ثمن شراء
أنقذه ويعوض
سيلة فسرد عليه
ملك غير ما يقدم

ما سرقوه وهنا استطعت بوسيلة الشغالة أن أتحرك واقتبض عليه
وحدث بيننا عراك أصبت فيه بهذا الجرح الذي لم يزل ينزف الدم ..
ولما استدعى الضابط الشغالة اعترفت بما أدلى به وقالت لقد لاحظت
أن اللص وضع المسروقات في عربة بركن الجراج . وخفت أن استغيث
فيقتلني إذ كان بيده مطواة وكتمت الأمر ولم أذكره لسيدى صاحب
السيارة خشية أن يطردني لأننى مررت في طريقى أثناء شراء لوازم
المنزل على الجراج بدون مبرر أو لأمر يخصه .. ولما ذهب الضابط
للمعاينة وجد المسروقات كما أشارت الشغالة وحول الساييس إلى
الأسعاف لايقاف النزيف وعمل محضر ضد مجهول وكافأه صاحب
الجراج على إخلاصه ومنحه مكافأة بدل ما أصابه . وبعد فترة صارت
الشغالة سيدتها بأنها تريد الزواج من الساييس على إذ أن المكافأة
التي منحه إياها سيدها مع مكافأة صاحب الجراج هما مهرها وهى
تحمد الله على براعته وسوف تنتظر في خدمة سيدتها ريثما تجد
شغالة بدلا منها .. وكانت السيدة طيبة وكريمة فقدرت اخلاصها
وأمانتها طوال مدة خدمتها فقدمت لها ما يعينها على اعداد جهازها
وتزوجا وسعدا بحياتهما وتركت الزوجة نفسها للطبيعة فراحت تنجب
كل عام مولوداً حتى أصبحوا عشرة من الذكور والإناث ولم تعمل
الأم وفق ضرورة تحديد النسل بدعوى أن الخالق هو الرزاق فلما
صعب عليهما توفير أسباب العيش لأولادهم لضالة ما يحصل عليه
الساييس من أجر ومكافآت من الجراج اضطرت الأم أن تباع انخضر
إذ لا يمكنها العمل في بيت وبين يديها الرضيع وصغار السن لا يسمح
لهم بالعمل وقاطعته (هبه) هذا نتيجة الجهل لقد خلق الله سبحانه
وتعالى العقل لنسترشد به كي نتصرف وفق مقتضيات الحياة ورغم
ما تبذله وسائل الاعلام من أجل تحديد النسل كي ينشأ الجيل الجديد
أوفر صحة واستعدادا للتعليم وعجيب أن يستجيب لهذه الدعوة

الصالحة كثير من القادرين على تربية عدد كبير من الأولاد فيحاولوا
ايقاف الانجاب بعد اثنين فقط .. أما الفقراء حتى الآن لم يستوعبوا
ما جاء في القرآن والسنة بشأن تحديد النسل متى ؟ ومتى يجوز
ولا يجوز وأذكر اننى شأهت ندوة لتبادل الآراء يقيمها التليفزيون
مساء كل يوم جمعة وقد أقيمت فى اسوان واعترف أنها مفيدة حقاً ..
ولكن لا يستوعبها غير طبقة المثقفين أو من يمثلون الطلبة فى المرحلة
الثانوية أو الجامعية .. فهل هذا يكفى لتلقيح العقول بمصل المعرفة
التي تعينهم على إدراك ما يقال فى هذه الندوات ؟ لا أظن !! بدليل
أنهم يقتنعون بأن الله سبحانه هو الرازق وعليه أن يتولى رعاية وتغذية
كل مخلوقاته مهما بلغ تعدادهم فهم يعيشون على ضوء التوكل وإذا صح
هذا فلماذا دعا الإسلام فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ضرورة العمل
مع الاعتماد على الله ..

ورغم ما تبذله الدولة لتوفير مطالب العيش للفقراء فلا فائدة
لزيادة السكان يوماً بعد يوم وإذا حاول الفقير إيجاد عمل لمن يستطيع
من أبنائه لا يمنحه صاحب العمل أجراً إلا إذا أنتج بدعوى أنه مازال
يتعلم .. وتأمين العمال أهاب بأصحاب العمل إلى عدم استخدام
ما كان يقوم بتنظيف المحل مثلاً .. لكيلا يدفع تأميناً له .. ورغم أن
وزارة الشؤون الاجتماعية وجمعيات رعاية الطفولة تقوم بأعداد
أولاد الفقراء إعداداً صالحاً ينفعهم فقل من يستجيب لذلك يؤثرون
التسول أو يحترفون النشل أو السرقة .. حتى كبار السن من المعوزين
يؤثرون التسول عن الحياة فى المؤسسات التى تهىء لهم حياة مريحة
وشريفة .. ومازالت أذكر سخط أخت الضابط على هذه الفئة بمناسبة
تجربة لها أثناء تدريبها إذ كانت تساعد مديرة مكتب المساعدات
الاجتماعية التابع لوزارة الشؤون فى بلدتها وأثناء ذهابها إلى المكتب
صباح يوم لمحت عجوزاً متسولاً فأوقفت العربية التى كانت تركبها

وأمرت السائق باحضاره وأخذته معها وسلمته لمؤسسة العجزة واقتنعته بتوفير أسباب الراحة له مع الطعام والملبس والعلاج .. وبعد أيام وجدته في طريق آخر ولما اتصلت بالمؤسسة لتعرف أسباب خروجه علمت أنه هرب .. وعلق رئيس المؤسسة عبثا تحاول الدولة ايواء هؤلاء .. لأن هوايتهم المفضلة - جمع المال - وعلق السائق .. هذا حق فلطالما طالعتنا الصحف بالعثور على مبالغ طائلة في منزل متسول بعد وفاته وعند التحري عن المشتبه فيهم اتضح أن بعضهم يملك سيرات نقل ! أو عمارة أو مزرعة باسم أحد أبنائه فماذا تفعل الدولة لإيقاف هذا التيار الذى يحمل معه ميكروب الجشع وعبادة المال من دون الله .. فقاطعته عزاء المصلحين وجود المؤمنين العاملين في حق الإصلاح بأى وسيلة وأى أسلوب من أجل الله .. وكنت أفضل أن يمنح (البك) هذه الأسرة مبلغاً من المال بدل هذه لفاكهة .. فقال : إن هذه الفاكهة تحية منه .. ولكنه ألحق من أنقذه في عمل بدائرتة بمرتب يفوق بكثير ما كان يتقاضاه من الجراج والحق الصغار بمدارس لتعليمهم على نفقته .. وكلف الأم أن تستريح في بيتها لترعى أولادها واعتقد أن هذا يكفى لرد الجميل لاعتقاده أن رب الأسرة أنقذ حياته قالت فعلا جزاه الله خيراً فاستأنف حديثه يقول لا أخفى عليك أننى كنت أعطى أى متسول ما يمكننى حتى ذلك اليوم الذى جلست على مقعد على شاطئ النيل لاستريح بعد عمل قمت به في هذا اليوم وقد أجهدنى فإذا بطفل في الثالثة من عمره يمد يده إلى فأعطيته قرشاً ثم تقدم آخر في الرابعة فأعطيته أيضاً وإذا بثالث وأردت أن أعرف مصدر هؤلاء الأبرياء .. فإذا بأهمهم جالسة على الطريق وعلى ذراعها طفل رضيع وتمد يدها مكررة يا كريم وقد أسدلت منديلا على عينيها لتوهم المار بأنها ضريرة .. فأى داء عضال استشرى فى جسم هذا البلد ومن هذا اليوم لم أعد أمنح أى متسول إذ أدركت أن

المنح لهم تشجيعا يسوقهم إلى المزيد في احتراف مهنة التسول فقات (هبة) معك حق وليت كل إنسان ينفذ هذا المشروع الذي اقترحتة أخت الضابط يوم كانت مساعدة لمديرة الشؤون وهو وضع صندوق فى كل جامع ليضع فيه كل من يؤدي الصلاة فى أى وقت ما تسمح به ماليته على أن يفتح هذا الصندوق فى شهر رمضان تحت اشراف رئيس الحى ومندوب من وزارة الشؤون على أن يسبق ذلك دراسة وافية من إنسان على صلة تامة بسكان هذا الحى لمعرفة من يستحق المساعدة حسب تعداد أفراد أسرته .. وتنفس (السائق) الصعراء ثم قال .. ما أحوج المجتمع إلى مثل هذه الانسانية المصلحة حقا من أجل الله واستطردت (هبة) قائلة .. يخطيء من يظن أن الدولة مسئولة وحدها عن حل مشاكل الجماهير واصلاح المجتمع الفاسد .. لابد أن يضع كل مواطن نفسه فى موضع المسئولية لعلاج مشاكلنا بقدر طاقته وخبرته واستعداده وثقافته على ضوء إيمانه دون أن يتوقف عند حدود منطقته فقد تكون أصغر من منطقة بجوارها تحتاج لبذل مجهود أوفر وأهل خبرة ومواهب أكثر .. وأماننا مثل عليا لذلك • فعميد الأدب العربى الدكتور طه حسين الذى نشأ فى قرية صغيرة فى محافظة المنيا لم يوقف خبرته ومواهبه وثقافته عند حدود قريته - وهو كيف - بل جعل التعليم كالماء والهواء من حق كل مواطن فى الدولة فلم يعد هناك فارق بين ابن الخفير وابن الوزير إلا فيما يناله كل منهما من تحصيل كفاحه ومن كان يظن أن الرئيس الشهيد الراحل (أنور السادات) الذى ولد فى قرية أبو الكوم ولم يكن فيها يوم ولد من يعرف القراءة والكتابة سواه ان يصل إلى مركز رئاسة الجمهورية بعد كفاح ونضال ساعده بتأثير إيمانه وحبه لمصر إلى تحرير مصر وكان له ما أراد من نصر لشعبه وللعرب اجمعين .. وهنا توقف أمام محطة السكة الحديد وتركها قائلا .. سأحضر التذكرة .. وعندما وصل

واقنعتة
بعد أيام
خروجه
اليواء
هذا
متسول
م يملك
الدولة
للال من
فى حقل
ضل أن
فقال :
بدائرتة
مدارس
الولادها
حياته
فى كنت
مقعد
وم وقد
قرشا
أعرف
قراعا
عينها
سم هذا
كنت أن

شباك التذاكر قليل له أن المواعيد تغيرت وميعاد قطار الصعيد سيقوم الساعة الواحدة •• فحجز التذكرة وبعد أن أخبرها لاحظ انزعاجها وهي تقول •• كان المفروض أن اكون اليوم فى اسوان •• فهدأ من روعها قائلاً •• قلت لى انك جئت مع جماعة المتطوعات • وقد أخبرنى البك انه سوف يسافر إلى اسوان اليوم فى الطائرة بعد العصر •• وهو إنسان يميل إلى عمل الخير ولا شك أنه سيوافق على أن يكلف أحد معارفه بأن يتصل بوالدتك على أنه مكلف من قبل رئيسة الجمعية التى أوفدتك بتأخيرك هذا وسوف تغفر لك فشكرته على اهتمامه وقالت لا داعى لذلك وقالت فسأعرف كيف استرضيها إذ لم تشأ أن تخبره عن مقر أمها لأنها كانت حرسه على ألا يعرف هو أو غيره مقر أسرتها •• ولكى يهون عليها تمضية هذا الوقت قال •• وهو يجرك السيارة •• لن تندمى على بقاءك هذه الساعات التى ستقضيهام مع مخلوقات لا تتكلم بلسان البشر فقالت : أخرساء •• قال : انها تتكلم بأسلوب غير أساليب البشر فأبدت دهشتها معبة •• زدنى ايضاحا إنها قال حذرى تعبر عما تريد بلهجة مبرأة من النفاق والرياء والكذب فسرحت بخيالها لحظة ثم قالت عليك تعنى مخلوقات الله التى تسير على الأرض أو تحلق فى السماء وقد سخرها الله لخدمة الانسان أنا وتغذيته أحيانا • فقال بلهجة الاعجاب : كم أنت ذكية يا صبية وعادت إلى سروحها فقال : ترى فيم تفكرين ؟ قالت : لقد اشنقت للماعز أنا وهى نتفاهم بالحب ونتعامل بالحب قال : ما أسعدها برعايتك لا شك أنك توليها الإهتمام الذى يفوق اهتمام الانسان بانسان لا يرتبطه بالحب ولكن كيف تعبر هى عن حبها ؟ قالت : فى التماع عينيها إذا دنوت منها أمسح شعرها فى حنان فتتاغينى بنعماتها وهى تحوم حولى حياتى معها حب •• حب •• انها ليست كالبحر تعطى لتأخذ بل حياتها عطاء عطاء أن دون تفكر فى بديل لهذا العطاء لأنها تعيش كما خلقها الله

نبتعا لا ينفذ • وتوقف عند حديقة الحيوانات وبعد دخولها •• تركها
تحت تأثير ذهولها وسار خلفها كالحارس تاركا إياها تتمشى متأنيّة
متأملة •• تقف امام كل قفص تناغيه بغير كلام •• والحيوان أو الطير
يقترّب منها من وراء محبسه كأنه يرحب بانسانة تسمو بايمانها فوق
من يحاولون معاكسته للتسلية دون التأمل في عظمة الخالق الأعظم
وقدرته اللامحدودة •• ولزمت الصمت طوال الجولة مأخوذة بسحر
ما ترى وكأن هذه الحيوانات تتجاوب معها وهي تسبح الله في سرها
بهمسات روحها ونبضات قلوبها •• على أن السماء كانت تتلقى •• الله
أكبر •• الله أكبر بالحمد والثناء فتبعث إليها نسيمًا منعشا ليشرعها بأن
الله سبحانه استمع إليها •• وبعد أن انتهت من جولتها كما أرادت كان
لابد أن تخرج وهي مأخوذة بما شاهدت لا تدري كيف تعبر عن خواطرها
إزاء ما رآته ولم تمض لحظات حتى وجدت نفسها في حديقة
الاسماك ومن فرط دهشتها لما تراه صعب عليها التعبير عن قدرة
الله سبحانه وتعالى التي تتجلى في جميع مخلوقاته والانسان يعجز
عن حصر هذه المخلوقات كما يعجز عن تقدير قدرة الله سبحانه
مع الحمد الذي يليق بهذه القدرة •• وبعد أن أعد لها مقعدا لتجلس أمام
بحيرة الاسماك نادى على عامل المقصف وكلفه بإحضار شراب من
الفاكهة لها وفنجان من القهوة له مع إحضار وجبة من الأطعمة لتعينها
على رحلة السفر •• وراحت تتأمل اسماك البحيرة وهي تظهر على
السطح آنا وتختفي وراء الماء أحيانا وعند تناولهما الطعام سألها
هل يتيح لك نيل اسوان أو بحيرة ناصر رؤية الاسماك كما ترينها الآن ؟
قالت : ان البحيرة هنا كالسجن فاذا ظهرت تبدى رغبتها في التحرر
وإذا اختفت تكون أسيرة برغمها •• كالسجين الذي يطل من وراء
قضبان (الزنزانة) متمنيا لو أطلق سراحه •• أما سمك النيل أو بحيرة
ناصر •• فعالمه فسيح يجيز له الحرية المطلقة ويجد في أعماقه ما يعوزه

سيقوم
أزعاجها
فهدأ من
أخبرني
•• وهو
أحد
عية التي
وقالت لا
عن مقر
•• ولكي
لن تندمي
لم بلسان
أساليب
ي تعبر
بالها لحظ
و تحلق
نا • فقال
ها فقال :
تفاهم
توليها
ولكن كيف
ها أمسح
تي معها
تها عطاء
خلقها الله

من غذاء وسواء لديه اختفى فى القاع أو ظهر على السطح .. فهو
حر .. ولحت من يرمون فتات الخبز إلى الاسماك فى البحيرة ..
والسمك يهرع لالتقاط هذا الفتات وهو يقترب من الرامى كأنه يشكره
على هذا العطاء .. ورفعت وجهها إلى السماء مرددة سبحان الله والحمد
لله .. ثم خاطبته ليس فى عالم المخلوقات التى رأيتها فى سجن
الحيوانات هناك الذى ابتناه الانسان ليأمن شر المفترس وسجن
الاسماك هنا .. لكيلا تموت إذا خرجت إلى الأرض .. وهذه المخلوقات
على اختلاف أنواعها وما يمثل فيها القوة أو الضعف .. فليس فيهم
ما يثير بواعث الحرب أو الكراهية أو الحقد انها بحق أقرب إلى الله
سبحانه وتعالى من الانسان الذى لا يعمل وفق تعاليم الله لكى يقترب
منه .. وتنبهت إلى مرور الوقت فقالت : اعتقد ان الوقت حان للذهاب
إلى المحطة .. فنظر فى ساعته قائلاً اطمئنى .. مازال فى الوقت
ما يسمح لنا بجولة أخرى .. وخرجنا .. وتوقف أمام حديقة الزهور
.. ولم نشأ أن تجلس عندما هيا لها مكانا للجلوس كأن مغطسة النسמת
المعطرة بأرج الزهور تنادىها لتشاركها الصلاة لخالق أضفى عليها
جمالاً صيغ من ألوان يعجز المخلوق عن تقليده وترامى إليها صوت
المؤذن فأسرعت إلى الجلوس على أرض مفروشة بالخضرة التى حولها
البستانى إلى سجادة خضراء وبعد ان أنتهت من الصلاة والتسبيح
والحمد لله .. قالت وهى تتأمل طلائع الأبصال الزاهية والورود التى
يفيح منها شذى كأنه من عطر الجنة قالت بصوت خفيف

إنى سجدت بذلة وسجودى آى من حبك

فأرحم فؤادى إنه يا ربى سر من سرى

ما ذاك زهر إنه روح تجلى من عندك

ما ذاك ورد إنه عطر يسبح فى روضك

ولما انتهت قال لها : حرما • فقالت : جمعا إن شاء الله واستطردت :
متى أرى بوادينا هذه الأرواح المجسمة فى الورود والأزهار وكل ما
شاهدت من روائع الطبيعة لتبعث المسرة والبهجة وتحفز المواطن إلى
تزويد إيمانه باليقين والبعد عما يغضب الله •• فقال : ان الصحف
تطالعنا بتحقيق هذا الأمل للعمل الجاد الذى يقوم به المسئولين فى
منطقتكم وفى طريقهما إلى المحطة سألته •• ترى كم تعداد كل نوع
مما رأيت ؟ فقال يمكن معرفته بوسيلة البستانى •• لكن هناك ملايين
الملايين فى كل دولة من دول العالم ولا يمكن حصرها إذ فى كل منطقة
ما يوافق تربتها من المزروعات على اختلاف أنواعها وألوانها وثمارها !!
فقالت : سبحانك ربى •• كيف يصعب على أى مخلوق أن يؤمن بك
إيمان المحب المعترف بما منحته من نعم لا حد لها وأثناء دخولها محطة
السكة الحديد رأت فى طريقها نحو القطار •• مكتبة لبيع الكتب فوقفت
تطالع عناوين الكتب وهمست •• ليت معى نقود لأشتري هذه الكتب
التي تصلح لتربية الطفل وإعداده ليكون مواطنا صالحا وأدرك بفطرته
ما دار بخلدها فاسرع واشترى مجموعة من الكتب الذى راقتها ••
فلما سألته لمن هذه الكتب وابنة أختك لم تتجب بعد ؟ •• قال لك ••
تتفعلك فى المستقبل • قالت : أولا ليس معى ثمنها فقاطعتها
لنصف إلى الدين الذى عليك هذا المبلغ فاستأنفت : لقد علمتني أمى
كيف أربى الطفل منذ ولادته فأبدى الدهاشة وهو يقول : هل قمت
بتربية أخ لك منذ ولد ؟ ! قالت : لا •• انه طفل وليد مأساة من مآسى
القاهرة منذ مدة طوقت دارنا فتاة فى باكورة صباها وارتمت على
قدمى والدتى وهى تبكى وبلهجة التوسل قالت : استرينى وكان من
الطبيعى أن تعرف أمى السبب فسردت عليها قصتها وانا استرق السمع
إذ اشارت إلى أمى بالابتعاد لكيلا اسمع ما تقول ولكننى سمعت أنها
تحت تأثير الاختلاط فى الجامعة أحبها زميلها وعاهدها على الزواج وفى

•• فهو
•• مرة
يشكره
الحمد
سجن
سجن
خلوقات
من فيهم
إلى الله
يقتررب
للذهاب
الوقت
الزهور
السمات
عليها
صوت
فى حولها
لتسبيح
ود التى

لحظة جنون غير مشروعة اعتدى على شرفها بدعوى أن قبولها الزواج منه مع قبوله الزواج منها يعتبر زواجا شرعيا أمام الله .. ولما صارحته بنتيجة هذا الاجتماع بعد حين وعدها بتنفيذ الزواج بعد ظهور النتيجة وعلى أثر ظهور النتيجة علمت من زميله الذى كان يقطن معه فى القاهرة انه عاد إلى بلادته فى الريف فأخذت عنوانه بدعوى أنها مدينة له بمبلغ من المال كانت اقترضته منه أثناء الدراسة قبيل الامتحان لكى تسلمه هذا المبلغ مع تهنئته بالنجاح .. ولما قابلته بعد أن ادعت لأهله أنها زميلته فى الدراسة وقد جاءت لتعيد اليه الكتب التى استعارتها منه فلما خلا المكان إلا منهما طلبت منه تنفيذ وعده بالزواج منها فاعتذر من والده الريفى الذى ارتبط مع شقيقه ليزوجه ابنته ولا يستطيع أن ينكح عهده وبالتالى لا يمكنه هو ان يخالف والده فقالت له بلهجة الرجاء والتوسل يمكنك أن تعقد على ثم تطلقنى ولن تجد مشقة فى ذلك لأننى يتيممة .. وكنت أعيش عند خالتى فرفض فى إصرار ونهرها متهما اياها بأنها أخطأت لاستسلامها له .. وكان فى مقدورها أن ترفض وعادت ضحية تهورها وخضوعها لشاب سيطر الشيطان عليه ولم يحاول أن يكفر عن خطيئته ♦

الفصل السابع

ولكى يقيها الله شر الفضيحة كانت تستذكر دروسها مع زميلة لها ولاحظت أم الزميلة أعراض الحمل عليها فنبهت ابنتها إلى ضرورة الابتعاد عنها لسوء خلقها ولكن صلة الزميلة بها كانت قوية فصارحت أمها بأنها ضحية قريب لها كان فى ضيافتهم وقدناولها الأقراص المخدرة بدعوى أنها تساعدها على المذاكرة واعتدى عليها دون أن تدرى فلما تنبهت وصارحت خالتها بذلك أسرع الخالة لتقابله لكى يعقد عليها فعملت بأنه سافر إلى أمريكا للعمل هناك بدعوة من قريب له وأثرت الصدمة على الخالة فأصيبت بالشلل واضطرت ابنتها أن تشرف على علاجها ورعايتها على أن يكون ذلك فى منزلها إذ لا يمكنها ترك زوجها وأولادها •• وكانت أم الزميلة مؤمنة صالحة تتق الله فكلفت ابنتها أن تستسمح خالة هذه الفتاة وابنتها التى تقيم عندها الآن على أن ترافق زميلتها محسنة وكانت الخالة تعرفها وتحبها ليستذكرا سويا دروس العام المقبل أثناء قضاء المدة التى سيقضيها والدها فى اسوان للاشراف على الأمن هناك كضابط فيها وبعد أن استقر مقام هذه الأسرة بوادينا تعرفت أم الزميلة على أمى أثناء شراء اللبن منها فلما أدركت ساعة ميلاد الجنين نصحت الضحية أن تلجأ إلى أمى إذ لاحظت من التعامل معها أنها طيبة تخشى الله والمعروف عن القرويات أنهم يلدن أحيانا دون معاونة طبيب أو غيره ولكيلا يطلع زوجها على هذه المأساة إذ استطاعت أن تخفيها عنه ولم تجد وسيلة للتخلص من الجنين غير إيداعه فى دار رعاية الطفل بوسيطه بائعة اللبن وتأثرت أمى وفكرت فيما يجب أن تفعله لكى تخلص الضحية دون أن تمسها بسوء واستطاعت أن تؤدى مهمة الولادة كمولدة بقى أن تسلم المولود إلى رعاية الطفل كما اشارت أم الزميلة فقالت لها أمى : وسوف يطلب منك أين وجدته

ها الزواج منه
ولا صارحته
النتيجة
فى القاهرة
مدينة له بمبلغ
كى تسلمه هذا
أنها زميلته فى
فلما خلا المكان
والده الريفى
عهده وبالتالي
التوصل يمكنك
ذلك لأننى
سرا ونهرها
مقدورها أن
الشیطان عليه

فقلوبى وجدته فى الطريق وسوف تحوئك إلى الشرطة لاثبات ذلك وهنا
رفضت الضحية ذهابها إلى الشرطة لأن والد الزميلة هو المنتدب بدل
الضابط الذى قام فى اجازته السنوية • فقالت الأم تفاديا لذلك
إدعى أن والده قد مات وليس فى مقدورك رعايته لضيق يدك واذكرى
اسمه فلان وهنا اضطررت أن أواجه أمى وقلت : كيف يحمل
الطفل اسم الراعى دون أن تعلم أمه وأقاربه انه تزوج بفتاة مصرية
فقالت أمى إذن أسلمه انا للشرطة كأننى وجدته اثناء جمع الوقود
من المزرعة فأرتاحت الضحية لهذا الحل وكادت تقبل قدمى أمى
شاكرة وخرجت مسرعة راجية أن ترد هذا الجميل فى مقبل الأيام
وعندما حملته أمى لكى تخرج طرق بابنا ابن اختها فاضطرت أن تضعه
فى الفراش ولما صرخ المولود أسرع وتقلت له قبل أن يسيء الظن بى :
ابن جارتنا خرجت لشراء لوازمها وتركته عندنا ريثما تعود وعلى أثر
خروج ابن خالتها انهزم المطر غزيرا على غير المألوف فى وادينا فصعب
على أمى الخروج وبسبب سوء الجو أصيبت أمى ببرد مصحوب
بسعال شديد ألزمها الفراش ولم تشأ أن أقوم أنا بهذه المهمة خشية
أتهامى بهذه الخطيئة إذا رآنى أحد المارة وكان لابد أن أقوم برعاية
الرضيع حسب توجيه أمى واعداد وجبة من اللبن إذ كانت تخشى أن
يموت ويجلب لنا فضيحة فى الحى فلما تماثلت للشفاء كلفتنى باعداده
لكى تحمله لتسليمه إلى الشرطة وإذا بى استشعر بمشاعر الحنان الأكيد
تغمرنى كأنه ابنى إذ رعايتى له واهتمامى به ومناجاته لى بعينيه
الصافيتين وشفقيته الصاحكتين نبها أحاسيس الأمومة فى قلبى فصعب
على أن أسلمه للشرطة لعدم معرفة مصيره فيما بعد وترضية لها
تظاهرت بموافقتها ولكننى اقترحت أن أقدمه للجمعية بدعوى أننى
وجدته فى طريقى وأنا ذاهبة اليها وليس هناك من يشك فى طهارتى
فقالت أمى : ولم لا نتركه فى منتصف الليل أمام الزاوية التى أعدها

الشيخ للصلاة .. فاعتزمت خشية أن يلتقطه رجل لا خلاق له ممن يحاولون سرقة المار في منتصف الليل يكون تأخر بالرغم عنه .. وأخيرا استطعت أن أقنعها بتسليمه إلى رعاية الطفل بوسيلة الجمعية .. فوضعت في سلة مغطاة بالأعشاب مع مراعاة السماح له بالتقاط الهواء وتجنب الطريق الذي يسمع فيه صوته إذا ارتفع وكتت أتفقت مع أمي على التخاض منه مع الحفاظ عليه من أجل الله دون الاشتباه بنا .. وقلت للطبيبة التي تسلمته مني بعد أن أخذته من والدتي قبل أن ندخل مبنى الرعاية .. كنت في السوق لشراء لوازمنا فاعطتني اياه امرأة ريثما تشتري ما يلزمها بدعوى أن الطفل يعوقها عندما تبحث عن جودة ما تريده .. ومر الوقت ولم تحضر وخيل إلى أنها أصيبت بمكروه لازدحام السوق في هذا اليوم وحاوات أن أبحث عنها دون جدوى فلعلها ضلت مكانى وقد تلجأ إلى الشرطة للبحث عنى .. وها هو الطفل وعندما فحصته الطبيبة للتأكد من سلامته وجدته سليما فسألتني أتريدين تسميته باعتبارك من سلمته اليها ريثما تحضر أمه .. قلت : (ناير محسن) قال : ولماذا خلعت عليه هذا الاسم .. قلت ناير اسم مهندس على خلق وأتمنى أن يكون مثله واسم محسن تردد ذكره في منطقتنا وقد اعجبني هذا الاسم .. وهنا أعلن مراقب حركة القطار بأن القطار سوف يتأخر ساعة ريثما يقوم لتفادى مصادمته بقطار توقف في منتصف الطريق .. فلما ساعدها على الركوب رأيت رجلا ينظر إليها في إعجاب وهي تأخذ مكانها في الدرجة الأولى .. فقالت له هذه درجة الأغنياء فلم كلفت نفسك ثمن هذه الدرجة فلم يعلق وقال : أرايت الذى يحملق فيك ؟ .. قالت : متصابى أراد أن يلفت نظرى .. قال .. دعانى صاحب السيارة يوما بعد قضاء بعض أعمال متعبة أن أتناول الشاي معه فى مقهى عام ومر علينا بائع صحف وكتب متجول وعرض علينا الكتب فاشتري (البك) بعض الكتب مع أنه لم يكن مولع بالقراءة

ك وهنا
ب بدل
لذلك
ذكرى
حمل
مصرية
الوقود
ى أمى
الأيام
تضعه
ن بي :
على أثر
قصعب
صحب
خشية
برعاية
شى أن
باعداده
الأكيد
يعينيه
قصعب
ة لها
ى أننى
طهارتى
أعدها

كما أعلم ولما سألته لم اشتريتها وليس لديك وقت للقراءة •• قال :
لابن الطاهي لأنه شغوف بمعرفة الانتاج الجديد وليس في مقدور
والده تلبية رغباته دائما واعتقد أن مثل هذا الشاب جدير بالتشجيع
ولما مر البائع على هذا الرجل وهو من الاثرياء كما تدل عربته التي
تنتظره وعرض عليه الكتب رفض رغم الحاح البائع وبعد أيام دعاني
(البك) لمرافقته لمشاهدة كما أشارت الاعلانات أنه يصور معركة
العبور • ولحيت هذا الوجه بجوارنا وبعد أن انتهى الفيلم الذي ظهرت
فيه البطلة استدعاها فجاءته وعلى وجهها عدم الارتياح وعندما قدم
لها هدية يبدو أنها ثمينة جدا وهو يقول : علما تعجبك رفضت تناولها
في كبرياء وهي تقول : قلت لك أكثر من مرة لا تتصل بي في التليفون
وماذا أقول لزوجي إذا رآها معي وحالتنا المادية لا تسمح لنا لشراء
هدية ثمينة كهذه •• سيسئ الظن بي •• وكرامتي وشرفي هما ما اتحلى
بهما وتركته وهي تقول كان الأجدر بك أن تقدم ثمنها لجمعية خيرية ••
وهنا قلت للبك الذي نظر اليه وكأنه يرثى لحاله •• تصور يرفض شراء
كتاب بقروش ويقدم هدية بمبلغ كبير لقاء اثم يرجيه من ممثلة ثبت
أنها تمتاز بكرامة تؤكد أنها مؤمنة رغم احترافها التمثيل •• وهنا دق
الناقوس ليعان قيام القطار فودعها راجيا لها سلامة الوصول ثم تذكر
ما قالته فقال •• هيينى حضرت اسوان فكيف القاك فذكرت مواعيد
اقامتها في منزل العجوز التي تعودت أن تلجأ إليه إذ كانت هذه العجوز
تعيش وحدها بعد أن مات زوجها ولحق به ولدها عندما تطوع في حرب
العدوان على مصر وتعيش على معاش من الدولة وقد تفاهمت معها
(هبه) وشرحت لها الظروف إلى اعتبار هذا المنزل محل اقامتها وهذه
العجوز جدتها ومعها ابنها لكيلا يجراً الأقطاعى أو غيره أن يطرق
بابها •• وقبل قيام القطار ناولها تسجيلا وهو يقول •• لكيلا تستشعري
بالوحدة •• ستجدى في هذا التسجيل ما يملأ فراغ وحدتك •• وخيل

اليها انها ستسمع موسيقى أو صوت أحد المطربين وتمنت لو كان صوت
أم كلثوم أو عبد الوهاب وهما ما يحاو لها الاستمتاع بهما .. وفتحت
التسجيل فاذا بموسيقى هادئة تبعث الشجو دون كلام وإذا بصوت
يشبه صوتا ألفته فى منطقة السر .. يقول :

خبرينى يا فتاتى خبرينى

أين عقلى أين قلبى من تكونى ؟

واصدقينى هل لقلبى رجعة

كم حنينى لغرامك كم حنينى !

وانصفينى هل لعقلى أوبة

مثل حبى طاهرا من كل شين

وامنحينى حب قلبك إنه

خير حب يا غرامى عن يقين

وسكت الصوت واهتز فكرها ليستعيد خيالها عساها تعرف لمن
هذا الصوت ؟ ولم يطل سروحها فهو يشبه صوت (الاقطاعى) ولكنه
ليس بشاعر !! .. ولم تلبث حتى تذكرت موقفه يوما عنده نطق بأشعار
وقال انه كان يحفظ الشعر مرضاة للغوانى .. أذن هو • وهذا الذى
يررده الآن كان يقوله لمن يغريهن من الحسان اللاتى لا يجذبهن غير
الشعراء والفنانين •

وفتحت التسجيل مرة أخرى فاذا بالصوت يقول :

قد كنت فيما مضى لا ظبى تأسرنى

ولولديها من الإغراء اشفاق

وكنت لا أصطفى فى الغيد واحدة

وللمسرة فى عيني أشواق

حتى بليت بظبي كاد يشغلنى
عن كل أمر وعما كنت أشتاق
وبالأمس كنت ألوم من عشقوا
واليوم أبكى إذا ما قيل عشاق
وتهمس لنفسها أترى شيطان الشعر يلبس مسوح إنسان لينطق
بالشعر وهو ليس بشاعر .. ويحلوا لها استعادة ما سمعته فتفتح
التسجيل فاذا بالصوت يقول :

أترى الغرام يحوطننا
بشعاع أضواء العليم
حبي وحبك إنما
قلبان صيغا من رحيم
وهنا تعترىها نوبة ذهنية توشك أن تقضى على اترانها فتهمس
بصوت مخنوق الأنفاس .. هذا الشعر سمعته هناك لست أدري متى ؟
وممن ؟ ..

وتفتح التسجيل عساها تسمع ما يشير إلى حقيقة صاحب هذا
الصوت فاذا به يقول :

يا ظبي حسبك لا تكن
بالله أقسى من فتن !!

فى شخصه الفن الجميل وليس بعد الفن فن
وبخده ورد الأفا

ح به الملاحه تستكن
ويتغره الدر النفيد لجهلهم أسموه سن

ما فيه من عيب سوى

طرف هو الطرف الأغن

فى حبه طاب الهوى

وبحبه كدت أجن

ما لاح إلا هاجنى

أو غاب إلا القلب جن

وتزداد حيرتها فتترفع وجهها إلى السماء مستجدة بربها وهى
فى حالة لم تعهدها .. وإذا بالصوت يستأنف الحديث لأنها لم تغلق
التسجيل لا تعجبى (يا هبه) دعى المقادير تجرى فى مجاريها
لا تستسلمى لشكر ليس وراءه غير لهب ولولا أنك قديسة طاهرة لا احترق
قلبك من لهب التفكير !! .. أنك لا تعرفين قدر نفسك .. أنك ملك
تجسم فى صورة فتاة بدليل أنك حولت بايمانك ونور روحك من غير
أن تدري إنسانا كان مستهترا يعيش لنفسه بعيدا عن الله .. إلى
إنسان عرف طريق الله على ضوء ايمانك وأدرك بعد ان اتجه إلى الله
بجوارحه وبقلب عامر بالايمان واليقين .. ان الحياة فانية وأنه لا قيمة
للإنسان فى الدنيا والآخرة الا بعمله الصالح الذى يرضى الله ويفضلك
يا (هبه) عرف أن خير وسيلة تؤكد توبته وتقربه الى الله ليغفر ذنوبه
أن يدفع ضريبة مرضاة الله أن يعمل الخير فى سبيله بوسيلة استغلال
ما يملك من أرض ومال ليهيئ حياة تساعد الفقراء والمساكين على
الاستمتاع بها وفقا لتعاليم الله .. وأظن هذا حسبى أليس ذلك دليل
قاطع على توبة صاحب المشروع الذى يشهد بتوجيهك والهامك وإيمانك
... ولم يعد هذا التائب فى حاجة إلى أى شىء فى الدنيا غير حبك
يا من أنقذته من بحر الضلال الذى كاد يغرق فيه لولا انقاذك وارتفعت

م ٧ - من أجل الله

به إلى مصاف المؤمنين الصالحين على ضوء الحب المنزه من كل سوء
وكان بجوارها رجل عجوز مستغرق في التسبيح فتوسمت فيه الصلاح
وجرأت على أن تسأله قائلة : يا أبى وهى تعرض عليه التسجيل بعد
أن أغلقته .. كيف ينقل جهاز من الحديد كذا أصوات ليست معى الآن
.. انها فى مكان آخر بعيد عنى .. ان مخترع هذا الجهاز فوق قدرة
البشر .. فقال يا ابنتى : ليس القدرة عند مخترعه .. بل القدرة
فى القادر الأعظم .. هو الذى علم الانسان ما لم يعلم .. فقالت :
سبحانك ربى على كل شىء قدير .. وليت الانسان ما لم يستخدم القدرة
التي يمنحه الله إياها فى الخير وحسب ولكنه مع الأسف يستعملها
أحيانا فيما يعود على البشرية بالدمار والفساد .. ومحو الخلق والدين
من قلوب السذج الذين لم تتفتح قلوبهم بعد على صحة الحق واليقين
.. فمثلا كنت فى ضيافة أسرة كريمة بمرافقة سيدة مؤمنة .. وكانت
ربه هذه الأسرة قادمة من القاهرة لتستمع بدفع الشتاء فى اسوان
وأرادت أن تشعر السيدة التى أرافقها بحسن ضيافتها .. ففتحت
جهازا يسمى (الفيديو) وإذا بفيلم كل نسائه عاريات يقمن بتمثيل
دور يستحى المؤمن فلا يراه .. وإذا بالسيدة الزائرة تدير وجهها وهى
تقول : اغلقه من فضلك وأنصحك ألا تعرضيه على أولادك المراهقين
والمراهقات .. ويا حبذا لو استغنيت عنه فإنه يتنافى مع القيم والدين ..
فقالت السيدة مع أنها مسلمة : اننا نستعمله للتسلية فقالت السيدة
التي أرافقها : كل رذيلة تبدأ بالتسلية ثم تصبح عادة بالتكرار ..
كالترخين يبدأ الصبى بتجربة استعماله ولا يلبث حتى يتعود عليه
ولا يستطيع التخلص عنه حتى يشيب ويمرض بسببه .. وهنا نظر
العجوز اليها وقال بلهجة السخط .. لعن الله العادات التى زحفت اليها
باسم المدنية والحضارة واعتنقها أبناء هذا الجيل متغاضيا عن تعاليم
دينه وتقاليد بلاده العريقة .. فمثلا هل يبيع ديننا القبلة كما يفعل

فى التمثيل ؟ كدليل على الحب الذى يثبت فى النهاية أنه زائف وباطل
والمفروض أن تكون أجهزة الاعلام أداة لتقويم المعوج ونشر تعاليم
الدين الاسلامى وعرض نماذج تغرى الصغار وتشجع الكبار على
التعلق بالمثل والدين .. ويبتسم العجوز فى سخرية مردفا .. لقد
كنت أعمل فى السينما يوم كان يمثل فيها عمالقة الفن واو أتيح لك
يا ابنتى رؤية أفلام يوسف وهبى ونجيب الريحانى وعبد الوهاب
وأمر كلثوم وغيرهم ممن مارسوا التمثيل فى عهدهم فلم يحدث تمثيل
أدوار يستحق المشاهير رؤياها .. بل كانت تعالج مشاكل العصر
الاجتماعية وتدعو لاعتناق القيم والتعاليم السماوية .

وهنا توقف القطار عند محطة الأقصر فحياها العجوز راجيا لها
الوصول بسلامة الله وتركها وهو يقول .. هذه بلدتى .. فقالت : بلد
الآثار الخالدة .. وأطلت من نافذة القطار لتقول له مع السلامة فاذا به
واقف أمام النافذة ليقول لها .. بارك الله فيكى يا ابنتى .. مع السلامة
فشكرته وأردفت قرأت فيما قرأت فى كتب التاريخ أن أحد قدامى
المصريين وكان يسمى (أخناتون) أول من استشهد بأن الله واحد
لا شريك له .. وتحرك القطار والعجوز يقول .. فعلا .. وكرر مع
السلامة وظلت واقفة تتأمل مشاهد الأقصر المرسومة كاعلانات عن
الآثار الموجودة فيها لتغرى السائحين وغيرهم لمشاهدتها وبعد أن
جلست .. وجدت نفسها مشوقة لاستعادة ما سمعته .. ولم تعرف
كيف تعيد شريطه فلما فتحت سمعت الصوت يقول :

يا خيالاً قبلته أدمعى

أوعى روحك أسرار الغرام

من كل سوء
فيه الصلاح
تسجيل بعد
ت معى الآن
وقد قدرة
بل القدرة
.. فقالت :

تخدم القدرة
ف يستعملها
الخلق والدين
الحق واليقين
.. وكانت

فى اسوان
.. ففتحت
بتمثيل
ر وجهها وهى

لذلك المراهقين
قيم والدين ..
نالت السيدة
.. بالتكرار ..

يتعود عليه
.. وهنا نظر
فى زحفت البنا
ميا عن تعاليم
تعبلة كما يفعل

- ١٠١ -

ان قلبى هائم فى أضلعي
ليته يدري بمكنون الهيام
ليته يدري بروح قلق
دائم الوجد ويبدو فى سلام
روحى يهواك وبخفى حبه
بين جنببيه وفى الحمت كلام
توقف التسجيل بما يشير إلى انتهاء الشعر وام تستطع استعادة
ما سبق استماعه وسرح خيالها فى واديه واستقر عند الأقطاعى •

الفصل السابع

وعندما توقف القطار على محطة اسوان حمدت الله على سلامة وصولها ولم تذكر تستقر على الرصيف حتى لمحت الأقطاعى يهرع اليها كأنه كان يعلم بميعاد مجيئها ولاحظ الدهشة ترتسم على محياها .. فمد يده ليصافحها قائلا : حمدا لله على سلامتك .. أظنك تتساءلين .. هل جئت لاستقبالك ؟ أم كنت تودع أحدا ؟ فهل تؤمنى بصلة تربط بين الانسان والجن ؟ فقاومت ذعرها لذكر الجن وقالت : قرأت فيما قرأت احتمال هذا ؟ فابتسم قائلا : وهو يسير بجانبها نحو خارج المحطة .. لى صديق من الجن أخبرنى بمجيئك الآن ؟ قالت : اذن أخبرك بما حدث فى القاهرة .. قال أجل وكأننى كنت معك وإذا شئت أن تتأكدى من ذلك ليس أمامنا فرصة لكى أسرد عليك كيف قضيت هذه المدة فى القاهرة .. غير السماح لى بتوصيلك إلى منزلك فى سيارتى وأثناء ذلك .. أسرد عليك تفاصيل إقامتك !! ولكى تتأكد مما قاله .. ركبت معه السيارة وهى فى لهفة لتعرف حقيقة صلته بالجن .. ولما ذكر لها كل ما حدث كأنه كان حاضرا معها .. انتابها الخوف منه وقالت : لكى يطمئن قلبى سل صاحبك هذا .. صوت من الذى سمعته فى التسجيل يقول شعرا .. فرفع معصم يده وكان به ساعة قربها من فمه وهمس بكلمات لم تسمعها .. ثم قرب الساعة إلى أذنه استعدادا ليسمع جواب سؤالها .. ثم قال : يقول لك صاحبى .. استفتى قلبك وهو يخبرك !! انه مثل صوتك الذى اسمعه الآن .. ولكن أصدقنى بالله .. ما علاقة ساعتك بالجن ؟ فقال : بها جهاز تسجيل يسمع منى وأسمع منه ويمكنك تجربة ذلك وخلع ساعته وناولها إياها وهو يقول سلى أى سؤال بصوت لا يبلغ مسمعى فقربت الساعة

إلى فمها وهمست بما دار بخلدتها ولما استرد الساعة وقربها إلى أذنه
سمع سؤالها فأجاب عليه همسا ثم ناولها إياها وهو يقول اسمعى
الجواب .. ولشد ما أذهلها أنه جواب سؤالها فقالت بلهجة الرجاء ..
أرجوك صارحنى كيف يحدث هذا .. قال هذه الساعة .. بها جهاز
حساس جدا وموصل كالكهرباء .. تؤدي رسالتها فى الخفاء .. وهى
تحتاج لشرح عالم مختص .. وهنا لمحت انهما اقتربا من منزل العجوز
فقالت دعنى أنزل هنا .. لكيلا يراك أحد من أسرتى .. فلم يعترض
وقال : أظن أنت مشتاقة لمعرفة ما تم فى المشروع .. قالت : أجل ..
وشكرته وأسرعت متجهة نحو منزل العجوز وهو يرمقها من بعيد فلما
دخلت بعد أن فتحت العجوز الباب واستقبلتها كأنها فى انتظارها عاد
متجها نحو المشروع على أمل أنها ستعود فى الغد لتطمئن على استمرار
العمل فيه .. ولما اطمأنت إلى خاؤ المكان منه خرجت متجهة نحو
بيتها واستطاعت أن تؤثر على أمها وتقنعها بأسباب تغييرها لتأجيل
مؤتمر الخزمة الاجتماعية بعد الميعاد الذى سبق تحديده .. وفى اليوم
التالى قبل أن تذهب إلى منطقة العمل فى السد .. وسرها القيام بالعمل
فى المشروع على الوجه الأكمل وقبل أن تنصرف جاء الأقطاعى وسألها
رأيها فيما تم ؟ فاعترفت بمجهود العمال الذى يثبت إخلاصهم ويؤكد
استعدادهم للعمل فى خدمة من يعوزهم العطف والحب والمساعدة ..
وهنا قال : لقد انشأت بجانب هذا المشروع استراحة لمن يحضر من
المسؤولين لمشاهدة المشروع وللاستقبال الرئيس أو من ينوب عنه لافتتاحه
إذا كان على سفر لأنه يهتم بتدعيم الحياة الكريمة لكل المواطنين ..
وأشار إلى الاستراحة وهو يقول .. أحب أن أعرف رأيك فقد يكون
فائتى تأسيس ما يلائم المسؤولين .. ولما رأتها قالت : لقد بالغت فى
تأسيسها كان يجب أن تكون مطابقة لطبيعة هذا الوادى فتكون المقاعد
والمناضد من صناعة جريد النخل وهنا عمال يجيرون هذه الصناعة

ولكى يشعر الرئيس وتابعيه أنهم لا يمتازون عن المواطنين هنا ..
أو على الأصح نضرب لهم مثالا لما كان عليه الرسول ﷺ حيث كان
يضرب المثل الأعلى فى التواضع واتخاذ البساطة والمقنعة فى المآكل
والملبس والمسكن وكل ما يحتاج إليه الانسان دون التطلع إلى الرفاهية
أو التمسك بالمظاهر الزائلة .. وحسبهم عمق الإيمان وصدق اليقين
والعمل من أجل الله .. فقال : أتمنى أن نفتتح المشروع قريبا باذن الله
لكى يتأثر بك أبناء هذا الحى إذ لا شك أن نور إيمانك سوف يتسلل
إلى قلوبهم فيعيشوا مطهرين من كل سوء .. بدل أن ينحرفوا ويتحولوا
إلى أشرار لا يعرفون طريق رب العالمين .. فقاطعته : الإيمان ينبثق
من الأعماق ولا يكتسب .. قال : أحيانا تكون نواة الإيمان كمينه فى
النفوس ولكن مؤثرات خارجية تحول دون ظهورها .. بل قد تضرع إذا
لم تجد من يرعاها رعاية صالحة .. فقد يفقد والده مثلا ويجد نفسه
يتصرف تصرف المالك تحت تأثير مغريات الحياة وما يملك من ثراء مع
ما تشمله الأم من حنان دافق يغمره بتحقيق أمانيه التى تدفعه إلى
الانحراف وتشجع أصحاب الملاهى لاستغلاله بأى وسيلة لا تنتهى إلى
الفضيلة والدين ولم تدر الأم أنه لابد من إيقاف لولب تصرفاته
الطائشة فى سنه المبكر ولبعده عما يفتح قلبه للإيمان .. واعترف أننى
كنت من هذا الطراز لم اجد من ينقذنى من بؤرة الضلال ويعدنى عن
الشيطان فهزت رأسها علامة الاقتناع وغمغمت .. على أننى استطعت
أخيرا فقاطعتها : أن اتوب أليس كذلك .. فاردفت .. وهذا دليل على
أن نواة الخير كانت كمينه فى أعماقك .. فقال : اعتقد لو قابلت الفتاة
التي هيأت لى الآن سبل التوبة فى باكورة صباى لما انحرفت ولكنت
من خير الناس للناس فقاطعته : كأنك تربط إيمانك بالحب ؟ قال : اكذب
إذا قلت غير ذلك أليس الحب هو الذى يقرب الانسان لخالقه ؟ وبالتالي
بين الإنسان ومن يألفه ؟ فابتسمت متعابيه قائلة .. ومن ترى هذه

ها إلى أذنه
السمعى
الرجاء ..
بها جهاز
.. وهى
الرجاء
لم يعترض
: أجل ..
فلما
تظارها عاد
الى استمرار
حجة نحو
للتأجيل
وفى اليوم
قيام بالعمل
بأى وسائلها
صهم ويؤكد
المساعدة ..
يحضر من
لأفتتاحه
المواطنين ..
فقد يكون
بالغت فى
كون المقاعد
الصناعة

الفتاة التي أحبتها ؟ قال : سلى قلبك ؟ فقالت : قلبى مرتبط بالله سبحانه وتعالى .. وهذا الحب يملأ جوانحى وكيانى فأحس بأننى رغم ارتباطى بالأرض استشعر باقترابى من السماء وأكاد أقترب من الله فقاطعتها : بتأثير حبك هذا استفقت من غيبوبة طال عمرها فى متاهات الأوهام والجاه الزائف، والمتاع الكاذب واستعدت على ضوء هذا الحب يقين قلبى وشفافية روحى فهل توافقى على أن تقبلى الزواج من رجل كان مستهترا ثم استقام بعد اعوجاج ؟ فقالت بلهجة جادة لا .. قال : وما السبب ؟ قالت : لأنه يعيش بثرائه فوق قمة هذه الأرض وأنا أعيش على سطحها بكيانى البشرى وروحي متعلقة بالسماء لا يجذب بصرى غير الكواكب التى تسبح الله بلغة السماء فاذا نظرت إلى الأرض شدتنى المياه الجارية كأنها أهزيج تحمد الله الذى بعثها ريا للأنام وتهز رأسها مستطردة .. لقد كان لك العذر يوم قادك شيطان الافك والضلال لأنك نشأت وعشت تحت أضواء مدنية الغرب الزائفة ومازلت أذكر ما مر بى عندما كنت فى القاهرة وكأئننى قادمة من مجاهل أفريقيا لأننى على غير ما تعود أبناء القاهرة رؤيته فى النساء اللاتى يستعرضن آخر ما وصل إليه التجميل الزائف والزينة المغرية كأنهن عرائس الفاترينات المعروضة للشراء على أن عرائس الطرقات أخطر من عرائس الفاترينات التى يشتريها القادر على أن يقدمها هدية لابنته كى تلعب بها .. أما العرائس الآدمية التى تتبختر فى الطرقات لتجذب انظار المارة بوسائل تغرى الشباب الذى لا ينتمى للدين والقيم والتقاليد الاسلامية الموروثة .. وتنفس الصعداء مردفة .. والذنب ذنب الرجل المسئول فى بيته على أى صورة كان الذى يسمح للمرأة التى تنسب إليه أن تظهر بهذا المظهر الخلاب الذى يجذب النظر غصبا وبالتالي ينبه شهوة الرجل العاجز عن ضبطها والتمسك بتعاليم دينه كما جاء فى القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ .. وهنا شعرت

(هبه) بأن الوقت مضى وكان وقت العمل فى السد ينتهى والعمال على وشك الانصراف فاستأذنته لكى تذهب قبل انصرافهم لتعان مقدمها وترجىء الحديث معهم إلى الغد فاستوقفها قائلاً : لقد لاحظت أنك لم تحضرى هدية لوالدتك من القاهرة وأسرع إلى سيارته وأخذ منها صندوقاً صغيراً وقدمه إليها قائلاً : قدمى إليها الهدية المودعة داخله .. فقالت : ما هى ؟ فقد تكون غير صالحة لها . وهنا تقدم منها أحد العمال يستدعيه لاستشارته فى أمر يتعلق بالعمل فتركها والصندوق معها ولم تشأ أن تتبعه لكيلا يسيء العمال الظن بها بعد قضاء هذه الفترة معه فى الاستراحة .. وحمدت الله على أنها ستذهب إلى بيتها قبل أن يتبعها بدعوى الذهاب إلى السد .. فلما وصلت إلى بيتها وفتحت الصندوق وجدت به مجموعة من الجواهر مع رسالة منه يقول فيها .. مهداة إلى صاحبة الفضل فى إقامة المشروع .. وعندما رأت أمها ما بداخله ارتاعت وصرخت بغير صوت .. ما هذه الحلى ومن أعطاك إياها فقاومت (هبه) ارتباكها وأسعفها فكرها النابه وقالت : انه ملك رئيسة الجمعية سلامتنى إياه ريثما تعود من القاهرة اذ استضافتها قريبة لها ولم تشأ تأخذه معها خشية أن تقتجه القريبة خلصة . أو يلعب به أولادها . فقالت الأم : أخشى أن يراه شقيقك فيأخذ منه شيئاً دون علمك .. وبعد أن فكرت (هبه) ملياً أرادت أن تثبت لأمها انه خاص برئيسة الجمعية التى تقطن فى اسوان فاستأذنتها لكى تسافر إليها وفى نيتها أن تذهب إلى المشروع بأى حجة لا شك انه هناك الآن .. فلما ذهبت إلى المشروع وسألت عنه قيل لها أنه شعر بمغص مفاجئ فذهب الآن إلى طبيبه الخاص فى اسوان .. ورغم ألمها لما أصابه اطمأنت إلى لقائه عند الطبيب اذ كانت تعلم مقر عيادته منذ عالج الصغير ..

يا الله سبحانه
غم ارتباطى
فقطعها :
الأوهام
الحب يقين
ن رجل كان
لا . قال :
الأرض وأنا
لا يجذب
إلى الأرض
ريا للأثام
يطان الأفك
الفة ومازلت
جاهل أفريقيا
يستعرضن
عرائس
أخطر من
دية لابنته
قات لتجذب
الدين والقيم
والذنب
سمح للمرأة
النظر غضبا
يتعاليم دينه
وهنا شعرت

وفى القطار حاول شاب أن يعاكسها فلما صفعته على خده لوى ذراعها الذى به الصندوق فلما حاولت القبض على الصندوق لكيلا يقع على الأرض حاول الشاب أن يأخذ الصندوق وحدث بينهما نزاع فاقترب منهما بعض الركاب لمعرفة السبب فقال الشاب انها نشالة وها هو الصندوق فى يدها حيث استغلتنى وأنا أطلع الجريدة والصندوق بجانبى فأخذته وكانت على وشك النزول لولا أنني تنبهت ومسكتها واستدعى أحد الركاب شرطى القطار ليفض النزاع .. وبعد ان استمع الشرطى إلى افتراء الشاب صدفة رغم محاولة (هبه) تكذيبه مؤكدة أن الصندوق خاص بها وعندما وقف القطار على محطة اسوان قادهما الشرطى إلى القسم ولما فتح الضابط الصندوق ظنا منه ان به مخدرات وان الشاب عميل لروجى المخدرات وإذا به مجوهرات ثمينة ادعى الشاب انها خاصة بأسرته وكانت عند خالته كأمانة عندها بعد وفاة والدته فلما بلغ سن الرشد سلمتها له .. لكى يبيعها ويستغل ثمنها فى افتتاح متجر يعيش منه .. ورغم وجاهته واحتمال أن يكون ذلك صحيحا .. فقد احتفظ الضابط بالصندوق ريثما يتم التحقيق فى النيابة لاثبات صحة ادعائه بان هذه الفتاة نشالة .. وأقاما فى القسم ريثما يحضر وكيل النيابة اذ كان فى إجازة .. وفى اليوم التالى نشرت الصحف صورة (هبه) مع ذكر خلاصة ما حدث واتهامها بالنشل .. وعلى أثر ما نشر أسرع لفيف من النساء الى القسم تذكر كل واحدة منهن ما سرق منها أو نشل ظنا منهن أن هذه المجوهرات فيها ما سرق أو نشل .. فوعدهن بالاتصال بهن وترك عناوينهن للاطلاع امام وكيل النيابة .. ولما اطلع الاقطاعى على ما نشر أسرع إلى وكيل النيابة الذى حضر ساعتئذ وبعد أن قدم له نفسه قال : الصندوق الذى كان مع الفتاة وهى عاملة فى السد كما أنها تشرف على عمال مشروع وذكر تفاصيل المشروع وكنت على وشك تقديم المجوهرات المودعة فيه ..

وهى ... وذكر وصفها إلى خطيبتى فى اليوم الذى أصبت فيه
بمغص شديد اضطررنى للذهاب إلى الطبيب هنا فوراً ولثقتى بأمانة
هذه الفتاة تركت معها الصندوق ريثما أعود ولما تأخرت فى العيادة
جاءت الفتاة لتسلمنى الصندوق قبل عودتها لمنزلها ... ولما فتح وكيل
النيابة وجد أوصاف المجوهرات كما ذكرها بجانب المعروف عن
الاقطاعى من الثراء ... فافرج على الفتاة وسلمه الصندوق * وحجز
الشاب لاتهامه الفتاة وهى برئية وعند خروج (هبه) اعتذر لها عما
حدث بسببه وسألته عن نتيجة فحص الدكتور فطمأنها وحملها فى
سيارته لكى يوصلها إلى منزلها وكما اعتادت ... أرادت النزول قرب
منزل العجوز فاختفت ريثما تطمئن إلى مغادرة الطريق ... وبعد ان
أطمأنت عادت إلى بيتها وطمأنت أمها بتسليم الصندوق إلى رئيسة
الجمعية ... وفى اليوم التالى عندما تأكد من وجود (هبه) مستأنفة
عملها مع العمال فى السد اسرع إلى بيت العجوز وطرقه فلما رآته
قالت بلهجة جافة : ماذا تريد * قال : هذا الصندوق يخص ابنتك وقد
نسيته فى الاستراحة أثناء اشرافها على العمال فى المشروع ... قولى
لها تحتفظ به فى المنزل أمانة عندها ويثما يسترده صاحبه فى الوقت
المناسب ليقدمه إلى خطيبته ومثلها تحتفظ بالأمانة بلا ريب وأخذت
العجوز الصندوق دون أن تتكلم لأنها لا تدري ماذا تقول ... وفى
اليوم التالى عندما مرت (هبه) على العجوز بعد انتهاء عملها لعلمها
أنه يتبعها ... أخبرتها العجوز بما جرى ففزعت (هبه) ولم تدر ماذا
تصنع وهى لا تستطيع أن تأخذه بعد أن أخبرت أمها بأنها سلمته
لرئيسة الجمعية واضطرت أن تصارح العجوز بما حدث فطمأنتها
العجوز وقالت ... دعيه أمانة عندى ريثما يسترده كما قال ... فى
هذه اللحظة دخلت عليهما جارة أثناء فتح الصندوق لكى ترى العجوز
ما بداخله ... فبهتت الجارة ... قائلة وقالت ... هذه أشياء ثمينة يبدو

ه لوى
بلا يقع
ماقترب
هو
صندوق
سكتها
استمع
هؤكدة
قادهما
خدرات
ادعى
د وفاة
تمنها
ن ذلك
يق فى
القسم
تالى
النشل
واحدة
سرق
وكيل
الذى
ان مع
وذكر
يه ...

أنها مسروقة من أسرة غنية • فقالت العجوز هذه ابنة أختي تقيم فى اسوان تشتغل عند رئيسة جمعية فأتمت (هبه) كلامها • • جمعية المتطوعات وأنا أعمل فيها واضطرت الرئيسة أن تسافر اليوم إلى القاهرة لحضور زفاف ابنة أختها وخافت أن تترك مصاغها هذا فى المنزل فتستولى عليه خادمة وتهرب اذ حدث ذلك عند قريبة لها ولذلك سلمتني إياه احتفظ به ريثما تعود من سفرها • فقالت الجارة : الا يحتمل أن تعرف ذلك الخادم التى عندها وقد استعانت بهن يمكنه الحصول على هذا الصندوق دون أن تكون هى المتهمة • • فانزعجت العجوز وقالت لهن : معقول فما العمل اذن ؟ فاستأنفت الجارة حديثها بقولها : بعد ان تطمئننى بعدم وجود أى أحد فى الصحراء الغربية معك • • موجهة الحديث الى (هبه) احفرى حفرة وضعى الصندوق فيها ريثما تحضر الرئيسة • فقالت العجوز : دعينى أنا أحفرها لكيلا يشتبه فى التابع لك فقد يكون فى طريقه إلى هنا ليسرقها ولو تطلب الأمر قتلنا كما يحدث أحيانا • • ووافقت (هبه) لكى تبعد عن العجوز الخوف والوهم خشية أن يحدث ما تخشاه وبينما كانت تقوم العجوز بعملية الحفر مر بها أحد رجال شرطة الهجانة المنوط بحراسة هذه المنطقة الذى يمر بها مهربى المخدرات وعندما وقع نظره على العجوز سألها ماذا تفعل ؟ فارتبكت وتلعثمت وبان عليها الخوف والاضطراب وكان الصندوق بجانبها فظن ما به مخدرات وهى عميلة لعصابة المخدرات وتحاول إخفاء ما به هنا • • فلما فتح الصندوق وجد به المجوهرات فاعتقد أن العجوز موفدة ممن يعرف آثار القدماء فدلها على الحصول على هذا الصندوق دون أن يظهر هو لكيلا يعرض نفسه للخطر • • وأن بالحفرة الكثير من هذه الآثار ولكى يتصل بمقر الشرطة يجب ان يطمئن إلى عدم هروب العجوز والاحتفاظ بالصندوق ومكان هذا الكنز وصفر دون أن يبرح مكانه ولما بلغ صدى صفيره مسامع زملاءه هزعوا اليه

بجمالهم فقال لهم .. هنا كنز فزاغت أبصارهم ونظر إليه بعضهم قائلًا بلهجة الخبث : " أترك سراح العجوز انها لا تحتل السجن ونحن نتصرف وأدرك بعضهم ما يعنيه وكان مؤمنًا يخشى الله .. علينا العمل بمقتضى القانون وأشار إلى بعضهم .. اذهب وبلغ الضابط ولن أبرح مكاني حتى يحضر إذ أخشى أن يداهمنا مهربى المخدرات ويحدث ما لا تحمد عقباه ورغم اعتراض بعضهم بدعوى أن الكنز من حقهم التصرف فيه فأصر الشرطى على استدعاء الضابط وهنا شعرت (هبه) بمضى وقت طويل وكان المفروض أن تعود العجوز فندمت على تركها وحدها وأسهرت اليها لتساعددها ولشد ما أفزعها وجود رجال الشرطة يحيطون بالعجوز التى غلبها البكاء مرددة .. يارب أنقذنا وأدركت (هبه) بذكائها أن العجوز ضببطت وهى تقوم بالحفر فتجاهلت ما حدث .. قلت لى أن الرمل يطفىء النار كالماء تماما ونظرت إلى العجوز بمعنى لا تتكلمى فاتجه نحوها الشرطى وقال : لقد كانت تحفر حفرة عميقة والرمال امامها كثيرة .. فقالت (هبه) عليها ظنت ان الرمال هذه مبتلة بسبب تبول الجمال أثناء سيرها عليها وأرادت أن تجفر لتحصل على رمال جافة .. فقال شرطى آخر : ما أعجب تصرف العجائز وسألها آخر وما سبب هذه النار ؟ فقالت : كنت أشعل النار أمام الدار لأشوى الذرة فقامت عاصفة من الرياح شديدة فزادت النار اشتعالا كادت تصل إلى داخل الدار فأسرعت أمى لتحضرها من هنا فاقترب منها شرطى ينظر اليها فى اعجاب قائلًا : عجوز تنجب صبية جميلة .. فرمقته بنظرة احتقار قائلة : الحزن والمرض وقى المؤمنين شرهما أثرا عليها فبدت هكذا .. وخاطبت العجوز .. لقد أطفأتها بالماء فاطمئنتى وسحبت يدها مردفة : تعالى قبل أن يحترق الطعام فقد تركته على الموقد .. فقال الشرطى المؤمن .. دعيها يا ابنتى ريثما يحضر الضابط .. فرب ضارة نافعة .. لقد عثرت على كنز أثناء الحفر وأشار إلى

الصندوق الذى كان فى يد الشرطى الذى أراد أن يكون من نصيبهم واستمر الشرطى المؤمن فى حديثه •• سوف تعطىها الحكومة مكافأة لها وقال من تغزل فيها وستكون هذه المكافأة من نصيبك طبعاً لأنك على وشك الزواج •

وهنا وصل الضابط مع مندوب الآثار وبعد رؤية الحلوى قرر المندوب أنها ليست من الآثار •• فهى من صناعة هذا العصر فعلق الضابط اذن هى مسروقة من أسرة غنية واعتقد أنها من أسرة تنتمى للعائلة المالكة •• التى تملك احدى القصور فى هذه المنطقة •• ثم سأل العجوز بعد أن أخبره الشرطى أنها هى التى كانت تحفر هذه الحفرة وقد وجدنا بجانبها هذا الصندوق الذى أخرجته طبعاً من الحفرة •• واتجه الضابط نحو العجوز وسألها : هل أنت التى حفرت هذه الحفرة ووجدت فيها هذا الصندوق •• فنظرت العجوز إلى هبه كأنها تسألها هل أتكلم •• ولزمت الصمت لأن هبه قالت : أرجوك يا حضرة الضابط •• دع أمى •• انها تصاب بشكل لسانها فى الملامت منذ توفى زوجها وولديها فى الحزب ومادام الشرطى رآها وهى تحفر والصندوق بجانبها • فلا شك فى ذلك •• وتذكر الشرطى الذى فتح الصندوق الورقة التى كانت مع الحلوى وكان وضعها فى جيبه على أمل أن يوزع الحلوى على زملائه ولا يخبر الشرطة •• فقدم الورقة إلى الضابط قائلاً : هذه الورقة كانت مع الحلوى •• فلما قرأها الضابط قال لمندوب الآثار ان كاتبها له علاقة بصاحبة هذا الصندوق •• وهذه الحلوى هدية لها بمناسبة العيد كما يقول فى هذه الورقة حركى غطاء هذا الصندوق شمالاً واسمعى فلما حركه الضابط •• سمع صوت ناي شجى ولم تكذب (هبه) تسمع أنغام الناي حتى طفرت الدموع من مآقيها فاسترعى ذلك نظر الضابط فاتجه نحوها وسألها : أتعرفين عازف هذا النغم ؟

فاختلطت دموعها بأفائها وهي تقول : ربنا يرحمه .. قال : ما اسمه ؟
فقلت : لا أعرف اسمه . ولكنى كنت أراه فى طريقى كلما خرجت
لقضاء حاجة . يعزف على نايه ويرعى الغنم .. فتبسط الضابط فى
حديثه لبغريها على الاسترسال قائلاً : اذن تعرفين كل من يمر من هنا .
فقلت بلهجة التأكيد لم أر أى غريب هنا .. فقال الضابط .. هذا
الصندوق . جهاز تسجيل .. أرايت جهاز تسجيل يمكن الكلام عن
طريقه فتكلفت الغباء وقلت : أبدا ولم أسمع أن صندوقا كهذا يمكن
الكلام منه فاسترد لهجته الجافة وقال أين داركم فأشارت الى الطريق
المؤدى اليه وهو يسير معها .. وفى دار العجوز فنش كل شئ عساه
يعثر على أثر يشير إلى ما مر بخاطره فلم يجد أى شئ يثبت صلتها
بأى كائن .. ولفت نظره مندوب الآثار وكان يرافقه .. أغلب الظن
(ياكابتن) الصندوق خاص بجاسوس يقيم فى هذه المنطقة وله صلة
بأحد القاطنين فى هذه المنطقة وقد تكون هذه الحلى قد احتفظ بها
فى هذه الحفرة كمخبأ ليقدمها عن تعاونه فى مهمته وحلية من هذه
الحلى كفيلة باغراء فتاة ساذجة كهذه لتقوم بالمهمة التى يكلفها بها
فقال الضابط وهل يمكن أن يضحى جاسوس بمثل هذه الحلى الثمينة ..
لا أظن ! فقال المندوب يحتمل أن تكون هذه المجوهرات مزيفة لأن
المجوهرات الصناعية فاقت الطبيعية فى دقة الصناعة وجمال التنسيق
وقد أجادت بعض دول أوروبا هذه الصناعة .. فقال الضابط .. ليس
أمامنا الآن غير القبض على هذه البنت لنعرف الحقيقة فقد تكون لها
صلة بهذا الجاسوس وهو عميل لاسرائيل ومنطقة السد هنا معرضة
للخطر فى أى وقت فاحتدت (هبه) ودافعت عن نفسها بلهجة الصدق
والبراءة .. أنا مسلمة مصرية عربية وعلى استعداد لكى أفدى وطنى
بروحى لو تطلب الفداء .. فقال سوف يتضح لنا أن كنت بريئة أو
خائنة وكلف شرطى بالقبض عليها وايداعها سجن الشرطة ريثما يحقق

تصحيحهم
مكافأة
لأنك
المنسوب
ضابط
العائلة
سأل
الحفرة
شقة ..
الحفرة
تسألها
الضابط
زوجها
صندوق
صندوق
ن يوزع
ضابط
المنسوب
على هدية
لصندوق
جى ولم
استرعى
الغنم ؟

معها وكيل النيابة ونشرت الصحف خبر القبض عليها مع ذكر التفاصيل كما جاء فى التحقيق •• فلما قرأ الاقطاعى الخبر استدعى سيده ممن يعرفون فى القاهرة وكانت مولعة به ويمكنه الاعتماد عليها واتفق معها على القيام بمهمة تتعلق بانقاذ فتاة أخت عامل يعمل فى دائرته وقد استنجد به لاثام هذه الفتاة فى سرقة مجوهرات والدته التى كانت كلفت أم هذا العامل بأن تحفظها عندها فى البيت ريثما تعود من المصيف خشية أن يستولى عليها بعض الخدم ولا يمكن ضبط السارق لكثرة الخدم فى القصر وشرح لها المهمة التى تقوم بها • وبدأت فى تنفيذ ما أشار اليه بمقابلة الضابط وقدمت اليه نفسها بصفتها أخت (محسن بك) وكان برفقتها صبي من العاملين فى خدمة الاقطاعى (محسن بك) يعرف كيف يجيد البله بعد أن تمرن عليه وقالت له : لقد قرأت فى الاخبار العثور على حلى فى صندوق يعتبر جهاز تسجيل وعرفت من تفاصيل الخبر •• ان هذا الصندوق هو الذى يوجد به الحلى الخاصة بى •• حيث كنت منذ يومين لزيارة أخى (محسن بك) بدعوة منه لمشاهدة الآثار واستعنت بهذا الصبي لتأكدى من امانته كما علمت من أخى عندما زارنى فى القاهرة وأحضره معه ليعرضه على طبيب لعلاج خلل فى مخه أنتج هذا البله وبعد الفحص عند لفيف من المختصين فى علاج المخ اتضح أنه لا علاقة بالمخ وهذا البله وراثة من أبيه ولا فائدة فى علاجه وان الله سبحانه وتعالى عوضه بذكاء خارق ولذلك حرص أخى على أن يستبقه عنده ويعهد اليه بما يصعب على عامل كبير القيام به •• فلما حضرت إلى أخى أحضرت معى مجوهراتى خشية أن تسرقها خادمتى كما حدث مع والدتى عندما سافرت للاصطياف وتركت مصاغها فلما عادت لم تجد الخادم وعلمت أنها خرجت ولم تعد طوال مدة الاصطياف واتضح أنها سرقت المصاغ الذى يقدر بألوف الجنيهات ولم تتمكن المباحث من ضبطها لأن

السمنار الذى أحضرها توفى ولم تعرف والدتى اسم اسرتها وبلدتها
اذ كانت حديثة العهد فى خدمتها ولم تحدث مناسبة لكى تعرف والدتى
ذلك .. لذلك كلفت هذا الصبى لأمانته أن يحتفظ بصندوق المجوهرات
فى غرفة أخى مدة إقامتى ريثما يحضر أخى وتركت الغرفة مفتوحة
لكى يتمكن الخادم من تنظيفها قبل مجىء أخى ولو وضعتها ستكون
عرضة للسرقه لكثرة الخدم وتحركهم بحرية فى القصر واقترحت أن
ياخذها ويحتفظ بها فى بيته ريثما يحضر أخى .. واليوم عندما قرأت
الخبر وسألت الصبى عنها قال أنه لم يشأ أن يضعها فى بيته فحفر
حفرة فى الصحراء ودفنها فيها وبذلك يأمّن عدم معرفة مكانها فى بيته
وتكون عرضة لسرقه أى قريب تستضيفه أمه ومن سوء حظه بل من
سوء حظى العثور على الصندوق واتهام فتاة بريئة وبعد أن تأكد وكيل
النيابة من صحة أقوالها بعد ذكر أوصاف الصندوق ومحتوياته من
المجوهرات ومعاينة الحفرة التى وصفها الصبى اذ عرفت السيدة عندما
قابات (هبه) بدعوى الاعتذار اليها معرفة مكان الحفرة ووصفتها
للصبى .. وفى هذه اللحظة أقبل الاقطاعى (محسن بك) وقابل وكيل
النيابة متسائلا سبب استدعاء أخته الى النيابة كأنه لا يعلم أى شىء ..
فطمأنه وكيل النيابة وسرد عليه خلاصة ما حدث .. فتسلم منه
الصندوق بالنيابة عن أخته راجيا أن يطلق سراح المتهمه البريئة ..
وبعد أن عادت (هبه) إلى دار العجوز لتطمئننها .. لحقت بها
السيدة بايعاز من الاقطاعى لتعتذر لها عما حدث وقدمت إليها نفسها
كأخت (محسن بك) الذى ترك الصندوق عندها ريثما يعود من السفر
لأمانتها التى ثبتت له من تعاملها مع العمال أثناء صرف أجورهم حيث
كانت تشرف عليهم أثناء قيامهم بالعمل فى المشروع .. وكان من الطبيعى
أن ترحب بها (هبه) ..

م ٨ - الحب فى الله

التفاصيل
يبدو ممن
تفق معها
ته وقد
فى كانت
تعود من
السارق
بدأت فى
أخت
لاقطاعى
له : لقد
تسجيل
يوجد به
محسن
من أمانته
رضه على
عقد لفيف
دا البله
عوضه
عهد اليه
أحضرت
دتى عندما
دم وعلمت
ت المصاغ
سيطها لأن

وهنا تذكرت (هبه) ابنة أخت السائق التى استضافتها وقد
اتضح من حديث الاقطاعى معها بعد عودتها بأن السائق ابن عمه ولقد
بدد والده ثروته قبل وفاته فى الميسر وارتياذ الملاحى .. وترك ولده
هذا لا يملك قوت يومه فألحقه بالعمل فى دائرته ولما قالت له .. من
حسن حظك ان والدك لم يبدد ثروته وترك لك هذه الثروة التى تحسد
عليها فقال الفضل لأمى رحمها الله فقد كانت صالحة مؤمنة حريصة على
إسعاد زوجها وتملاً حياته بما يشبع رغباته فى منزله لكيلا يضطر إلى
تحقيق ذلك خارج بيته كما فعل عمى الذى تزوج بامرأة كانت تشتغل
فى بيته خفية وانجب منها بنتا .. وفهمت (هبه) من هذا الحديث أن
ابنة أخت ابن عمه وهو السائق .. هى التى استضافتها ولا شك
أنها تزوجت برجل الأعمال الثرى .. ظننا منه بانها ابنة عم الوجيه
(محسن بك) • على أنها لم تنشأ أن تصارح السيدة التى جاءت بها بما
دار فى خاطرها واكتفت بتبادل الحديث الذى ربط بينهما وأصبحا فى
التواكصديقين وقبل انصراف الزائرة من عندها قالت لها (هبه) ولماذا
لم تحضرى طوال هذه السنين إلى اسوان وقد كان يسعدنى أن أراك
من قبل .. فقالت الفتاة لتبعد عنها سوء الظن بها انه أخى من الرضاعة
وانا أعيش مع والدتى المريضة ولا بد من رعايتها .. فلما قرأ أخى
الخبر استدعانى لكى أمثل هذا الدور لاثبات براءتك .. ويبدو أنه
معجب بك فهل تراك تبادلينه هذا الاعجاب • فقالت (هبه) لست
وحدى من أقدره .. أهل المنطقة كلها بعد أن أثبت إيمانه وعمل الخير
من أجل الله وأنشأ المشروع الذى يدر عليهم خيرا وفيرا فربنت الزائرة
على خدها وهى تقول : أعرف أنه من الصعب تحديد إحساسك بالضبط
نحوه .. فابنة العشرين فى القرى يحول الحياء والتقاليد دون المصارحة
والاعتراف بحبها لاعتقادها أن الاعتراف جريمة لا تغتفر إذا عرف
الأهل .. عكس بنات مصر ففى هذا السن بل قبله منذ المراهقة لا ترى

الفتاة غضاضة فى اعلان حبها بأى وسيلة ولا أخفى عنك أنها تسيء
إلى نفسها من حيث لا تدرى فاذا أظهر الرجل لها احبابه أو تقديره
خيل اليها أنه أحبها والرجل خبير بطبيعة الأنثى أكثر من خبرتها لذاتها
وعلى أساس يقينها باعتبار انه يحبها تعامله على هذا الأساس إذ يقترب
اليها بأى وسيلة من وسائل الاغراء وفق ما يلائم سننها وفكرها
واستعدادها لينال مأربه وتحت تأثير تعهده بالزواج منها تخضع له
دون أن تدرك دفين مشاعره وكم من فتيات فى مثل سنك بل أقل كن
ظاهرات بريئات ساذجات انحرفن مضطرات بعد أن تخلى عنهن الرجل
الذى كان يتظاهر بالحب واعتناق الشرف والعمل بمقتضى الصدق
والامانة فاذا به لا يحمل من الرجولة غير اسمها ولكنه وحش لا ضمير
ولا شرف له • وتنفسست الصعداء مردفة : معذرة لقد تحدثت فى أمر
لا يعنيك فانت ملاك كما يقول أخى وهو خبير بألوان النساء منذ صباه
الباكر على أنه كما اتضح لى منذ عام انه عاد الى رشده وتناس ما كان
يربطه بماضى اللهو الذى يعتنقه الشباب من طبقة الاثرياء • • وقد
حمدت الله واطمأنتت عليه • • واعذرني إذا صارحتك بذلك لأننى أخذت
على عاتقى ان أوجه النصيح الى كل فتاة بريئة لكيلا تقع فى مصيدة
رجل لا ضمير له ولا يخشى الله • فقالت (هبه) معك حق والله يجزيك
خيرا ومر بخيالها طيف الفتاة التى لجأت إلى أمها ووضعت مولودا
ثمرة لجريمة رجل لم يخش الله ولا حظت السيدة سروحها فقالت : فيم
تفكرين • • فقالت (هبه) افكر كيف أرد لك هذا الجميل • • فقالت
السيدة : انه واجب يحتمه على واجب الاخوة نحو أخى ونحو فتاة
بريئة • فقالت (هبه) لست أدري كيف أشكر • • وأتمنى أن تطول
اقامتك هنا فمتى تسافرين ؟ فقالت السيدة : لا أدري بالضبط على اننى
سوف أراك قبل سفرى ان شاء الله وياحبذا لو سمحت بمرافقتى الآن
لكى أرى المشروع الذى ابتناه أخى فاعتذرت (هبه) قائلة : كان

ها وقد
عمه ولقد
ترك ولده
• • من
تحت
يصة على
قصر إلى
تشتغل
حديث أن
لا شك
الوجيه
جاءتها بما
صبحا فى
(هبه) ولماذا
أن أراك
الرضاعة
قرأ أخى
يبدو أنه
(هبه) لست
عمل الخير
ت الزائرة
ك بالضبط
المصارحة
إذا عرف
ة لا ترى

يسعدنى الذهاب معك لولا اضطرارى للبقاء بجانب أُمى ريثما تحضر
خالتي لكى تخدمها ريثما أعود من عملى اذ عاودها مرض الربو من جراء
ما حدث لى .. فكررت السيدة أسفها واعتذارها وقالت : هل أخبر
أخى لكى يستدعى لها الطبيب • فقالت (هبه) شكرا .. انها تتداوى
بأعشاب نستحضرها من هنا ويزول (الربو) بعد تعاطيها .. وقد
ذهبت خالتي لكى تحضرها .. وتقوم بعمل اللازم ريثما أعود من عملى
ان شاء الله .. وهنا اضطرت السيدة أن تنصرف بدونها راجية لأمها
الشفاء ولها التوفيق فى عملها وعلى أمل أن تراها فى فرصة أخرى ..

التصل الثامن

بعد خروجها وجدت الاقطاعى (محسن بك) يقف فى طريق عودتها بحيث تراه ولا تراه (هبه) اذا فرض وودعتها حتى باب الدار .. وبعد أن أخذت مجلسها بجواره فى السيارة .. قالت : رفضت الحضور معى لأن أمها مريضة (بالربو) .. وقد عرضت عليها استدعاء الطبيب بواسطتك فرفضت أيضا وقالت : انها تتداوى بالأعشاب .. فهل يمكن أن تتداوى بالأعشاب ؟ قال : صدقيها .. انها لا تكذب أبدا .. فسكان هذه المنطقة يؤثرون التداوى بالأعشاب اذ ثبت صحة العلاج بها ومعهم الحق فان جميع الأدوية المركبة تؤخذ غالبا من الأعشاب .. فقاطعت .. المهم .. صارحنى .. لماذا تهتم بهذه الفتاة ؟ فقال : لا أخفى عليك أننى أحببتها ! فأبدت دهشتها وهى تقول : أنت تحب ؟ .. قال : صدقيني .. لأنها غير ما ألفت من فتيات القاهرة العابثات اللاهيات اللاتى يعشقن المادة من دون الله لاعتقادهن أنها الوسيلة الوحيدة للسعادة والرفاهية .. أما هذا الفتاة فهى مؤمنة بحق .. تعيش مع الله ولا تترجى سواه محبوبا .. ولقد حاولت بشتى الطرق أن أغريها بصفتي مالك هذه المنطقة ولذلك خلعوا على اسم الاقطاعى ولم يذكر اسم (محسن) غير العاملين فى دائرتى فكانت تحققرنى وتبتعد عنى كأننى ميكروب تخشى أن تصاب به .. وعندما حاولت أن أغريها .. كان مجرد اختبار لفتاة قروية .. تبدو كراعدة تعاف مظاهر الحياة واذا بى اتأثر بها وبدل أن أؤثر عليها لتعيش كما أريد .. أثرت هى على لأعيش كما تريد .. صدقيني .. وأقسم لك .. أننى تحولت من الانسان العابث اللاهى التى تعرفت أنت عليه فى يوم ما .. بملهى نسيت اسمه لأننى نسيت كل ما يتصل بالماضى الذى سايرنى فيه الشيطان فقاطعت : ولكنك مازلت تذكره بدليل أنك

استدعيتنى مع أنك تعرفت على فى هذا الملهى • فقال : لأننى توسمت
فيك يومئذ نقاء قلبك وصفاء روحك رغم استجابتك للعبث وأيقنت يومئذ
أنك مضطرة إلى ذلك لأمر لا أدريه • • ولا أدري لماذا علق اسمك
بذهنى وعنوانك التى ذكرته لى عندما تركتك بدعوى ربما أحتاج اليك
• • وقد صح يقينى بأنك امرأة أصيلة اكتشفت فى ما لم تكتشفه النساء
العابثات المحترفات للمجون • • فقاطعته اذ لاحظت الأسى والحزن
يغمر نفسه ويبدو على ملامحه قائلة : قلت أنك تأثرت بهذه القروية • •
ومعك حق • • فهى فتاة حلوة بريئة فعلا • فاستطرد : استطاعت روح
هذه القروية أن ترفعنى من الأرض وأحلق معها فى السماء وإذا بى
اقترب من الله • • دون أن تدري • • فقاطعته : ربما اتخذت الزهد
واجتنابك لتغريك على الزواج منها لاعتقاد بنات القرى • • الحب ملهى
• • ولكى يثبت الرجل حبه • • يتزوج من يحب • • فاحند وقال : هذا
شأن بنات العصر الملىء بالأباطيل • • قلت لك أنها تفهم الحب عبادة
خالصة صادقة لله وتعيش فى محراب هذا الحب • • وانا واقف أمام
باب هذا المحراب انتظر فتحه لى اجتمع بها تحت ظل الله • • فقاطعته :
أيمكن أن يتحول ابن الثراء ربيب المدنية الذى استمتع بحياته كما يتمنى
إلى إنسان زاهد ينتظر عطف فتاة قد تمنح وقد لا تمنح • • اعتقد أن
حرمانك منها واستحالة الاجتماع بها حتى الآن هو باعث هذا الذى
تسميه حبا • • وما هو إلا الرغبة الملحة فى ضرورة التأثير عليها لتستسلم
لك • • قال : أقسم لك ان حبى لها منزله عن الرغبة فى الاستمتاع بها
كأننى لأنها دون أن تدري أيضا • • لقحت وجدانى بنور منبثق من
نور الله فأصبحت — بحق — محبا والها الله • • ولمن حولتنى من جحيم
الدنيا الفانية إلى جنة الآخرة التى تبدو أمام ناظرى كأننى أعيش فيها
الآن بفضل هذه القروية الطاهرة • • وطال حديثه مؤكدا إيمانه وحبه
بتأثير هذه القروية وإذا بها تستشعر بصدقته ونزاهة حبه فأشفقت

عليه اذ مر بخاطرها ما عانتها من جراء حب خيل اليها يومئذ أنه باق
كالأبد فاذا به زائل كزوال نشوة المتعة العابرة لأنه لم يكن وليد اليقين
الثابت والإيمان الراسخ إذ لو كان كذلك لعاش لأن الله باركه يوم نشأ
•• وبصوت ملهى بحرارة ذكرى ماض أليم قالت بلهجة صادقة سأقف
بجانبك لكي تحقق أملك مع أننى كنت لا أوّمن مطلقا بالحب العف
النزيه من ناحية الرجل •• هنا رفع رأسه إلى السماء قائلا : اللهم
اشهد أن حبي منزها عن كل غاية لا تنتهى إلى تعاليمك • وأنجه نحوها
قائلا : ادعوا الله أن يفتح قلبك على الحب الاكيد لتؤمنى به • فقالت
والغصة تكاد تبتلع ألفاظها : لقد أحببت يا أخى •• كما أسمىنى وشكرا
لك • حبا صادقا بتأثير كلمات ذلك الشاب الذى جذبنى اليه بأعذب
كلمات الحب وأروع أمانى الزواج وكنت فى السادسة عشر من عمرى
ولا أعرف اساليب الحب الحقيقى من الحب الزائف •• وتنهدت وهى
تمسح دموعها أخيرا عرفت بعد استماعى لآى الذكر الحكيم وأحاديث
الرسول ﷺ انه يجب تلقيح ذهن الفتاة قبل المراهقة بتعاليم الدين
لتعرف كيف تحمى نفسها من شياطين الأرض أو على الأصح شباب
الحب المزيف •• وهنا لحن عاملا يتجه نحوه ليستوقفه فاضطر أن يتوقف
فقال العامل : كلفنى رئيس العمال باستدعاء حضرتك لاستشارتك
ونبهنى عامل بأنه رأى حضرتك تتجه نحو هذا الطريق فجئت لأنى
أعرف أن هذا الطريق يوصل إلى منزل الآنسة التى تشرف علينا وهى
لم تحضر كعادتها كل يوم فظننت ان حضرتك جئت لتدعوها •• فدعاه
(البك) لاركوب معه فى حين قالت السيدة : فعلا كلفنى بالذهاب اليها
وسوف تحضر بعد مدة وجيزة •• وعندما وصل المشروع كلف العامل
أن يقول لرئيسه أنه سيحضر بعد لحظة اذ سيوصل أخته إلى القصر
•• وبعد ان استأنف سيره •• سألها وما نهاية حبك الذى دعاك إلى
الكفر به •• قالت : انها قصتى منذ بدأت دراستى فى الجامعة وسوف

توسمت
ت يومئذ
اسمك
ج اليك
النساء
والحزن
روية ••
ت روح
واذا بى
الزهد
ب ملهى
ل : هذا
ب عبادة
تف أمام
قاطعته :
ما ينمنى
اعتقد أن
ذا الذى
تستسلم
اع بها
يثق من
ن جحيم
يش فيها
نه وحبه
فأسفقت

أقصها عليك عندما يكون لديك وقت من الفراغ أما الآن فإذهب إلى مشروعي * فقال : أنا مشوق لسماع قصتك اذ بي ميل خفى لا أدرك كنهه لكى أثبت لك أن الحب الحقيقي موجود وما زال من أجل الله .. فسردت عليه قصتها كما حدثت في البداية واضطرارها الى الانتحار بعد أن وجدت نفسها وحيدة بعد موت من كانت تعولها وتأفف زوج ابنة خالتها التى استضافتها رحمة بها ومرضاة لروح أمها التى أوصتها أن ترعاها لحين تجد عملا أو تتزوج برجل يحبها ويرعاها وهى خالتها .. وأخيرا وفقت ابنة الخالة بوسيلة صديقة لها أن تجد لها عملا كسكرتيرة فى مصنع ولم ألبث حتى عطف على ابن صاحب المصنع عندما علم أنني يتيمة وكنت ادعيت ان أسرتى استشهد كل أفرادها فى حرب السويس أثناء وجودى فى القاهرة ثم تحول عطفه الى حب وعرض على الزواج .. وصعب على أن يكتشف أنني لست عفراء فيتحول حبه إلى كراهية واحتقار يدفعه إلى فصلى من العمل .. ولكى احتفظ بحبه فكرت فى الانتحار لكى يتخلص منى دون أن أفقد حبنى وصورتى التى تعلق بها ولم أجد أمامى غير أن أقذف بنفسى فى النهر لكيلا تكتشف خطيئتي عندما تشرح جثتي إذا انتحرت بطريقة تبيح ذلك .. وسرعان ما نفذت رغبتى وإذا بأمرأة كانت جالسة على مقعد لتستريح على ما أظن تصرخ وتستغيث لتأفك نظر المارة وسرعان ما أنقذنى شاب فلما استفتقت وجدت نفسى بجانب هذه السيدة التى ادعت أنني قريبتها وأننى رسبت فى الإمتحان عدة مرات ولذلك لجأت إلى الانتحار خوفا من والدى القاسى .. ولست أدري كيف استعانت تلفيق سبب انتحارى لكى تبعد عنى سوء ظن المارة .. وبهد حانية جففت دموعى التى غمرت وجهى وقالت : ما السبب فى انتحارك يا ابنتى .. اعتقد غير ما ذكرت أليس كذلك ؟ فذكرت لها الأسباب التى ذكرتها لابن صاحب المصنع واستحالة حياتى بعد أن فقدت أسرتى كلها ولم يعد

لى من يرعائى فترفقت بى وقالت : الله الذى نجاك من الاستشهاد مع
أفراد أسرتك لقيامك متطوعة بتمريض الجرحى كفى بأن يرعاك ويحميك
وحمدا لله الذى بعثك إلى فأننا أرمل ولم أنجب أولادا وقد ورثت من
زوجى ثروة طائلة توفر لى أسباب الحياة ولا ينقصنى غير من تؤنس
وحدثى كلما خلا مسكنى من زوارى وهم من أقارب زوجى وأقاربى
اذ يجدون عندى كل ما يعوزهم من أطايب الحياة • وأنا سعيدة بتوفير
ذلك اليهم لتبديد وحشتى إلى حد ما فاعتبرينى أمك وسوف أعتبرك
ابنتى ولن يكلفك ذلك غير معاملتى كأمر بدل أن تنتحرى وتموتى كافرة
وقد أزوجك بمن يكفل لك سعادتك تحت رعايتى وسوف أوصى بنصف
ثروتى لتحملك على مدى الأيام وكان من الطبيعى أن اتأثر بحنانها
وعطفها ورعايتى الى هذا الحد الذى لم يخطر ببالى بعد يأسى وقنوطى
وحمدت الله سبحانه الذى دفع هذه السيدة الى نجدتى وعاهدتها على
أن اكون ابنة بارة بها وبدأت أعيش معها هانئة راضية دون أن يراودنى
أى شك فيما يترددون عليها من النساء والرجال مع السماح لى بمجالسة
من أعجبه أو يعجبنى لاختيار الزوج الذى يصلح لى وذلك لا يتسنى
لى الا بمخالطة من يتقرب إلى كما أفهمتنى وازددت حبا فيها واحتراما
لها خصوصا بعد أن قدمتلى لزوارها باننى ابنة أختها التى استشهدت
مع جميع الاسرة فى حرب السويس ولم يبق سواى اذ كنت أقوم
بتمريض الجرحى فى القاهرة ولم البث حتى استجبت لرجل من
الزائرين أظهر لى الحب والرغبة فى الزواج وكانت السيدة سمحت لى
بالخروج معه لى اشترى بعض لوازم لها لأنه من الأثرياء • وتعودت
أن أخرج معه مساء كل يوم لشراء اللازم للسيدة وأشهد أنه لم يحاول
أن ينبه غريزة الأنثى بكلمات تثير الشك فى إيمانه ورجولته وفى مساء
يوم دعانى لتناول العشاء فى مطعم لا يؤمه غير الأسر الصالحة وقال
لى أثناء تناول الطعام • ان ضميمى يحتم على أن أصارك بما يدور

فى منزل خالتك دون علمك لأنها حريصة على ألا تعرفى ما يدور فيه من اقتراف الاثم والخطيئة تحت شعار اسم الدين البهائى .. فكل زوارها من هؤلاء .. فالمرأة لا ترتبط برجل واحد تحت شعار الزواج الذى يعترف به الاسلام ولكنها تمارس الجنس مع عدة رجال وكذلك الرجل يمارس الجنس مع عدة نساء باسم هذا الدين الذى يعترف بالفسق والفجور والاباحية دون الاعتراف بتعاليم الاسلام .. وقد لاحظت أنك بريئة عفة طاهرة لذلك أخاف عليك من تأثير رجل من محترفى تضليل البريئات أمثالك بجاذبية يعجز على مثلك مقاومتها .. وصعقت لما سمعت .. وقلت له : مادام الأمر كذلك .. فسوف اصارحها أنني اكتشفت ذلك وأننى كمسلمة واعية لدينى لا يمكن أن أعيش فى منزل هو فى الواقع مأوى للقيام بكل ما يغضب الله ورسوله .. فهدأ من روعى وقال : على كل حال لقد أرضيت ضميرى وانت حرة .. وخيل إلى أنه يريد أن يبعدنى عن السيدة عندما قال : مثلك يجب أن تتزوج زواجا شرعيا وأنا على استعداد لكى اتزوجك ومن المحتمل أن السيدة تريد أن تبتذ أمواله بوسيطتى ولذلك أراد أن ينسحب دون أن يشعرها بذلك فدافعت عنها فقال لى : لكى تتأكدى مما قلته .. لن أحضر غدا وقولى لها أنني تركت معك مبلغا من المال لشراء ما تحتاجه اليوم لأننى مضطر للسفر وسوف أعود بعد غد ويمكنك شراء لوازمها وحدك .. ثم اختفى بعد أن تتظاهرى بخروجك أمامها واختفى فى مكان يسمح لك برؤية ما يحدث دون أن تشعر هى .. وبدافع الرغبة الاكيدة فى معرفة حقيقة ما قاله .. قمت بتنفيذ ما اتفقنا عليه فأريت السيدة تجلس وحدها وقد تفرق الزائرين الموجودين فى الردهة بعد خروجى واصطحاب كل رجل امرأة ليخلو بها فى غرفة مع ترديد كلمات لم يسبق لى سماعها ولم أفهمها وهنا تأكدت من صدق الرجل فتسللت خفية إلى غرفتى وتركت لها ورقة صارحتها باكتشافى الرذيلة التى

تحدث فى بيتها ورجوتها باسم الله أن تتقى الله وتتعد عن السماح
لمعتقى الدين البهائى بممارسة الفسق والإلحاد فى بيتها عسى الله
يغفر لها وأسرت الى الرجل الذى كان فى انتظارى فى المكان الذى
حدده لى .. واذا به يصارحنى بأنه كان يستأجر مسكنا له وأنه كان
أخبر الأسرة التى تقطن بجوار مسكنه بأن زوجته تقضى الصيف عند
أسرتها وهو لا يستطيع ملازمتها لأعماله التى تضطره للبقاء فى
القاهرة .. وسوف يخبرهم اليوم أننى عدت ولكيلا يكتشف أننى لست
عذراء .. ادعيت أننى وقعت وأنا صغيرة من فوق الدور الخامس من
منزلنا وأنا العب مع الصغار فوق سطح العمارة وقد أصبت بجرح
كبير اذ دخلت حصاة كبيرة فى (فرجى) ففتحت فضحك وقال .. هذا
لا يهم لقد اغفيتنى من أجراء مهمة صعبة يمارسها الزوج مضطرا لازالة
بكارة العذراء .. وهنا حمدت الله اذ زال عنى القلق الذى كان يلزمنى
دائما كلما لاح لى فرصة للزواج .. وقضى معى بعض أيام مؤكدا لى
حبه وكلما طلبت منه عقد الزواج خرج وعاد أسفا لعدم وجود المأذون
فى هذا الوقت .. ثم بدأ يغير مواعيد اقامته معى فأحيانا بالنهار
وأنا بالليل دون أن يقصر فيهما - يجب أن يحضره من طعام وملابس
ومضت بعض الشهور وهو يبدى أعذارا مختلفة وازاء اصرارى على
عقد القران وإلا اضطررت الى الذهاب الى جمعية خيرية قرأت اعلانا
منها تطلب مربية لاطفال الحضانة فى هذه الجمعية .. فرفض ثم أحضر
المأذون وعقد القران فحمدت الله .. ومرت الأيام وأنا راضية عنه وعن
دنياى فاذا غاب يوما ولم يحضر طوال النهار أو الليل يعتذر بعد مجيئه
قائلا : أنه كان فى مهمة تتعلق بأمن الدولة لأنه من رجال الأمن
المستولين حتى ذلك اليوم الذى ذهبت لأشتري لوازم البيت لتغييره
يومين كاملين على غير عادته من متجر فسمعت رجلا يشتري لوازمه
يخاطب صاحب المتجر : لا أستطيع أن أتصور مصرى يخون وطنه

يدور فيه
.. فكل
الزواج
كذلك
يعترف
وقد
محترفى
صعقت لما
رحا أننى
فى منزل
فهدأ من
.. وخيل
أن تتزوج
ان السيدة
ن يشعرها
أحضر غدا
يوم لأننى
.. وحده
كان يسمح
لا كيدة فى
السيدة
د خروجى
كلمات لم
فتسللت
ذيلة التى

لمصلحة اسرائيل فسحب البائع الجريدة ليرى صورة هذا الخائن ..
وإذا به يصرخ بصوت خافت قلألا : هذا الرجل كان يشتري من عندي
كل ما يحتاج إليه آه لو كنت أعلم أنه خائن لقبضت على عنقه وأرحت
الوطن منه والشارى يردد .. خائن .. نذل .. وضع يجب أن يعدم
على مرأى من الجمهور ليكون عظة لكل من تسول له نفسه أن يخون
وطنه ومددت يدي لكى أقرأ ما يثبت خيانتة .. فلما وقع نظرى على
الصورة وقرأت الاسم المنشور واسم البطاقة المزورة التى كان يحملها
.. وبها عقد قرانه على .. شهقت حتى خيل للشارى والبائع أنها
شهقة طلوع الروح فانزعجا وأسرع البائع وناولنى كوب من الماء
وخفت أن يفتضح أمرى واستجمعت قواى وقلت بلهجة حاولت
ألا تعبر عما اصابنى : أنها حالة تصيبنى من شدة الارهاق .. فقال
الشارى ظننت أنك تعرفين هذا المجرم فقال البائع : لا أظن .. لاننى
لم أرها غير اليوم واعتقد أنها ليست من سكان هذا الشارع .. فقلت
فعلا .. كنت فى زيارة أحد معارفى وانتهزت فرصة مرورى على هذا
المتجر وبه لوازمى ففضلت شراءها بدل أن اكلف الخادم بعد عودتى
بشرائها من المتجر القريب منا .. فقاطعنى البائع .. يمكنك الذهاب
إلى متجر مختص ببيع الأعشاب الصالحة لجميع الأمراض وقد جربته
أنا ونفعنى وهو بجوار محافظة القاهرة .. وفى طريق عودتى اشتريت
الصحيفة الباقية عند بائع الصحف وقرأت نتيجة التحقيق حيث اتضح
أن اسمه الأصلى غير اسمه المذكور فى البطاقة التى ضبطت معه وقد
حصل عليها عندما سافر لتقديم العزاء فى قريب له واستطاع أن يأخذ
بطاقته بدعوى القيام بمساعدة صرف معاش استثنائى للزوجة من وزارة
الشئون حيث لم يترك لها ما يعينها على الحياة ورعاية أولادها
الصغار .. وتعامل مع اسرائيل مقابل مرتب شهري كان يتقاضاه من
شبكة تعمل لحساب اسرائيل فى القاهرة .. ورحت أفكر فى حالى

ومصير الجنين الذى كنت اتأهب بفروغ صبر لاستقباله سعيدة بتعويض مولود افتقدته لكى أتخلص من خطيئة لم أرتكبها عن عمد .. أما هذا الجنين فقد كان فى حسابى ابن حلال .. فإذا به ابن حرام .. وهبنى تعلقت به من ينتسب ! .. أينسب لمجرم خائن يستحق لعنه الله والرسول ﷺ برىء منه .. وكل مواطن مسلم برىء منه وحمدت الله لأن الجيران من العمال الذين لا يطالعون الصحف وهوايتهم رؤية التليفزيون وسماع الراديو ومن حسن حظها انقطع تيار الكهرباء أثناء نشرة الأخبار فلم يسمع الجيران خبر القبض على جاسوس لا إسرائيل .. وكانت الشقة التى استأجرها مفروشة وليس فى مقدورى أن أدفع قيمة الإيجار ولم يبق عليه غير أيام .

فانتهزت فرصة خروج أسرة الجيران لتمضية اليوم فى شابين القناطر بمناسبة شم النسيم وأخذت حاجياتى وخرجت فى حذر لكيلا يستشعر بى شاب أعزب يقطن فى مسكن يواجهنى ينظر دائما من النافذة كأن معاكسة ابنة الجيران هوايته المفضلة .. واعتزمت أن أذهب إلى الجمعية الخيرية عساها تقبلنى (كدادة) للأطفال .. وهى بقرب منزل السيدة التى آوتنى وتركتها لسوء خلقها وأيقنت أنها أقل خطرا من عميل إسرائيل .. إذ قد تتوب إلى الله فيغفر لها أما هذا الخائن فهو يعرض الوطن كله إلى الخراب والدمار فمصيره جهنم وبئس المصير وفى طريقى أحسست بدوار كاد يفقدنى توازنى فجلست لاسترد قواى وإذا بضجيج على مقربة منى دفعنى إلى مقاومة الدوار لاتبين مصدره وهو قريب من منزل هذه السيدة ولم أكد أقترب من المنزل حتى سمعت بعضهم يقول : ان الشرطة داهمت هذا المسكن لأن صاحبه تسمح بممارسة طائفة تنتسب للدين البهائى .. وقد قبض رجال الشرطة فى قسوة واحتقار فدمعت عيناي وتمنيت لو فى مقدورى أن أقبض على كل من فيه وعند خروج المقبوض عليهم رأيت السيدة

لا شكر على واجب يا أختي .. نحن مدينين لك بأكثر من أجر المحامي
الذى دفعه .. وقالت امرأة أخرى .. كلنا مدينات لك بما قدمته لنا
من مساعدات لا حصر لها فى مناسبات الزواج والوفاة لكل أهالى هذا
الشارع .. وهنا تقدم الشرطى يقول للحاضرات : كفاية بقى سييوها
تستريح .. وتقدم نحوها .. أنا اديت مهمتى ورفعتم الشمع والحمد
لله وفهمت أنه يريد مكافأة .. فخلعت خاتما ذهبيا من اصبعها وقالت :
أنا آسفة لقد وزعت ما كان معى من النقود على كل من قابلنى اثناء
خروجى فالتقطت إحداهن الخاتم قائلة : وهو معقول تبيعى خاتمك
وغلوسك معايا وقدمت له مبلغا من المال يبدو كان معها لشراء لوازم
بيتها لأن حقيبة اللوازم كانت فى يدها وأعادت اليها الخاتم فقبلتها
السيدة قائلة : ربنا يساعدنى على رد الجميل وبدأت النسوة فى
الانصراف واحداهن تقول .. لا يمكن ربنا يضيع أجر المحسنين ..
دى واحدة كانت بتحسن فى الخفاء وبعد انصرافهن اعتذرت لها عن
سوء ظنى بها وقصصت عليها ما حدث لى بعد أن تركتها فهنأتنى على
الخلاص منه ولما سألتها كيف افرج عنها .. قالت : دون أن أدري
جارى الحاج اقام لى محاميا قال فى دفاعه بعد أن اتصل بى واتصل
بمن قبض عليهم ليعرف حقيقة موقفى فقالوا هذه السيدة مسلمة مؤمنة
وكانت تستأجر الغرف فى مسكنها لمن يضطر للاقامة فى القاهرة لحاجتها
إلى تكاليف المعيشة وأرجو من هيئة المحكمة أن تستجوب المقبوض
عليهم عن صلتها بهم وهل هى من معتنقى الدين البهائى كما جاء فى
محضر الشرطة وبعد تأجيل الجلسة لسماع أقوال المقبوض عليهم ..
قال بعضهم : لقد كنت مدعوا فى حفل زفاف قريب لى .. وخرجت
مع زوجتى فى منتصف الليل وكان لابد أن نقضى باقى الليل ريثما يحين
ميعاد قطار الصباح لنعود الى بلدتنا وكنت سمعت من قريب لى أنه
قضى ليلة فى مسكن هذه السيدة لأن أجور الفنادق مرتفعة جدا

فتذكرت عنوان هذه السيدة لأن ذاكرتى قوية جدا وذهبت اليها فرجبت بنا مكتفيا بما قلته الآن للمحكمة .. واثناء وجودنا فوجئنا بالشرطة تقبض علينا بدعوى أننا ممن يعتقدون الدين البهائى .. ولو فرض أننا كذلك .. فما ذنب هذه السيدة .. أنها لم تسألنا الى أى دين ننتمى أمسلمين أم مسيحيين أم يهود .. مع اننا عندما دخلنا عليها كان الراديو يذيع القرآن .. وقال الثانى : لقد جئت مع خطيبتى لتنتقى فستان الزفاف ومضى اليوم كله دون أن يعجبها أى فستان ولما أقبل الليل شعرت بارهاق شديد من تكرار التجول ركبنا تاكسى وسألنا السائق عن بنسيون لستريح خطيبتى حتى الصباح ولكى لتعاود البحث فى المحلات التى لم تذهب اليها فدلنا على مسكن هذه السيدة ولم نكد نستقر فيه حتى فوجئنا برجال الشرطة كأننا مجرمين ..

وهنا قال المحامى : أظن ما قيل يكفى لبراءة موكلتى اذ التهمة الموجهة اليها أنها تستغل مسكنها لمعتنقى الدين البهائى .. وقد ثبت أنها لا تعرف أى شىء عن المقبوض عليهم غير أنهم لجئوا اليها فى وقت ضيق لم يسمح لها بالتحديث معهم لتعرف عنهم كل شىء .. انها ساعات معدودة وفى الصباح سينصرفون .. اما المقبوض عليهم فلا علم لى بحقيقة صلتهم بالدين البهائى .. وختت السيدة حديثها بقولها .. أحمد الله وادعوه أن يوفقنى لتأدية فريضة الحج أن شاء الله ♦

الفصل التاسع

وهنا سكنت لتشعره بأنتهاء حديثها لكى ينصرف ويذهب الى المشروع ولكن سؤالا مر بذهنه فسألها .. ولماذا عدت الى اللهى ؟ فقالت .. أثناء وضع ملابسى فى الدولاب الذى خصصته السيدة لى حيث اتفقت معى على أن أظل معها وأمكث فى مسكنها أثناء تأديتها فريضة الحج فوافقت سعيدة بتحقيق رغبتها .. وقع مظلوما كان بين ملابس جاسوس اسرائيل وهى قليلة وقد تركتها ولكننى احتفظت بالظرف على أمل أن به عقد زواجى المزور لكى أمزقه فاذا به صورة رجل رأيته فى هذا اللهى اذ كان يصحبنى مساء اليوم الذى يقضيه معى بدعوى أن يسرى عنى بعد قضاء النهار فى المنزل وحدى .. وبعد أن يستقر بنا المقام بعد أن يختار مائدة فى طرف اللهى فكنت اعتقد أنه يغار على .. ثم يتركنى ويذهب الى هذا الرجل الذى كان يجلس وحده على مائدة ويتحدث اليه بصوت هامس كما يبدو من تحريك شفتيه وعندما سألته من هذا الرجل قال لى .. انه صديق قديم وكان مديونا لى بمبلغ كبير وكدت اقاضيه لولا أنه تعهد بأن يدفعه على أقساط وكلما جئت يناولنى المبلغ المتفق عليه .. فلما قبض على الخائن ثم رأيت هذه الصورة ايقنت أنه شريكه فى التعامل مع اسرائيل .. فلما صارحت السيدة بذلك .. قالت لى : اذن اذهبى الى اللهى فاذا رأيته اتصلى بالمباحث فورا للقبض عليه .. والله يجازيك خيرا اذا وفقت .

واثناء وجودى جئت أنت .. ويبدو أن مظهرى جذبك اذ كنت تعمدت أن أظهر بمظهر يلفت نظر هذا الرجل فيقترب منى .. فاشرت الى لكى أدنو منك وقدمت لى المقعد لكى أجلس معك كما يبدو انك م ٩ - من أجل الله

كنت فى حاجة الى مؤانسة امراة تنسيك متاعب النهار بدليك انك وضعت يدك على يدى وكنت وضعتها أنا دون وعى .. فقاطعها : فعلا كنت على وشك مداعبتك ولكنك أزحت يدى بحركة جرحت كبريائى ورفعت يدك انذارا لى بعدم تكرار ذلك .. فقالت : لقد استجبت لدعوتك أولا الآن لأن مظهرك أثار اهتمامى لأمر لا أدريه مع أننى كنت كارهة للرجال الى أقصى حد كرها مصحوب بالاحتقار وبودى لو انتقم من جميع الرجال من أجل هذا الخائن ومن اعتدى على فى باكورة صباى ولا أذكر كيف دار الحديث بيننا واذا بى آنس اليك وتأنس بى .. ولما علمت بأننى أفكر فى العمل كمربية فى الجمعية الخيرية بعد عودة السيدة من الحج لكيلا اكون عالة عليها وبعد أن صارحتك بحقيقة مجئ الى الملهى وأننى لست من نساء الليل عرضت على العمل كمشرقة على الخدم فى قصرك .. ولم أشأ أن أبت فى الأمر ريثما أستشير السيدة التى أوتنتى من أجل الله وعند خروجى من الملهى تفضلت بتوصيلى الى منزل السيدة فقاطعها .. عن عمد فعلت للأعرف عنوانك اذ أحسست بدافع خفى أننى سأحتاج اليك .. وقد صح احساسى ..

وهنا استأذنها لكى يذهب الى المشروع وقبل أن ينصرف عاد اليها ليسألها .. وما نهاية الجنين ؟ قالت : لقد استعانت السيدة بمولدة قامت بتخليصى منه والحمد لله .. فأبدى أسفه مرددا .. لقد قتلت نفسا حرم الله قتلها .. فقالت بلهجة الامتعاض .. لقد كانت بذرة غير صالحة للنماء لكن الذى اخشاه وادعو الله ان يغفر لى قتل نفس بريئة بعد أن مدها الله بروح من عنده .. وبدل أن يخرج عاد اليها قائلا .. انك مجموعة أقاصيص فى قصة .. فإى نفس بريئة هاته .. فتنهدت فى مرارة وقالت : انها بداية مأساتى فقال : فلننصف الى مأسيك مأساة فلعلها غير ما ألفتها من جرائم القتل .. فقالت

اعتقد ان الله سيغفر لى لأننى لم اقتله بل تركته وديعة عند الله ..
قال : اذن سيرحمك الله . فلا تضيعى وقتى بالمراوغة .. فابتسمت
على مضض قائلة .. لتكن مشيئتك وسردت عليه قصة مأساتها الاولى
فتأهب للخروج وهو يقول : اعتقد ان الله سيعوضك خيرا وسوف يقبل
توبتى وتوبتك ووقفت لتقول : بودى أن أرى القروية فليتك تهى لى فرصة
لهذا اللقاء فقال : اسمها (هبة) .. فقالت : أنها هبة فعلا من الله
فتوقف ليسمع رأيها فأردفت بلهجة الصدق .. عندما ناولتني كوب
من الماء أحسست أن كل قطرة ماء شربتها كانت جرعة تطهير غسلت
نفسى كأنها مصل سحرى لفح كيانى كله فأصبحت انسانة جديدة
لا تعرف ما علق بذهنها من كراهية وحقد ويأس وقنوط مستشعرة
بأننى مشدودة الى السماء يربطنى بها خيط رقيق كأنه صيغ من النور
العلوى يشدنى الى الله حيث لا أحب سواه فقال : هذا هو الحب
الحقيقى يا أختاه .. وانصرف بعد أن قال لها .. يمكنك أن تحضرى
الى مكتبى بعد العصر لكى أوصلك الى هبة .. مادمت مشوقة لرؤياها
.. وبعد أن ذهب الى المشروع وعلم أن (هبة) مرت عليه قبل ذهابها
الى بيتها فاسرع الى مكتبه لكى يصحب (السيدة) أخته كما ادعى
لزيارتها .. وعندما وصلا الى بيت العجوز تركها تدق الباب دون أن
يختفى لتقدمه الى العجوز بصفته أخيها .. فلما فتحت العجوز الباب
وسألت عن (هبة) قالت العجوز .. انت مخطئة يا ابنتى لا أعرف
(هبة) هذه .. فعادت الأخت وأخبرت محسن بذلك فأبدى دهشته
ثم سرح مليا واذ بذاكرته تعود الى اليوم الذى حاول اختطافها بوسيلة
تابعه ودخلت فى هذا البيت فقد سمع التابع اسم زكية وقد ظن يومئذ
أن هذا اسمها اذ لم يكن تعرف عليها بعد ولكن تردده على العمل
الجارى فى السد عرف أن اسمها (هبة) فقاطعت أخته : من الجائز
أن تكون اشتعلت بهذا الاسم لأنها تعمل دون علم أسرتها فقال : يحتمل

انك
فعلا
ريائى
تجبت
كنت
انتقم
لكورة
تأنس
خيرية
رحمتك
العمل
شما
المهى
لأعرف
صح

عاد
سيدة
لقد
كانت
س قتل
ج عاد
بريئة
لنصف
فقال

هذا وخصوصا أن العرب لا يوافقون على عمل الفتاة قبل الزواج
بوسيلة الاختلاط مع الشباب ويجوز للمرأة المتزوجة أن تعمل مع
زوجها أو أخيها أو ابنها إذا تقدم بها السن • ولذلك يمكنك العودة الى
بيتها وسؤال أمها عن (زكيه) فقالت الأخت : لا أظن هذه أمها •• انها
امرأة عجوز • قال : يحتمل أن تكون جدتها •• المهم •• اذهبي الآن
فلما ذهبت وسألت العجوز عن (زكية) قالت : انها ذهبت لخالتها
المريضة •• وهكذا كان الاتفاق بين العجوز وحبه •• هو عدم مقابلة
أى أحد يظن أن هذا بيتها بأى حجة تحتج بها العجوز •

وهنا ظن محسن أن ما افترضه صحيح فعاد الى مكتبه بمرافقة
أخته ليستريجا بعض الوقت ولم يكد يستقر حتى جاءه مدير أعماله
ليعرض عليه بعض الأوراق لاعتمادها ولاحظ (محسن) اعجاب المدير
بأخته من نظراته خلسة ومر بذهنه فكرة طارئة فقال لأخته : قد أتأخر
هنا ريثما أتفاهم مع الأخ •• ان شئت عودى الى القصر وفهمت من
نظرته ضرورة خروجها وانتهاز المدير الفرصة وغير مجرى الحديث
الخاص بالعمل وسأله لماذا لا تتزوج (يابك) فابتسم محسن وأدرك
ما دار بخلده فقال : نسيت أن أقدم لك اختى من الرضاعة • لقد
دعوتها لمشاهدة آثار اسوان ولكى أخفف حزنها على وفاة والدتها
ولم يعد لها فى الحياة الآن سوى •• ولماذا لم تتزوج يا أختى حتى
الآن ؟ •• فقال : ظروفى المالية لا تسمح بذلك لأننى أعول والدتى
وأختى الصغار والزواج يحتاج لمصاريف فوق طاقتى فقاطعه (محسن)
وهل وقع اختيارك على زوجة واحجت لضيق يدك كما تقول ؟ فقال :
المدير : فى الواقع لم أفكر قط فى البحث عن زوجة لعدم تفكيرى فى
الزواج • فقال (محسن) دع مصاريف الزواج على الله وعلى وسوف
ارفع مرتبك لكى تستمر فى رعاية أهلك مع تكاليف زواجك وتكاليف
أسرتك فى المستقبل فمال المدير على يده لكى يقبلها فسحبها منه وهو

يقول .. الشكر لله يا أخى هو الذى يمنح ويمنع .. بقى أن أعرف رأيك
فى أختى .. لقد استشهد زوجها فى الحرب وأصبحت وحيدة ولن
أزوجها الا برجل جدير لحمايتها . فقال المدير : من حظ من يتزوجها ..
وحسبها انتسابا اليك فقطاعه محسن : المهم أن يستشعر من
يراها أنها عروس أحلامه قبل الاختلاط بها .. فقال المدير : أنها
جديرة برجل ممتاز وتنفس الصعداء مردفا : ليتنى جدير بها . فقال
محسن : ان شئت زوجتها لك .. ها أنت رأيته وسمعت صوتها وتحركت
أمامك عند خروجها .. فقال المدير : سيدة محتشمة وقورة حلوة ..
ويسعدنى أن أتزوجها اذا وافقت هى اذ أخشى أن يكون زوجها مثل
سيادتك .. فقال محسن : اطمئن .. انها مؤمنة سالحة ولا ترغب
فى غير زوج مؤمن يثق الله فيها .. فقال المدير : ما أسعدنى برضاك
ورضاها أن وافقت فقال محسن : آهنتك وعلى بركة الله .

وكان من الطبيعى أن يصارح (محسن) أخته بالحديث الذى
دار بينه وبين مديره وأن يأخذ رأيها فوافقت فى التو شاكرا له انقاذها
من الحيرة والتفكير فى مستقبلها الغامض المجهول ومصيرها فيما بعد ..
وبدأت تفكر لا سبيل الى رد جميله هذا الا بتحقيق أمنيته وزواجه
من (هبة) رغم الفارق الهائل بينهما فهى من طبقة فقيرة معدمة لا تملك
غير الأجر الذى تتقاضاه من عملها .. وهو من طبقة لها صلة بالأسرة
المالكة .. ولديه ثروة طائلة ورثها عن أبيه .. ولكن هذا حظه أو على
الأصح نصيبه الذى قدره الله ليثبت أنه لا فارق بين الغنى والفقير
الا بالتقوى . وها هو تأثر بها وتحول من انسان مستهتر الى انسان
صالح تقى يعمل الخير من أجل الله .

وطال تفكيرها فى هذه المشكلة كما يبدو لها .. ان محسن يجب
هبة حبا لا مثيل له لم يعرفه تاريخ المحبين فكيف تعرف مشاعر

(هبه) نحوه وكلفت (محسن) ان يراقب (هبه) وقت خروجها من العمل لكي تتأكد من وجودها بالبيت كي تذهب اليها قبل خروجها لتذهب الى خالتها المريضة كما قالت أمها أو جدتها لا تدري .. وكما تعود (محسن) مراقبتها بعد انصرافها من العمل في السد والمرور على المشروع قبل ذهابها الى بيتها ولم يدر انها كانت تعرف ذلك وتحرص على ألا يشعر بأنها تراه دون أن يلحظ ذلك .. وذهبت اليها الأخت قبل أن تغادر بيت العجوز اذ كانت لاحظت أن أخت محسن معه في العربة ولا شك أنها ستأتى اليها ولذلك أنتظرت في البيت .. فلما جاءت الأخت رحبت بها وكأنها مفاجأة أسعدتها .. وكان من الطبيعي أن تخبرها بخطبتها الى مدير أعمال أخيها محسن بك وقد جاءت الى تدعوها لحضور الحفل الذي يقام في القصر لاعلان الخطبة .. فهنأتها (هبه) راجية لها السعادة والتوفيق واعتذرت لعدم حضور الحفل لأن ملابسها لا تليق بحضور حفل يجمع بين أفراد طبقة من الأثرياء يلبسون أفخر الأزياء ولا تريد أن تكون موضع سخرية وازدراء .. قالت ذلك بلهجة الأسف والمرارة اذ مر بخيالها ما حدث يوم ذهبت حفل شقيق المهندس * وكان محسن توقع عذرها لهذا السبب فلفت نظر أخته على أن تؤكد لها أن الحفل قاصر على الأخ والعريس وعليها ان لم توافق على اقامة حفل به موسيقى وطرب ودعوة أقارب محسن الأغنياء اذ لم يمض على وفاة والدتها غير شهور وتخشى أن يعلم أقارب أمها بهذا فيلومونها أشد اللوم .. ومرضاة لها وافق محسن ولكي يترحم على الفقيدة سوف يوزع على عمال السد والمشروع من المال ما يساعدهم على شراء ما يعوزهم في هذا اليوم .. فقالت (هبه) بارك الله في أخيك وهياه لعمل الخير أبدا .. ومادام الأمر كذلك فسوف أحضر .. ووجدت الأخت الفرصة سانحة لكي تعرف مشاعرها نحو محسن فقالت : أدعو الله أن يستجيب لدعاء أخى فيتزوج الفتاة التي يحبها .

فقلت (هبه) اعتقد أن الله سوف يحقق أمله .. لأن الله مع المحسنين الذين يعملون من أجل الله .. فقلت الأخت : أواثقة أنت من ذلك .. فقلت (هبه) : كل الثقة ويشاركنى فيها أهالى هذه المنطقة وكل من تعامل معه و ... فقاطعتها : بصفقتك مؤمنة صالحة ومؤمنة بصلاحه وتقواه .. ما رأيك إذا كنت أنت الفتاة التى يهواها ويريد أن يتزوجها ؟ فاحمر وجه (هبه) خجلا وأطرقت لحظة فرفعت الأخت وجهها وهى تبسم قائلة : أن مصيره فى يدك يا عزيزتى اما الى الجنة التى وعد الله بها المؤمنين المحبين من أجله .. واما الى لهب حرمانه منك ولن يغفر الله لك هذا فى الدنيا والآخرة .. ومثالك كفيلة بأن تنتزع بيدها البضة ثوب الاقطاعى لينتظر كما هو الآن خير مثل للصالح والتقوى وعمل الخير من أجل الله .. وبعد أن لزمتم (هبه) الصمت أثناء حديثها قالت : الأمر بيد الله وقد فوضت أمرى له ولا راد لقضائه .. فقلت الأخت : أفهم من هذا أنك غير معترضة ولم يبق غير أن تلتقيا بعد أن تحكمى عقلك وتفتحى قلبك وليكن ذلك غدا إن شاء الله . فى حفل اعلان خطبتى وسأحضر بنفسى لكى أصحبك الى المكان الذى اتفقنا عليه وسيكون فى الاستراحة المجاورة للمشروع .

الفصل العاشر

في منتصف الليل أدت (هبه) صلاة الاستخارة فلما اطمأن قلبها إلى قبول طلب (محسن) يدها .. انتظرت الأخت في دار العجوز في الوقت الذي حددته الأخت لمجيئها إليها ..

وبملايس القروية رافقت الأخت وكان (محسن) والمدير في انتظارهما بالاستراحة ولم يكن سواهما غير قارئ القرآن الذي تعود صباح كل يوم بتكليف من (محسن) ان يفتتح العمال عملهم في المشروع بعد سماع القرآن الكريم .. وبعد أن أعلن (محسن) خطبة أخته (نسمة عبد الكريم إلى الأخ مدير أعماله الأستاذ صالح عبد الله ترك الخطيب يجلس بجانب خطيبته ليتم بينهما التفاهم ولتوثيق عرى الزواج .. وجدت (هبه) نفسها تجلس بجانب (محسن) ولكيلا يترك لها فرصة للإنسحاب بعد انتهاء اعلان الخطبة بادرها قائلاً : ما رأيك فيما عرضته أختي عليك ؟ اعتقد حان الوقت لكي توافقي .. وها أنذا أمامك كما ولدتنى أمي رحمها الله مبرءاً من كل سوء فاستجمعت شجاعته وقالت : على شريطة إثبات صحة إيمانك واتجاهك لله وحسب .. قال : اعتبرى هذا الشرط نافذا مهما كان صعب التنفيذ .. فقالت : تصوم رجب وشعبان ورمضان ولا تتناول غير وجبة واحدة من الثمر واللبن قال : لك ما شئت لكن بعد عقد القران ليتسنى لى تنفيذ ذلك بقربك .. فقالت : هذا شرطى .. قال : هذا تكشف فوق الاحتمال لرجل كان لا يصوم رمضان فما بالك بمن لم يتعود الصوم يصوم ثلاثة أشهر ؟ فتأهبت للانصراف وهى تقول : أنت حر ..

وهنا لمحت الخطيب والخطيبة يقتربان منهما .. فتقدمت منهما فهنأتهما وخرجت بعد أن صافحت (محسن) وخرجت مسرعة ..

فلما اختلى (محسن) بأخته وأخبرها بشرط (هبه) فلم تبد
انزعاجا لكىلا يصطعب تنفيذه وقالت : لا شك أنها أرادت أن تختبر
حبك بهذه التضحية .. فقال : البنات يطلبن من يتقدم لهن اثبات
كل ما يتعلق بالثراء .. أما هى فتطالبنى بالزهد والتقشف . فقالت
الأخت : إذا كنت لا تستطيع الحياة بدونها حاول تنفيذ هذا الشرط ..
واعتقد مع العزم والإرادة والرغبة فى تحقيق أملك يمكنك التنفيذ
بإذن الله .. فاعتمد على الله .. وحاول .. والله مع من يحب من أجله .
بعد انتهاء حفل عرس شقيق المهندس لحق به شاب كان فى الحفل
وقدم له عقدا وهو يقول .. لقد وقع هذا العقد من الخادم التى جاءت
لتقدم للعروسين باقة الورود ولم تتمكن من سوء تصرف المدعوين
عند رؤياها .. ويبدو أن هذا العقد اشترته الخادم مما وفرت من
أجرها فدعه أمانة عند أسرة العروس إذ لا شك أنها ستحضر لتسأل
عنه .. فشكره المهندس وعندما تأمل العقد بعد انصراف الشاب تذكر
صاحبته (هبه) إذ قدمه إليها يوم رفضت تناول أجرها عن العمل الذى
تقوم به فى السد .. ولولا قوله لها أن الرسول ﷺ قبل الهدية
لما قبلته وبدأ يفكر لم جاءت من إسوان ؟ وكيف عرفت منزل العرس ..
ووجد نفسه مشدودا نحوها متتابعا كل شئ إلاها .. وعندما عاد
إلى بيت والدته حيث كان لم يزل يعيش معها .. وعندما مر امام
الحائك كلفه بضرورة انجاز بدلته لارتدائها أثناء مقابلة الوزير ليقتنعه
بالغاء نقله من إسوان لأن ذلك من مصلحة العمل الذى بدأه هناك
وأخذ على عاتقه انجازه أمام رئيس الجمهورية .. قال له الحائك
بلغ الست والدتك لأننى لم أكن موجودا هنا عند عودتها من الفرح ،
ان فتاة سعيدية كما يظهر من زيتها سألت عنكم وقد أعطيتها عنوان
بيت الفرح حسب أمر الحاجة والدتك .. وهنا أيقن المهندس أنها
(هبه) فشكره المهندس قائلا : إنها ابنة الأسرة التى تعرفت عليها

صمان
فى دار
دير فى
فى تعود
لهم فى
(خطبة
عبد الله
فى عرى
لا يترك
ما رأيك
ها أنذا
سجاعتها
قال :
تصوم
واللبن
ربك ..
جل كان
أشهر ؟
منهما
..

والدتي عندما جاءت إسوان وأنا هناك لتشهد الآثار ولأن جو إسوان يساعد على شفائها من الروماتيزم لبرودة الجو هنا الآن .. وفكر في ضرورة رد العقد اليها .. ولم يلبث حتى استشعر باحساس ملاً وجدانه نبه في أعماقه الشوق لرؤياها .. وراح يتخيلها بقوامها الرشيق وجمالها الطبيعي الساحر وجاذبيتها التي تشد من يقع نظره عليها .. وتمنى لو يتزوجها رغم الفارق الذي بينهما وهو لا يقيم له وزناً إذا اعتزضت والدته في زواجه منها .. وتوقف احساسه عند هذه الرغبة .. ووجد أنها جديرة بأن تكون زوجة له وهي كما اشترط الرسول ﷺ في اختيار الزوجة إذا نظر إليها سرته وإذا غاب عنها حفظته وإذا أمرها اطاعته بجانب ذلك مؤمنة عفة طاهرة . بل لا شك أنها ترحب به فلطالما ظهر على محياها ما يعبر عن حبها له لولا الحياء الذي لا يفارقها ولعل سبب احجامة عن الزواج كلما عرضت عليه أمه أو أخته فتاة جديرة به أعرض بدعوى أنه لم يزل تحت تأثير صدمة زواجه الأول الفاشل وفي الواقع كان طيف (هبه) يظهر في خياله فيكتسح كل انثى يراها بوسيلة أمه أو أخته إذ تستقر أمامه بجمالها الواضح وخفة روحها وعفة نفسها وذكاء عقلها وما زال يذكر حديثها معه يوم دار بينهما الحوار بأن سبب تأخر الشرق اعتماد الدولة على الشعب واعتماد الشعب على الدولة وهذا الاعتماد افتقد قدسية وضرورة القيام بما يتطلبه الوطن من جهد ومثابرة لينتج ما تحتاجه الدولة فالجشع والانانية هما المسيطران على الفرد وبذلك لا يفكر إلا في نفسه .. كأنه طفل يريد أن يمتلك كل ما يقع تحت يديه أو أمام ناظريه .. ولو كان المواطن يعمل للمجموع كما تفعل أنت لما تأخرنا ورحنا نباهي بعبقرية ونبوغ القدامى وليس في حياتنا الراهنة ما نباهي به فقاطعها : أليس السد هذا عملاً نفاخر به .. فهزت رأسها وهي تقول : قد يصح لمن أقاموه أن يفخروا به لما بذلوه من جهد ومعاناة

وتضحية فهو ظاهرة للخلق والابداع ولكن بعد دراسة علم مكتسب أو إحياء من رب العالمين .. أما ما أقاموه القدماء كالأهرامات وغيرها . فمن تصميم العقل البشرى دون دراسة كالهندسة مثلا مع أن هذه الآثار رغم تقدم العلوم والفنون الى حد أصبحنا نباهى بها ونعمل بمقتضاها .. لم - نزل - فوق تفكير وعبقورية الإنسان المعاصر وظال حديثها فى هذا الشأن إلى حد أدهشه وقد اتضح له أنها لا تقل ذكاء بالفطرة عن الفتاة التى نالت أعلى الشهادات .. وذلك كما تقول بما اكتسبته من إيمانها وحياتها بين أحضان الطبيعة التى تلهم الإنسان بتأثير تأمله فى مخلوقات الله فيدرك ما يصعب عليه ادراكه بوسيلة العلم المكتسب .. واستراح تفكيره واطمأن قلبه لاختياره زوجة له .. فهل توافق أمه أو أخته وهما يريدان زوجة من أرقى العائلات .. وفكر فى إيجاد وسيلة ليوافقا عليها . واستعان بصديق يثق فى سلامة تفكيره وقدرته على حل مشاكل المجتمع .. فاقترح الصديق أن ينسبها إلى أسرة عريقة فى الصعيد ومادامت حلوة وذكية فإن ملابس العصر الحديث سوف تظهرها بما يؤكد ذلك .. وسرعان ما سافر إلى إسوان بدعوى أنه موفد من قبل الوزارة لمعرفة ما تم فى بناء السد .. ومع أنها تركت العمل فى السد كما تركت تعليم الصغار القرآن فى مقر تعليمهم التابع للمشروع مدة الثلاثة الشهور التى فرضتها على محسن للصيام وكففت الشيخ الذى سبق أن علمها بأن يتولى نيابة عنها تعليم الصغار بدعوى أنها ستقوم بمرافقة خالنتها المريضة إلى المستشفى يوميا لأخذ الحقن اللازمة لها .. وفى الحقيقة لم يكن امتناعها عن العمل فى السد أو تعليم الصغار إلا اعتزامها الاحتجاب فى بيتها طوال هذه المدة لكيلا يراها محسن .. وكان المهندس قد عرف بيتها يوم أصيبت بجرح خفيف على أثر وقوع حجر على ذراعها واضطر أن يحملها إلى مقر عائلتها بعد إسعافها دون معاونة

سوان
كر فى
مأ
ر مها
نظره
ليم له
عند
شترط
ب عنها
لا شك
الحياة
يه أمه
صدمة
خياله
جمالها
يثها
ة على
قدسية
حتاجه
يفكر
و أمام
تأخرنا
نباهى
وهى
معاونة

أى أحد من العمال فلما اتضح له بعد ذهابه إلى إسوان ومروره على
السد والمشروع بحجة معرفة ما تم انجازه وسأل عنها باعتبارها
— عاملة — فى السد ومشرفة على المشروع أنها احتجبت منذ أكثر
من شهر وخيل إليه أنه لا يمنعها من تأدية عملها فى هذين العاملين
إلا حادث مهم فقد تكون أمها المريضة توفيت وهى مضطرة أن ترعى
أخواتها الصغار • وأسرع إليها •• وفوجئت (هبه) به فأخبرتها
المفاجأة •• فلم تتكلم وأشارت إليه بيدها لكى يدخل وبصوت خفيض
مضطرب قالت : تفضل •• أهلاً وسهلاً وخيل إليها أنه عاد إلى العمل
فى إسوان وجاء ليدعوها إلى العودة للعمل وغلبها الفرح فاكتسح
اضطرابها وهى تقول : هنيئاً لإسوان بعودتك وتذكر عقدها إذ نسي
أن يحضره فهمس بصوت خفيض •• آه لقد نسيت ولزم الصمت
برهة ليفكر كيف يبدأ الحديث مع أنه محدث لبق وطال صمته وهو
ينظر إليها بعينين يعبران عن حبه العميق • فلما طال صمته خيل
إليها أنه مجهد من أثر السفر ولم يسترح بعد فقالت : لم يزل العمل
يحتاج إليك لتضع بصمات مجهودك ونبوغك •• فاهتزت جوانحه لرقعة
تعبيرها ورآها أجمل مما كانت •• وكما قال صاحبه •• جديرة بالانتساب
إلى أسرة عظيمة واستأذنته لتعد له الشاي لأن والدتها طريحة الفراش
وقبل أن يتكلم انسحبت فى هدوء فأيقن أن سبب امتناعها عن العمل
أذن هو مرض أمها وراح ينظر إلى الأثاث الذى لا يملك فقراء البدو
سواه وعز عليه وجود هذه الوردة الناضرة وسط هذا الفقر ومع ذلك
يستشعر بعطر يفيح منها بل يملأ جوانب هذه الدار وآمن بما يقال ••
أن الدار بسكانها لا بأثاثها الفاخر بدليل أنه يشعر الآن براحة نفسية
لا يشعر بها فى أفخم القصور وتصور سعادته المقبلة عندما تكون هذه
الحسنة الفاتنة ملكة بيته وشريكة حياته فلما أقبلت لتقدم إليه الشاي
كان استرد استعداده للكلام فقال وهو يتناول كوب الشاي من يدها

وهو يتأمل وجهها كأنه القمر يطل عليه من السماء .. لم أعد للعمل يا آنسه (هبه) • فقالت : جئت إذن تزور العمال وتطمئن على سير العمل جميل منك هذا الوفاء • . انهم يحبونك حبا لم يحظ به أى مهندس سواك • • فتمنى لو تطيل حديثها الذى طرق سمعه كأنه نغم ناي شجى • • وقال : جئت لأمر أعظم يتعلق بمستقبلى فتقديرى واعزازى لأهل هذه المنطقة لم استشعر به إلا بعد أن عشت بعيدا عنهم ! فقاطعته : إذن هذا الإحساس الصادق يشجعك على الغاء قرار نقلك إلى القاهرة واستشف من لهجتها الرقيقة رغبتها فى أن يعود إلى إسوان وفسر رغبتها تلك بحبها له فتشجع وقال : جئت لاختبك وأتزوجك فورا ولك أن تحددى مكان اقامتنا هنا أو فى القاهرة ؟ حسب رغبتك فغمرتها دهشة المفاجأة وقالت بلهجة متزنة وهل يجوز زواج ابن المدنية الراقية بابنة الصعيد ذات التقاليد البالية فى عرف أبناء القاهرة ذات أضواء المدنية الباهرة • • وإذا جاز تحت تأثير إحساس لا أدرى مبعثه فأين زوجتك ؟ فتنهد فى أسف وقال بلهجة التأكيد : ذهبت لغير رجعة • فقالت وهى تنظر إليه نظرة لوم : لا لا يا سيدى لا تظلمها ولا تظلم نفسك • • المعروف عن أبناء المدينة بحكم الاختلاط اللامحدود يتزوجون عن حب سابق فقاطعتها : اكذب إذا قلت غير ذلك ولكن ثبت بالتجربة أن الحب يتغير وفق تطور نضوج الإنسان وتفكيره فحب المراهق مثلا غير حب الشاب فى العشرين أو حب الرجل فى الثلاثين أو الأربعين أو حب الكهل فى الخمسين أو الستين أو بعد ذلك • قالت : هذا إذا لم ينبع الحب من أعماق القلب أو على الأصح كان تحت تأثير مأرب مادى أو نزوة طارئة تجتاح المشاعر ثم لا تلبث أن تهدأ وتتلاشى كريح الأعاصير العاتية • فقاطعتها : أمارحك بأن حبنى الذى كان فى سن العشرين حرصت بدافع إيمانى الذى ورثته عن أبى رحمه الله ولم أتناثر بتقاليد العصر الباطلة . أن

اكون الزوج الوفى لها من أجل الله ولكنها مع الأسف خانت هذا
الوفاء .. وعانيت ما عانيت دون أن أمس شرف علاقة الزواج بسوء
وأخيرا كان لابد أن نفترق وهذه مشيئة الله وقد تناسيت الماضى كأنه
لم يحدث فابتسمت فى براءة قائلة : ولن تنساه إذ أول حب كالشجرة
إذا تساقط منها ثمرة تحت تأثير رياح عاصفة .. ولم يلحظ صاحب
الشجرة أن الأرض ابتلعنها لأنه كان يحاول أن يتفادى الرياح لينجو
بنفسه ولم يدر أن الأرض ابتلعت الثمرة ويمكن تسمية ذلك بالتناسى
تم تتفتح الأرض اذا غمرتها مياه القدر .. أعنى الذكرى دون وعى
لظهور ثمرة البذرة التى دفنت ثمرتها فى الأرض .. وهذا هو الحب
الأول الذى لا ينسى لأنه استقر فى الأعماق وبقينا هذا حبك لها
فقاطعها قد يكون لرأيك هذا من الصحة نصيب أحيانا لكن عندما ينضج
الفكر ويستقيم الوعى مع تفهم واقع الحياة وتصورها على أساس
تفكير سليم لا غموض فيه مع عاطفة ناصعة البياض هنا ينفتح القلب
مع تحكيم العقل عن حب اكيد لا شك فيه فحبى لك يا (هبه) هكذا ..
وأقسم لك أنه لم يعد للماضى أثر فيه .. كان بالنسبة إلى كليل حالك
أخفى بعد نهار مشرق لا غمام فيه .. فهل توافقين على الزواج منى ؟
صدقينى لم أتقدم اليك الا بدافع من قلبى وتوجيه من عقلى فاستخيري
قلبك لتعلمي إن كنت أصبت أم أخطأت .. وانتفض لرؤياها انتفاضة
اليقين من اعترافه وتقديرها لمصراحته فقالت : هبنى وافقت .. أتوافق
أسرتك ؟ فابتهج وخيل إليه أنها وافقت فقال : سيوافقون قطعا عندما
أقدمك اليهم .. بعد أن تخلى طبعها هذا الزى الذى لا يليق بعروس
تنتمى لأسرة مرموقة فى الصعيد وقد هاجرت إلى الخارج بعد قيام
الثورة ولم يبق منها هنا إلاك لأنك استطببت الإقامة هنا حيث ولدت
وترعرعت وتعلقت بأرضها تعلق أهلها بك إذ كنت تواليهم بحبك
وحنانك ورحمتك ومساعدة المحروم وحماية الضعيف واغاثة من يستجد

بك . وهذا ما عرفته عنك ولفت نظري إليك وحبينى فيك . فابتسمت
ساخرة . . ستحولنى إلى عروس جميلة مثل بنات القاهرة وتخلع على
اسم والد عظيم ينكرنى إذا رآنى محتقرا إياى لا . . لا يا بشمهندس
. . لا تدعنى أمثل النصب والتزوير من أجل أن أتزوج برجل أقدره
وأجله ارتضى أن أقوم بتمثيل هذا الدور الذى لا يليق بفتاة تنتمى
إلى أسرة تتمسك بالدين الذى وضعه الله تعالى ونص فيه على أن
تكون رابطة الزواج وفق تعاليمه مع التمسك بالجواهر وعدم المبالاة
بالمظهر الذى يتعاق به أبناء هذا العصر دون أن ينتهى إلى الفضيلة
والخلق القويم بصلة . . أنا من أسرة فقيرة لا تملك غير قوت يومها
ولكنها غنية بإيمانها وقناعتها . . وبلهجة من تعتد بكرامتها وعروبقتها
أستطردت : انت من بيئة متمدينة راقية حسب مفهوم العصر . . وأنا
من بيئة متأخرة إن جاز تسمية أبناء قرى الصعيد متأخرين مع أن
الحضارة الأصيلة نشأت من هنا وانت تعرف ذلك من التاريخ أنا حفيذة
أجداد تنتمى إلى ملوك القدامى . ولكن غبار الحاضر غمر عيون أبناء
هذا العصر بما يشبه الضباب الكثيف فحجب عنهم رؤية ما يمت إلى
الماضى بصلة وقل من يحاول رؤية ما وراء هذا المجهول . . ومادنا من
بيئتين مختلفتين فلا يمكن اذن الربط بينهما لتمسك كل منا ببيئته
فقاطعها : يا عزيزتى . . إننى أتعلق بالجواهر لا المظهر وأنا وانت من
جوهر واحد أترتابين فى صدق إيمانى ، وطهارة نفسى ، وصحة وطنيتى
فقاطعته : اعترف بذلك قال : إذن دعينى أطلب الآن يدك من ولى أمرك
. . كل ما أطلبه منك الموافقة على تنفيذ ما أشرت إليه أمام أسرتى
لكى أحظى بموافقة والدتى وأختى إذ من المستحيل أن أحملهما على
اعتناق ما لا ينتمى لتقاليدهم بصلة . . أنا معك أو من بأن التمسك
برابطة الزواج على ضوء الثراء والجاه والحسب والنسب الذى لا يعلم
غير الله مصدر ذلك . . فسرحت مليا لتحدد موقفها فتضع (محسن)

فى كفة وهو فى الكفة الأخرى فوجدت الكفتان متعادلتان لما يمتاز
به كل منهما •• فقد ضحى (محسن) فى سبيل وطنه وقاب من أجل
الله بعد أن كان تائها فى بيداء العيث والمجون والمهندس (ناير) ضحى
من أجل وطنه مرضاة لله أيضا غير أن محسن يريد لها كما هى ولم
يفرض عليها أن تخلع الرداء ولكن المهندس يطالبها بخلع الرداء مرضاة
لأسرته . أخيرا وجدت مخرجا يحدد موقفها دون أن تجرح كرامته
فقللت : اذا كان لابد أن تتزوجنى فلا بد أن ترانى أمك وأختك هنا كما أنا
بهذا الزى وفى دارى هذه وان يعتقد قرانى هنا فى هذا الحى فاعرض
عليهم الأمر مع مصارحتهم بحقيقة الفتاة التى وقع عليها اختيارك
وهى بدوية فقيرة وهى من أسرة لا تملك من دنياها غير التمسك بالدين
القويم والعمل بمقتضى الشرف والكرامة • إذ لا يمكن أن ابنى حياتى
الزوجية على أساس الكذب والخداع •• ألا ترى تمثيل الدور الذى
تريد أن أمثله هو تضليل وبهتان يتنافيان مع الإسلام وكل منا يعمل
وفق شريعته •• على أننى لا أستطيع مكالمة والدتى الآن فى هذا
الأمر لأنها طريحة الفراش من أجل حزنها على وفاة أخيها ومن تقاليدنا
ألا نسمح لأى خاطب لاحدى بنات الأسرة طوال عام الحداد وعام
حداد المرحوم خالى ينتهى فى آخر شهر رمضان أى أمامك فرصة
لاقناع أسرتك بى •• أو اختيار زوجة تجمع بين رغبتك ورغبتهم •
وهنا وافق مضطر خشية اتهامه بعدم التجاوب مع تقاليدهم ووعدها
بأنه سوف يعمل المستحيل لكى توافق أسرتها والله معه وأنه سوف
يستمر فى انتداب عمله فى القاهرة مرضاة لوالدته حتى يحين وقت
تنفيذ زواجهما باذن الله •• وبعد أن عاد إلى القاهرة صارح والدته
برغبته فى الزواج من فتاة قروية تمتاز بكل ما يتمناه الرجل فى زوجته
محاولا أن يقنعها بالموافقة لاعتقاده بأنه الولد الوحيد وقد عودته
تنفيذ رغباته بعد وفاة والده وقبل أن تبدي رأيها بالقبول أو الرفض

فاجأتها ذبحة صدرية فى التو إذ سبق أن نصحتها الطبيب بعدم التعرض
لأى حادث مؤلم لكيلا تقضى الذبحة على حياتها نهائيا •• لذلك نصحتها
أختها أن يشعرها بأنه لم يكن جادا فيما قال بدليل أنه لم يحاول الغاء
انتدابه ليعود إلى اسوان حيث توجد هذه الفتاة ثم اتهمته بأن مسا
من الجنون أصابه إذ كيف يفكر فى الزواج من فتاة لا تنتهى إلى الأسر
الراقية التى تلائمهم وفيهم من الفتيات الجديرات به ولم يجد الفرصة
تسمح له الآن بالاسهاب مع أخته لكى يقنعها وتعاونه فى التأثير على
أمه بعد أن تتعافى •• ورغم تهديد أخته بمقاطعته إذا تزوج هذه الفتاة
فقد ازداد اصرارا بينه وبين نفسه على أمل أن توافق أمه من فرط
حبها له على أن حديثه ظل عالقا بذهن أمه إلى حد جعل الأزيمة لا تتأثر
بالعلاج •• وكلما مرت الأيام ازداد قلقا خشية أن تتزوج (هبه)
بشباب من بيتتها وهى مرغوب فيها •• ورغم ما تعانيه الأم من آلام
تشتد آنا وتخف أحيانا فلم يعد يقلقها غير زواجه ممن تحب وتختار
فإذا جالسها ليشعرها بحبه وحنانه •• تلح عليه راجية لكى تطمئن
عليه قبل أن ترحل •• أن يتزوج ابنة فلان بك ، أو الدكتورة فلانة ••
أو ابنة اللواء فلان •• أو المهندسة فلانة والكل يترقب موافقته ••
أو ابنة اللواء فلان •• أو المهندسة فلانة والكل يترقب موافقته ••
فى هذا الوقت صعب على أخت (محسن) ما يعانيه من تأثير
الصيام الذى لم يتعوده من قبل طوال حياته كما اعترف لها •• فوعده
بالذهاب إلى (هبه) عساها تكتفى بالشهر الذى صامه •• فلما ذهبت
إليها فى بيت العجوز وكان (محسن) قلقا عليها لعدم ذهابها إلى السد
أو المرور على المشروع وتعليم الصغار القرآن وعلم من الشيخ الذى
انابته عنها أنه قام بهذه المهمة تنفيذا لأمر الأخت (هبه) ولم يوضح
له السبب ولم يشأ محسن أن يستدرجه فى الحديث لكيلا يشعره
باهتمامه بها •• كما أن الشيخ تنحى عنه مسرعا ليركب حماره الذى
(م ١٠ - من أجل الله)

كان فى انتظاره وكان هذا اليوم آخر يوم لتعليم الصغار وبدء الأجازة لهم .. وعندما استقبلتها العجوز كالعادة واضطرت الأخت أن تسأل عن (زكية) كما كلفها (محسن) قالت العجوز أنها سافرت مع خالتها لتمكث معها طوال مدة علاجها حيث سيجرى لها عملية تحتاج لوقت طويل ولما سألتها الأخت عن اسم المستشفى قالت العجوز : لا أدرى .. وزوج الخالة يقول ربما يضطر إلى إجراء العملية فى القاهرة إذا ثبت عدم استعداد أطباء مستشفى اسوان لاجرائها لعدم وجود أجهزة هذه العملية فى المستشفى وعادت الأخت إلى محسن وحاولت أن تشجعه بالصيام وسوف تعاود زيارة (هبه) وهى على اليقين من التأثير عليها .. ومضت بعض أيام .. وفى يوم ما أرادت (هبه) أن تمر على العجوز موقنة بأن (محسن) حاول أن يستطلع أخبارها بوسيلة أخته من العجوز وبينما هى تطرق باب العجوز فوجئت بأخت (محسن) تعانقها من الخلف وهى تقول : حمدا لله على سلامتكم ولم تدهش (هبه) إذ كانت تتوقع مجيئها فى أى يوم مع اطمئنانها بتصرف العجوز إذا جاءت وقبل أن تسألها الأخت أين كنت .. قالت لنؤكد ما قالته العجوز لقد جئت الآن لأخذ بعض ملابس خالتي لحاجتها اليها لشد ما أنا سعيدة برؤياك .. فأخذت عليها الأخت قسوتها على أخيها بسبب ما فرضته عليه من صيام ثلاثة أشهر لقد مضى أول شهر وقد أصبح ضعيفا ومن يراه الآن لا يعرفه وهى تخشى أن تسوء صحته فيصبح سقيما مريضا فتقاطعها (هبه) لا تنظري اليه بعين المادة الفانية انظري إليه كإنسان تحول من دنيا الناس الباطلة إلى دنيا الله السامية الخالدة .. دعى البدن يضمّر ليظهر ولن يمس الله الروح بسوء لأنها تعيش مع النفس الطاهرة كم من أولياء الله الصالحين كانوا يعيشون طوال حياتهم فيصوموم الولي ثلاثة أيام ثم يفطر يوما على اللبن والتمر أو الثريد بلا لحم .. حتى النساء المؤمنات كالسيدة

الفصل الحادى عشر

بعد مضى الثلاثة الشهور قبل تناول فطور آخر يوم من رمضان ذهب إلى بيت العجوز لكى يقابل (هبه) فوجدتها فى انتظاره إذ ايقنت أنه سيجىء حتما الآن فرحبت به على غير عادتها وقبل أن يتكلم جذب نور وجهه قلبها فانتفض انتفاضة الترحيب وبعد أن أخذ مجلسه على المقعد المتواضع الذى قدمته إليه قال بصوت كأنه نبضات قلبه لقد كان امتحانك عسيرا ولكن الله سبحانه منحنى قوة لا عهد لى بها فلم استشعر بالجوع لحظة واحدة طوال الشهور الثلاثة .. انا الذى كنت لا استطيع صيام يوم واحد فى شهر رمضان .. فقالت : لأن الله منحك قوة الاحتمال من عنده وروى ظمأك من نبع إيمانك فلم تشعر بظمأ البدن واصطفاك الله بعد تطهير نفسك وبدنك واستنارة روحك بفيض من نوره لكى تكون من عباده المقربين وتصبح فى مصاف القديسين لكى تؤدى رسالة الدين القويم بنشر دعوة الاسلام الداعى للحب والسلام فى كل وطن ينتمى لدين الله العلى القدير محاولا تطهير الوطن من أعداء الدين الذين يعملون وفق أساليب الشيطان الرجيم قال : الحمد لله لقد حان الوقت لكى يشهد حبا من أجله .. قالت : أجل ولحنت من وراء ثقب الباب أن الشمس توشك أن تغيب فحمدت الله لأنها على وضوء منذ صلاة الظهر وسألته هل أنت على وضوء .. قال : أجل لقد جئت قبل أن أفطر لكى أنبهك إلى الاستعداد لعقد قراننا غدا إن شاء الله .. فابتسمت وقالت : سوف أهيب لك فطور اليوم بعد أن تؤدى صلاة العصر قبل مغيب الشمس وهيات حصيرا أعد للصلاة وهى تقول : فلنصلى صلاة الحمد لله الذى وفقك إلى عمل ما يرضيه وقام إماما لها وبعد انتهاءهما من الصلاة والدعاء لله بأن يوفقهما لما يرضاه .. أعدت له طعام الفطور وهى تقول : كان المفروض أن يكون

من اللابن والتمر .. ولكن جدتى أبت إلا أن تكرمك فذبحت لك هذه
الدجاجة ولما انتهيا من تناول طعامهما وشربا الشاي وأراد أن يستأذن
على أن يعود إليها صباحا لكي تستعين بأخته لاعداد عقد القران ولقد
أبت أن تعقد قرانها قبلى فأجلته لكي يكون مع عقد قراننا • فقالت :
هنيئاً لزوجها بها إنها خير مثل للزوجات الصالحات كتب الله لهما
السعادة والتوفيق وقبل انصرافه استوقفته قائلة : انتظرنى فى
استراحة المشروع فى الصباح الباكر ولا داعى للحضور هنا حيث
عندى ما اقله لك قبل عقد القران • وتركته يفكر ما عساها تقول له
أخوف ما يخافه أن تشتترط تأجيل العقد مدة أخرى • ولم ينم طوال
الليل وهو يفكر فيما يحتمل أن تقوله واسرع إلى الاستراحة مبكرا وكان
منح العمال أجازة قبل وقفة العيد ووزع عليهم ما يكفل لهم تمضية
العيد فى يسر وسعادة وطمأنينة فلما جاءته • تلقاها بمشاعر الملهوف
لمعرفة سبب هذا اللقاء ولاحظت ذلك بذكائها • فقالت بعد أن جلسا
أظنك جد مشوق لمعرفة ضرورة هذا اللقاء قبل عقد القران • قال بلهجة
التأكيد : صدقيني لم أنم طوال الليل إذ خشيت فقاطعته : تأجيل القران
أليس كذلك فنظر إليها فى هلع فاستطردت : لكى تعرف كل شىء عنى
فقاطعها : وهل تظنى أننى من البله بمكان حتى أتزوج بفتاة لا اثق
فيها ثقتى بأن الله واحد لا شريك له • فقالت : أعنى معرفة عائلتى •
أنا من أسرة فقيرة تعيش فى حى قرية ولكى نصل إلى اسوان نركب
الحمير على أننى تعودت ركوب الجمل مع والدى إذ كان ورثه عن أبيه
ليستعمله لمن يرغب مشاهدة آثار هذه المنطقة من السائحين ولا بد يجتاز
الصحراء على أننا بعنا هذا الجمل على أثر إصابة والدى عندما سقط
من عليه وكان فى الطريق إلى السد ليستدعيني لكى أرافق والدتى
لحضور ذكرى نهاية العام الأول لوفاة المرحوم خالى • فقال : أنا
لله وأنا إليه راجعون • المهم الآن والدك هل إصابته خفيفة ؟ • قالت :

مضان
أره إذ
يتكلم
أخذ
قبضات
لا عهد
• أنا
ت : لأن
تتشعر
روحك
مصاب
الداعى
لا تطهير
الرجيم
ت : أجل
مدت الله
• قال :
رأنا غدا
ليوم بعد
د للصلاة
ما يرضيه
وقتها لما
أن يكون

بلهجة الحزن العميق : وقع على صخرة أصابت موقع المخ في الرأس
وكان وحده فلم يستطع من شاهده أثناء سيره أن يوقف المزيف وكان
السائر لا يجيد ركوب الجمل فامتطى حماره مسرعا إلى منطقة السد
لوجود مركز اسعاف بها من أجل العمال .. ولم يستطع الاسعاف انقاذه
إذ توهم قبل أن تصله .. وكان الجمل استشعر بفقد صاحبه وهو
السبب فركد بجانبه يعوى كأنه يرثيه .. ولم يعرفه أحد .. لولا مرور
عربي سبق أن استعار الجمل من أبي منذ أيام ليشارك في حفل عرس
قريب له .. فدل الاسعاف على بيته ولكنها رفضت تسليمه اليها وسلمته
للمستشفى لاجراء اللازم قبل الدفن وكان لابد أن يبلغنا العربي
وسلمنا الجمل وأطرقت لتجفف دموعها وسكنت تنهداتها .. فلزم
الصمت من شدة تأثره مما حدث ثم قال : اذن والدتك حزينة ولن
تسمح باقامة عرسنا الآن . فقالت : والدتي مؤمنة صالحة . قال :
اعتقد أن هذا الحادث هو الذي أنك قواها وأصبحت كالعجوز قبل
الأوان .. فغلبت حزنها وایقنت أنه يعنى العجوز الذي لجأت اليها
يوم حاول اختطافها .. ثم راح يتردد على بيتها لاعتقاده أنه بيت
أسرتها إذ لا تدخل ولا تخرج إلا منه .. وهنا ابتسمت فأنشراح صدره
ظنا منه أن أمها ستتناسى حزنها من أجل ابنتها واستأنفت حديثها :
هذه العجوز ليست أمي وسردت عليه سبب التجائها إليها ثم حماية
العجوز لها لأنني أشبه حفيدتها التي ماتت من تأثير الحمى لعدم وجود
مركز صحي للوقاية من الحميات في هذه المنطقة المعرضة للوباء من
شدة الحرارة وكانت حفيدتها تسمى (زكية) ولكي أشعرها بوجود
زكية سمحت لها أن تتناديني بهذا الاسم .. والآن أرى من حقها على
أن استدعيها لحضور عقد القران .. فاطمئن لهذا النبأ وقال : أظن الآن
ليس أمامنا ما يعوق عقد القران توا .. قالت : بقي أن أقدمك لأمي
لكي تطلب يدي منها . وان توافق على أن يكون عقد قراننا في بيتنا

المتواضع وأن يحضر أهل الحي وأن يبدأ بتلاوة القرآن الكريم ليباركه روح والدى بعد أن يباركه الله وأن توزع الصدقات بدل الحلوى على فقراء الحي • فأبدى ارتياحه لتنفيذ ذلك قائلاً : يسرنى ذلك • • ولكن يجب أن نذهب سوياً لأختى لنعرض عليها ما اعتزمنا عليه ونحدد معها عقد قرانها فى القصر مع المدير • • فإذا شأنت أن يسبق قراننا فلا مانع أو يكون بعدنا فلا ضير علينا المهم ترصيتها لأنها أجلت عقد قرانها من أجلنا فوافقت قائلة : معك حق فتعال لتقابل والدتى لكى تستعد لعقد قرانى وتستدعى أهل الحي • • فلما ذهباً إلى أخته • • رحبت بهبه ولما أخبرها (محسن) بما اتفقا عليه على أن يكون قبل عقد قرانها أو بعده حسب رغبتها فقالت الأخت : وهل معقول • • أعقد قرانى كأننى أرسقراطية أهتم بالمظهر دون الجوهر • • لا لا يا أخى لا أريد أن تسمى الظن بى (هبه) وأنا فى الحقيقة لا أمتاز عليها بشىء • • بل هى أفضل منى • • ولذلك أرجو أن تسمح لى (هبه) بعقد قرانى فى بيتها وفى الحي التى مازالت تعتز به وتفتخر بانتسابها إليه فقاطعتها (هبه) لا • • لا يا اختاه • • واسمحي لى أن أناديك باسمك المجرى • • انت يا نسمة خير مثل لأخت الزوج المخلصة التقية وأخشى ألا يوافق خطيبك لأنه لم يآلف حياة القرى لبقائه مع • • وكادت تقول (الاقطاعى) لولا تداركت وقالت : محسن بك • • فقالت الأخت وإذا كان أخى استطاب تقاليد القرى بتأثير حبه لبنت القرى • • أيعاف هو ما يحلو لأخى • • لا • • لا • • يا هبه • • إن خطيبى تأثر بأخى وأصبح يعتنق القيم التى يدين بها أخى والحمد لله • •

وفى اليوم التالى أقيم العرس أمام بيت (هبه) على طريقة البدو إذ كان المكان فسيحاً وأثناء عقد قران (محسن) طلب منه المآذون بطاقته وأثناء تقديمها إليه سقطت منها صورة على الأرض وكانت أخته قربية منه فلما رأتها بان على وجهها أثر الانزعاج ولكنها حاولت إخفاءه

بابتسامة الفرح لانتهاء صيغة العقد وارتفاع زغاريد النسوة وبان
عليها أثر شبه انهيار عصبى عقب رؤية هذه الصورة حاولت مقاومته
لكن صعب عليها فكادت تسقط على الأرض لولا اسراع (هبه) لتسندها
وهى تقول : كان (محسن) على حق عندما صمم أن يكون عقد قرانك
قبلنا وتقدم إليها محسن قاعلا : كنت على وشك أن أقول لك لا تتعبدى
نفسك فأمر (هبه) والجيران قاموا بالواجب وأكثر فنظرت إليه نظرة
شدت احساسه ولكنه لم يدرك فحواسها .. وعندما عادت إلى بيتها
واختلت بنفسها أخرجت الصورة التى أخفتها دون أن يشعر بها أحد
وراحت تتأملها وهى تقول .. هو .. هو .. الذى جنى على .. وعادت
بها الذكرى إلى الماضى يوم كانت طالبة فى الجامعة واستدعتها زميلة
لها لتحضر حفل عيد ميلادها .. وكانت هذه الزميلة وحيدة أبوين فالأب
موظف كبير والأم صالحة ويرغمهما سمحا لابنتهما باقامة حفل ترضية
لها ورغم انتسابها لأسرة متوسطة الحال لا تملك غير معاش الأب الذى
يكفى بالكاد لسد مصاريف زوجته وابنته التى اجتازت امتحان الثانوية
بتفوق شجعها على الالتحاق بالجامعة .. واثناء الحفل كان من الصعب
أن ترقص لأنها لم تتعد ذلك فجلست منطوية على نفسها تنتظر
فرصة لتعتذر إلى زميلتها التى راحت تستجيب لكل من يدعوها إلى
مراقصته .. وبينما تفكر فى الخروج خشية أن تتأخر عن الميعاد الذى
حدده والدها تقدم إليها شاب يجذب النظر بمظهره الذى يدل على أنه
من طبقة الأثرياء وطلب منها الرقص فاعتذرت وخافت أن يسحبها
رغما عنها كما فعل شاب آخر مع فتاة امتنعت ولكنه فسر امتناعها
بالدلال .. ولذلك تتحت هى عن هذا الشاب خشية أن يفعل كما فعل
غيره .. واسرعت لتخرج وفى نيتها أن تعتذر عندما تقابلها فى الجامعة
لخرجها دون تهنتتها .. ولم تدر أن هذا الشاب لحق بها وقال : معك

حق فى ترك هذا الحفل • ووقف أمام سيارته قائلاً : هل تسمحى لى
بان أوصاك إلى بيتك لكيلا يسيء الظن بك شاب يتصيد الفتاة البريئة
الحلوة لاعتقاده أنها من بنات الليل إذ لا يخطر ببال من يراك وحدك
الآن انك كنت فى حفل أسرة عظيمة • وإذ بها تتأثر من أسلوبه الذى
ينم عن خوفه عليها وحمايته لها • • فركبت السيارة بعد أن أكد لها
أنه فى الواقع تبعها لأنه أحبها ويريد أن يتزوجها وأمام عمارة فاخرة
أوقف سيارته وهو يقول : لكى أؤكد لك صدق حبنى وزواجى منك لأنك
غير الفتيات اللاتى رأيتهن فى الحفل وأنا لا اطمئن إلى سلوك هذا
الطراز من العابثات المستهترات وأحب أن أتزوج بفتاة عفة بريئة
حلوة مثلك • • وها هو مسكنى والزواج لا يكلفنى غير الصداق وتحت
يدى من المال ما يحدده والدك مهما ارتفع • • واكون سعيدا لو رأيت
مسكنى فقد يحتاج إلى تعديل يوافق مزاجك • • ودون وعى أو تمهل
للتفكير ركبت المصعد ودخلت الشقة فإذا بها أثاث فاخر لا يوجد إلا فى
قصور الأثرياء وأظهرت إعجابى مع امتداح كل ما فيه دون أن أجلس
ولما تحركت لتخرج قال لها : أنا طالب مثلك فى الجامعة بالسنة النهائية
ودون جهد انجح كل عام لأننى أتناول هذه الأقراص قبل البدء فى
المذاكرة بساعتين أو أكثر • • ثم ناولنى قرصا وهو يقول جربها الليلة
وسوف القاك غدا فى الجامعة فإذا استفدت منها أحضرت لك كمية
منها • • وعلى أثر تناولها غابت عن وعيها وهى لا تدري وبعد مدة
استفاقت وجدت نفسها وامامها شاب آخر يقول : أخرجى لحسن تجيبى لى
وتهم • • وأخرجها بعنف وأغلق الباب • • وتحاملت على نفسها رفى
اليوم التالى بحثت عنه فى الجامعة ولشد ما أفزعها أن الاسم الذى
ذكره إليها لا وجود له فى كلية الحقوق كما قال • • واضطرت أن تصارح
زميلتها بما حدث فأخذت عليها سوء تصرفها ووعدتها بتكليف زميل

وبان
لأومته
مدها
هرايك
تتعبى
نظرة
بيتها
لها أحد
وعادت
زميلة
قالأب
ترضية
الذى
الثانوية
الصعب
تنتظر
ها إلى
الذى
على أنه
سحبها
تتاعها
كما فعل
الجامعة
معك

لها بالبحث عنه ولم تمض مدة حتى استشعرت بمبادئ الحمل واستطاع
زميل صديققتها أن يهتدى إليه بوسيلة صديقه الذي استدعاه للحفل
فلما عرفت عنوان صديقه ذهبت إليه لكي يدلها على عنوانه فقال لها
الصديق أنت المخطئة لقد صارحنى بما حدث لأنه لا يخفى على شيئا
ولما رجوته أن يتق الله ويخطبك من أهلك ويتزوجك مادام اقترب هذا
الإثم .. قال : مادمت استسلمت له فمن الجائز أن تستسلمي لغيره
وجاوبت المسكينة أن تبرئ نفسها بتعاطي القرص بدعوى المذاكرة
فنصحها الصديق أن تتخلص من الجنين لأنه لا فائدة منه فهو يزاول
الاستهتار والعبث معتمدا على ثراء أسرته وأشفق عليها الصديق
فعرض عليها صورته المهداة إلى صديقه هذا وعليها توقيعه باسم
(محسن) مع أنه تعرف عليها باسم (محمود) .. وامتد شريط الذكرى
حتى ذهابها مع أسرة زميلتها فى الصعيد عندما اكتشفت أم الزميلة
ما بها .. وكانت طيبة وتعمل الخير من أجل الله .. واستطاعت أن
تلق لبائعة اللبن قصة القريب الذى كان يتردد على خالتها بعد وفاة
والديها وأنه هو الجانى .. وحدث ما حدث ولما عادت علمت من الجيران
بوفاة والدها وأن خالتها التى تزوجها والدها بعد وفاة أمها تنتظر
مجيئها بفروغ صبر لتؤدى رسالة الأب رالأم نحوها .. مرضاة لله ..
ثم امتد الشريط حتى توقف عند مقابلتها لمحسن فى المهلى ولم تتعرف
عليها .. ولم تدرك أنه تعرف عليها لأن ملامحها رغم ما مر بها من محن
كانت كما هى ولكنه تجاهلها ولم يشعرها بأنه هو الشاب الذى جنى
عليها ولكنه عاهد الله فى نفسه أن يكفر عن خطيئته ويعوضها خيرا ..
فاستدعاها لكي ينفذ ما اعتزم عليه عسى يغفر الله له .. وهنا أدركت
أنه كفر عن إثمها بما اسداه إليها من خير وتزويجها برجل طيب كأنها
أختيه .

وبدأت تعيش راضية هائلة بجوار زوجها كما تعيش (هبه) سعيدة موفورة الحظ من السعادة والطمأنينة والرفاهية بجانب زوجها فى هذا الوقت آسرت أم المهندس صحتها فانتهاز المهندس فرصة رضاها عنه وصارحها باصراره على الزواج من فتاة تنتمى إلى أسرة مشهورة فى الصعيد بأصالتها والعمل بما يرضى الله فى حياتها الخاصة والعامة فلم توافق الأم وقالت : وهل ضاقت مصر فلم تجد العروس التى تناسبك وتكون على علم تام بحقيقة الأسرة وسلوك العروس وإزاء إصرارها استشار صديقه فيما يجب عمله ليؤثر على والدته فتوافق لكيلا يضطر إلى أن يتزوج الفتاة ويغضب الأم وهو حريص على ألا يغضبها .. رفى صبيحة يوم لم ينتبه إلى صوتها وهى توقظه مع أنه كلفها فى المساء أن توقظه مبكرا لأنه على موعد مع المدير العام لمقابلة الوزير وعندما مدت يدها على خده بخنسان لتوقظه شعرت بارتفاع حرارته وإذا به يهذى بتكرار اسم (هبه) .. وصعقت الأم فاستدعت الطبيب فلم تجده فاضطرت إلى استدعاء طبيب له بمعرفته فلما حضر الطبيب قرر بعد الكشف عليه أن ما به حمى خطيرة نتيجة عدم تحقيق أمنية له .. وبعد انصراف الطبيب رانفرد الصديق به .. أعتمد فى سريريه وقال : أشعر بمغص حاد فى معدتى من جراء تناول الحلاوة الطحينية مع الشطة لرفع حرارتى كما قلت لى .. فقال الصديق : سوف أخلو بوالدتك أثناء خروجى وكأنى لا أعلم أى شىء وأقول لها : لم يشأ الطبيب أن يصارحك أمامه بأنه لا فائدة من تناول الأدوية إذا لم تعرفى سبب هذا المرض فقد يكون السبب متعلق بعمله .. فقالت : أبدا .. لقد كان يهذى ويذكر اسم بنت وتدعى (هبه) وأظنها الفتاة التى يريد أن يتزوجها من الصعيد فهل يرضيك يا ابنى أن يتزوج بفتاة لا نعرف أى شىء عن أصلها غير أنها معروفة فى الصعيد بالخلق الكريم فقاطعها : وهل يرضيك أن تفقدى

أبنك إذا لم توافقى .. دعيه يتزوجها فإن وفق كان بها وأن لم يوفق فهو الجانى على نفسه .. المهم الآن أن تسارعى بموافقتك على الزواج منها لكى يزول الخطر الذى نخشاه واعتقد أن رضاك سيزيل ما به فوراً واعتقد أن سبب مرضه هذا هو رفضك الزواج ممن أختارها ويبدو أنه أحبها بدليل إصابته بهذا المرض الخطير لاستحالة زواجه منها مرضاة لك وتمنى له الشفاء العاجل الذى فى يدها تحقيقه وانصرف .. وعندما حان ميعاد تناول الدواء الذى وصفه الطبيب رحاولت أمه أن يأخذه رفض مع ارتعاش يديه وهلوسة المحموم وعندما صارت أخته بما قاله الطبيب رصديقه لم تر الأخت بدا من الموافقة لتتخذ أخيها من مضاعفة هذه الحمى إذ يحتمل أن تؤثر على عقله فيصاب بالجنون كما حدث لشاب أختل عقله بسبب إصرار والديه على عدم زواجه من الفتاة التى أحبها وهنا تأثرت الأم واقتنعت بما قاله الطبيب والصديق والأخت أسرعته إليه وقبلته وقد غمرت الدموع عينيها من فرط خوفها عليه معلنة موافقتها على الفتاة التى اختارها وهى على استعداد لكى تذهب معه لاختيار الشبكة عندما يتعافى وسوف تذهب معه لتقديم الشبكة وعقد القران إذا شاء فى الحال .. وفى صباح اليوم التالى استيقظ مبكراً وأقبل على أمه يقبلها ليشعرها بأنه تعافى تماماً وكان ذلك فى آخر يوم من شهر رمضان المبارك واقتربت الأم أن يكون الفرح فى أرل أيام عيد الفطر .. وعندما علمت أنه كلف الخادم بحجز تذاكر السفر إلى اسوان فى الطائرة اعترضت وقالت أنها تفضل السفر فى القطار لأنها تشعر بدوار وهى فى الطائرة كما حدث لها اثناء تأدية فريضة الحج فوافق مرضاة لها .

واستأذنت أخته زوجها لترافقه مع والدتها وركبوا القطار فى الصباح وفى منتصف الطريق قبل أن يصل القطار إلى أسيوط شب حريق فى إحدى العربات وامتد الحريق إلى الدرجة الأولى التى كان

يركب فيها المهندس مع والدته وأخته ورغم اسعافهم فقد أثر اللهب على وجه الأم وأخته مما اضطرهم إلى التخلف حسب أمر الطبيب الذى حضر فى التو وقرر قضاء عشرة أيام فى المستشفى لعلاج ما أصابهم خشية مضاعفة الجروح • وخيل إلى المهندس أن الطبيب يبالغ فى تحديد مدة العلاج وعندما صرح أمه بذلك قالت له : عد بنا إلى القاهرة فطبيب الأسرة سوف يعالجنا فى مدة وجيزة ونحمد الله الذى نجانا من الحريق الذى قضى على راكبى العربية التى كان بها واستجاب إلى رغبة أمه واثناء العلاج اتضح لهم أن طبيب اسيوط لم يبالغ فى تحديد مدة العلاج بل تعتمد ألا يحدد المدة اللازمة لكيلا يزعجهما إذ امتد العلاج إلى نهاية شهر العيد ••

وعلى أثر انتهاء علاج الأم والأخت وافقت الأم على ركوب الطائرة على أن تأخذ أقراص منع الدوار كما أشار الطبيب وبعد وصولهم إلى إسوان ترك والدته وأخته فى الفندق ليستريحا ريثما يستأجر سيارة تقلهم إلى قرية العروس حيث تقيم على أنه فى الواقع أراد أن يتأكد من وجود (هبه) فى هذا الوقت بدارها الذى يعرفه خشية أن تكون مازالت تعمل مع عمال السد •• فلما ذهب لم يجدها فحمد الله واتجه نحو المشروع لعلمه أنها تشرف على عماله •• وعندما اقترب من المشرع •• لمح (محسن) إذ كان فى طريقه إليه •• فرحب به قائلاً : هل ألغيت قرار نقلك حسنا فعلت لشد ما يسر العمال وأهل المنطقة عودتك إليهم فقال المهندس : لم ألقه بعد ولكنى جئت فى أجازة قصيرة فابتنسم (محسن) وقال : فرصة لنسعد بإلقاك •• ومادمت الآن على مقربة من قصرى •• فتعال لتشرب شراب عرسى وليتأكد كنت هنا لكى تشاهد عرسا لم يحدث فى هذه المنطقة • فقال المهندس : طبعاً لأنه عرس الثراء فقاطعه محسن : بل كان عرس الدين والدنيا وأراد المهندس ألا يشعره بمقدمه من أجل (هبه) فقال : وماذا تم

فى المشروع يبدو قد تم بناؤه كما أرى فقال (محسن) : لم يبق غير
المسجد الذى صممت عروسى على إقامته وسوف يكون باسمها .. وتمنى
المهندس له التوفيق وهو يتحرك لينصرف فتمسك به (محسن) رغم
تأكيد المهندس بتأجيل هذه الزيارة بعد أن ينتهى من المهمة التى جاء
من أجلها فقال (محسن) : سوف أغانر اسران بعد ساعات لكى أحضر
غدا مجلس الشعب لأننى انتخبت عضوا به تنفيذاً لرغبة أهالى هذه
المنطقة وازاء اصراره قال المهندس على شريطة ألا تطول زيارتى ..
وأثناء سيرهما إلى قصر (محسن) سأله أتمنى أن تكون أعدت زوجتك
وعادت المياه إلى مجاريها .. فقال المهندس : لقد أخطأت عندما
تزوجتها ولكى استريح بعد معاناتى معها صح عزمى على أن اترج
عن حب أكيد فقاطعه (محسن) : لقد كان زواجك الأول عن حب أيضا
باعترافك لى .. فتنهد المهندس فى ندم قائلاً : لم يشترك عقلى فى
الاختيار .. أما الآن فاختيارى بتأثير قلبى وتفكير عقلى .. والحمد
لله الذى وفقنى إلى هذا الاختيار .. أما مطلقتي فقد تزوجت الرجل
الذى كانت على صلة به وقد علمت أنهما الآن على خلاف إذ كانت
تظهر أمامه بمظهر الثراء على حسابى فكان يظن أن لديها ثروة خاصة
بها فلما تزوجها اكتشف أنها لا تملك غير الحلى والملابس وهما من
مالى حيث كنت أضع تحت تصرفها مالى دون حساب .. وهنا وصلا
القصر وبعد أن استقر المهندس فى الصالون • اتصل (محسن)
بزوجته فى الهاتف قائلاً : هنا زائر عزيز جاء على غير موعد للتهنئة
وهو فى انتظارك فلا تتأخرى لأنه متعجل .. فخيل إلى (هبه) أنه ابن
عمه (السائق) لأنه لم يحضر حفل قرانهما .. فأسرعت وفى نيبتها
أن تستضيفه لترد له جميل رعايتها أثناء إقامتها فى القاهرة ..
وأخست المفاجأة لسان المهندس فصافحها محاولاً مقاومة اضطرابه
وقال بصوت فيه لهجة الأسف .. تهنئتي متأخرة .. آسف .. إذ كان

المفروض أن احضر فى آخر رمضان لكى يتسنى لى القيام بالواجب قبل زواجكما •• واستجمعت (هبه) شجاعتهما وقالت : لو كان لك نصيب لحضرت فى الميعاد واستأذن لينصرف والله يعلم ما به •• فلما عاد إلى أمه قال لهما هيا •• نعود إلى القاهرة فى طائرة المساء •• ولمحت الأم أثر الأسى والحزن على وجهه فقالت : هل أسرة العروس على سفر •• فقال بلهجة تنم عن حزنه العميق : لقد سافرت ولن تعود •• وأرادت الأم أن تسترسل فى الحديث لتعرف سبب وجومه محاولة أن تهون عليه قائلة : لا شك أنها ستعود بعد حين ويمكنك معرفة ذلك من أحد أفراد أسرتها المقيمين هنا فلم يجب وحمل حقائبهم لكى يخرجوا •• وعلقت الأخت دعبه الآن يبدو أنها تزوجت وسافرت مع عريسها •• فلم يعاق وكتمت الأم أنفاس الابتهاج وقالت كل شيء نصيب •• على كل حال أنا عمات ما يرضيك • فعليه الغضب وقال : انت السبب فإن وافقت عندما صارحتك برغبتي فى الزواج منها وكنا اتفقنا على أن يتم ذلك فى نهاية رمضان •• على كل حال أتمنى لها السعادة إذ علمت أنها لم تتزوج إلا فى نهاية عيد الفطر أى بعد أن يؤت من تنفيذ ما اتفقنا عليه •

يبقى غير
• وتمنى
(ن) رغم
التي جاء
أحضر
إلى هذه
وتى ••
زوجتك
عندما
اتزوج
ب أيضا
تلى فى
والحمد
الرجل
ذ كانت
خاصة
هما من
وصلا
(حسن)
للتهنئة
انه ابن
نيتها
•• مرة
سطاربه
إذ كان

الفصل الثانى عشر

حان ميعاد ولادة (نسمة) أخت (محسن) فى وقت كان (محسن) فى القاهرة لحضور جلسات مجلس الشعب وزوجها على سفر يتطلب المهام التى تتعلق بشئون دائرة (محسن) فى القاهرة أكثر من اسبوع فلجأت إلى (هبه) تسألها عن مولدة فى هذه المنطقة فقالت (هبه) لا أعرف غير دار رعاية الطفل إذ سبق أن جئت إليها فى مناسبة مازالت عالقة بذهنى فقالت (نسمة) إلى هذا الحد هى هامة حتى تظل عالقة بذهنك فقالت (هبه) أجل كنت فى العاشرة من عمرى ولكن بى وعى ابنة العشرين كما يقولون • وذات يوم طرقت بابنا فتاة حلوة حسب تقديرى لسنها الآن لم تبلغ السادسة عشر أرسلتها إلينا سيدة جاءت إلى هذه المنطقة بمرافقة زوجها وابنتها زميلة هذه الفتاة لانتدابه لدراسة استصلاح هذه الصحراء للزراعة وكانت والدتى تبيع اللبن الزائد عن حاجتنا لمعاونة والدى فى تكاليف المعيشة وعرفت هذه السيدة أن والدتى تبيع اللبن فاستدعتها واتفقت معها على أن تشتري منها ما يعوزها • واطمأنت هذه السيدة إلى أمى لحسن تعاملها معها مع الصدق والأمانة • • ونبهت هذه الذكرى • • ذكرى تناسستها مع حاضرها السعيد وظهرت فى التو كما يظهر الزبد على سطح الماء الراكد وبلهجة اللاهفة لمعرفة سبب مجيء هذه الفتاة إلى أمها • • قالت : يبدو أن هذه الذكرى لها أثر عميق فى نفسك • • فقالت (هبه) : بعد أن حيث الفتاة أمى قالت أنها موفدة من قبل السيدة فلانة • • ولتقدير أمى لهذه السيدة تقديرا يعتبر بلغة المؤمنين حبا • • رحبت بها وبصوت خفيض مرتجف تصحبه دموع لم تستطع الفتاة أن تمنعها من الظهور • أسرت إلى أمى حديثا فى شبه همس خشية أن يسمعها أحد فى الدار غير أمى • • وهنا قالت أمى : أعدى الشاى للصبية ولا تحضره إلا إذا

دعوتك .. وفهمت من نظرتها ألا أسمع ما تقوله الفتاة • وبعد أن انتهت الفتاة من حديثها استدعيتنى أمى لتقديم الشاي ثم قالت : اسمعى يا هبه هذه الصبية ستمكث ضيفة عندنا اليوم لأن فلانة ستسافر إلى اسوان لتمضية يوم لرؤية السد وهذه الصبية مريضة ولا يمكنها احتمال حرارة الجو هناك هذا اليوم فارسلتها السيدة الكريمة فلانة ... لكى تمكث عندنا اليرم فحذار أن يراها أحد هنا • • سوف تستريح فى غرفة نومك ولم تمض مدة وجيزة حتى سمعت صوت مولود ثم انصرفت الصبية بدونه وتنهدت (هبه) فى أسف مخممة • • ترى ما مصير هذه الضحية الآن لا شك أنها تعاني من المحن ما لم يخطر على بال الجانى • • واستمرت فى سرد القصة وما فعلته هى وأمها لتخفى خطيئة هذه الفتاة البريئة وأنهت حديثها بأنها سلمته إلى رعاية الطفل • • ثم قالت : ومادمت على وشك الولادة فسوف أرافقك لكى أقدمك إلى رئيسة رعاية الطفل وندعوها لكى تقوم بعملية الولادة لقاء الأجر الذى تريده • • وأرى أن هذه فرصة لكى أسأل عن مصير هذا المولود ووافقت (نسمة) على اقتراح (هبه) • • وذهبت معها إلى رعاية الطفل وبعد الاتفاق مع الرئيسة لكى تقوم بتوليد (نسمة) سألت (هبه) عن مولود أحضرته هى منذ عشرين عاما وسردت على الرئيسة سبب مجيئه • • إذ كانت هذه الرئيسة غير الرئيسة التى تسلمته وقتذاك واعتذرت الرئيسة لمرور مدة طويلة • • فلم تياس (هبه) وقدمت نفسها بصفتها حرم صاحب المشروع الذى أقام فيه مصنعا لتعليم من يعوزهم تعلم حرفة تقيهم شر العوز والانحراف • • وسوف يكون لها الفضل لو بحثت فى سجل رعاية الطفل لتعرف مصير هذا الطفل فقد يكون فى حاجة إلى مساعدته الآن • • وتأثرت الرئيسة فوعدها أن تكلف المختص بالبحث عن مصيره وسوف تتصل بها تليفونيا إذا عرفت ذلك قبل زيارة السيدة (نسمة) لمعرفة موعد

ولادتها .. وعرفت (نسمة) عندما زارتها الرئيسة أن الطفل حولته
رعاية الاطفال بعد أن بلغ سن تحويله إلى مؤسسة الأيتام وذكرت
تاريخ التحويل .. واستعانت (نسمة) بهبه لكي تعرف مصيره بعد
تحويله إلى هذه المؤسسة وبعد أن اتصلت (هبه) بالمؤسسة قيل لها أنه
ترك المؤسسة بعد أن بلغ السن التي تساعد على احترام المهنة دون
معاونة أحد وقد افتتح محلا للسباكة بمبلغ منحه إياه وزارة الشؤون
الاجتماعية وتوقف تفكير (هبه) عند هذا الحد إذ اطمأنت عليه ..
إلا أن (نسمة) تنبه إحساسا لم تعرف كنهه وظنت أنه مشاعر الأم
نحو مولودها الجديد .. لكن ما بالها مشوقة لرؤية هذا السباك وفكرت
كيف تراه فلم تجد وسيلة غير الاتصال بالمؤسسة لتعرف عنوانه لكي
تستدعيه لاصلاح التالف فى دورة المياه . وعلى أثر معرفة عنوانه
أرسلت إليه لاستدعائه بعد أن قامت باتلاف ما يمكن اصلاحه فى دورة
المياه .. ولما حضر .. ذهلت لأنه يشبه (محسن بك) وهو فى سن
العشرين .. وناولته الأجر بسخاء وطلبت منه أن يمر كل أسبوع بدل
استدعائه لكي تطمئن على سلامة محتويات الدورة .. ثم استشعرت
برغبة تدفعها لرؤيته كل يوم بدل الاسبوع .. وانتهزت سفر زوجها
أثناء ذلك إلى القاهرة .. فأتلقت ماسورة تحتاج لأكثر من يومين
لاستبدالها بماسورة جديدة فعرضت عليه أن يبيت فى المنزل بدل
تحمل مشقة السفر إلى اسوان ذهابا وإيابا .. ولاحظت الخادم اهتمام
سيدتها بهذا العامل دون سواه من العمال الذين قاموا باصلاح التالف
فى الدورة من قبل مع تقديم أحسن غذاء له .. والجلوس على قربة
منه أثناء قيامه بالعمل ومبالغتها فى عطفها عليه ومسايرته كأن أمره
يعنيها ولما عرفت من سياق حديثه معها أن أجره يكفى لقوت يومه بعد
أن يدفع أجر المحل وشراء ما يعوزه من أدوات السباكة فناولته مبلغا
من المال لكيلا يحرم نفسه مما تشتهي نفسه من الأطعمة ويصعب عليه

تناولها لارتفاع ثمنها وكان من الطبيعي أن تشك الخادم فيها وتتهمها بخيانة زوجها وساعدها على سوء ظنها وجود سبائك خاص بالدائرة فلم تؤثر هذا السبائك ولا تستدعى الآخر ، وبدأت الغيرة تسيطر على نفس الخادم لأنها حاولت أن تتقرب إليه وتغريه لكي يبادلها الحب الذي تظهره له ولكنه كان ينفّر منها ويتجنبها لذلك خيل إليها أن سبب اعراضه عنها تعلق سيدتها به فلولاها لبادلها الحب ودفعتها الغيرة الحمقاء إلى أن تخبر سيدها بعد عودته من السفر وساعدها على تليفك الوشاية أن سيدتها لزمّت فراشها في هذا اليوم لانحراف فاجأها ولكي يتأكد سيدها من صحة ما قالت أسرعّت وأفتت نظر السبائك قبل أن يغادر المنزل .. إلى أن السيدة تدعوه قبل انصرافه لأنها طريحة الفراش فأسرع إليها السبائك يدعو الله أن يشفيها فاعتذرت له لعدم رؤياه اليوم وكانت أعدت له مبلغا من المال فأردفت : تعال خذ وعندما مدت يدها لتناوله النقود .. مال على يدها ليقبلها وهنا دخل الزوج .. فصفعه على وجهه قائلا : أتبلغ بك السفالة إلى فقاطعته : انا التي دعوته ليأخذ أجره فلم يتمالك الزوج نفسه وركله بقدمه ورماه خارج الغرفة .. أياك أن .. فقاطعته : لا تسيء الظن به أنه شاب مهذب لم يحدث منه ما يتنافى مع الخلق والدين . قالت ذلك بصوت متقطع الأنفاس كأنها تخاطب نفسها في حين لحقت الخادم بالسبائك وهو يخرج مسرعا انت كنت فاكّر أن جوزها مش حاضر النهاردة .. أحمد ربنا اللي ما قتلكش ..

ولكى يستفيق الزوج من أثر هذه الصدمة التي لم يكن يتوقعها من زوجته التي منحها حبه وحنانه وثقته وخيل إليه أن حديث الخادم لا شك فيه وفكر فيما يجب أن يفعله إزاء هذه الزوجة الخائنة وخيل إليه أن الطلاق جائز في هذا الموقف ورأى أن يقابل (محسن بك) ويخبره بما حدث لكيلا يتهمه بالعقوق ونكران الجميل إذا طلقها ولكي

يسترد هدوء نفسه لكي يقابل (محسن) بوجه عابس ولهجة لا تليق بمخاطبة (محسن) اعتكف في غرفته ريثما ينتهي لهذا الموقف الذي لم يخطر بباله أن يقفه في يوم ما .. وفي هذا الوقت أدركت (نسمة) ما دار بخلد الزوج واتهامها بخيانتته وغاب عليها كيف لم تذكر ذهابها إلى أم (هبه) عندما عقد قرانها في بيتها وكيف غاب عليها هذا البيت الذي طرقت بابه لتخفي نتيجة خطيئتها بتوجيه السيدة الطيبة الكريمة والدة زميلتها في هذا الوقت وأدركت أن مظاهر العرس ومراسيم عقد القران وضعا على عينيها غشاوة حجبت عنها ذكريات ماضيها كله .. فما عساها تفعل لتبرئ نفسها من هذه التهمة الشنيعة ؟ هل تصارح الزوج بأن السباك ابنها .. وهو ابن (محسن) الذي اعتدى عليها لحظة جنون غير مشروعة دون وعي منها . وتصورت مبلغ اساءتها لمحسن الذي أحسن إليها وكفر عن خطيئته بما أسداه إليها من خير مع تأمين حياتها ومستقبلها ضد أي حدث يحتمل وقوعه .. وهل يقدر الزوج خضوع (محسن) لتأثير الشيطان وهو في سن قل من ينجو فيها من سيطرة الشيطان . وهو ينظر إليه منذ التحق بخدمته وهو ينظر إليه كمثل أعلى في كل شيء فكيف انتزع من قلبه النور الذي ربط بينه وبين (محسن) .. وفكرت في حل هذه المشكلة دون أن تسيء إلى محسن .. وتوقف تفكيرها عند هذا الحد إذ استشعرت بأعراض الوضع .. في هذا الوقت كان زوجها ينتظر الإذن له لمقابلة (محسن) بعد أن استرد هدوء نفسه فلما استقبله (محسن) بادره بقوله قبل أن يتكلم الزوج : يا أخي موقف زوجتك أهم الآن من عرض نتيجة مهام سفرك .. لقد اتصلت رعاية الطفل بزوجتي تدعوها بناء على رغبة زوجتك لأنها الآن تحت رعاية الرئيسة التي ستقوم بتوليدها فاذهب إليها حالا إذ لا شك أنها في حاجة اليك .. وألجم الخبر لسانه فلم يتكلم وخرج مسرعا إذ طاف بخاطره معاناة أخته عندما وضعت

أول مولود لها .. وكان زوجها غائبا وحضر هو بالنيابة عنه هذه الساعة المشحونة بالألم والخوف بل معاناة كل من يهيم أمرها ممن يحضر هذه الساعة الرهيبة التي تجمع بين الأمل واليأس وبين الحياة والموت .. واكتسحت هذه الأحاسيس والأفكار ما كان يغمر نفسه من خيانة زوجته وتحت تأثير إحساس استجد مع ميلاد المولود أسرع ليرى المولود على أثر سماع صوته وكأنه يناديه فاخطفه من يد الرئيسة قبل أن تضعه بجانب أمه وراح يقبله في لهفة وحنان وحمد الله الذي منحه الذرية بعد أن بلغ الخمسين من عمره وكان في شبه شك في الانجاب لتقدم سنه رغم تأكيد زوجته بأن السن لا علاقة له مطلقا بالانجاب أو عدمه .. المهم صحة الزوجين واستعدادهما للانجاب . وصح عزمه على أن يؤجل مخاطبة (محسن) بشأن ما حدث من أخته ريثما يتم نفاس الأم خشية أصابتها بحمى تقضى على حياة الرضيع لتناول له لبن الأم . وانتهزت (نسمة) تردد (هبه) عليها للاطمئنان على صحتها وصحة الرضيع وقالت لها : اتذكرين الفتاة التي لجأت إلى أمك لتستر عرضها وتخفي مولودها .. فقالت (هبه) : اعتقد لو رأيته اليوم لا أعرفها إذ لم تسمح لى أمى برؤياها عن قرب .. فقالت (نسمة) ان اهتمامك بمعرفة أخبار السباك من حين إلى حين قد تثير الشك في نفس زوجك ولو علم بذلك . فقالت (هبه) : بالكعس إنه يشجعنى على الاهتمام به بعد أن أخبرته برأى اخصائى المؤسسة بشأنه .. بانه أثبت ذكاه الخارق أثناء وجوده فى المؤسسة ولو وجد من يساعده على اتمام دراسته التى توقفت عند الابتدائية عند خروجه من المؤسسة لنجح بتفوق فى جميع مراحل التعليم وقد يكون له شأن عظيم فى الدولة لو اتيح له ذلك .. فتنهدت (نسمة) وقد غمرتها الدموع وهى تقول : مسكين .. لقد تأثرت أنا الأخرى بحديث الاخصائى فى المؤسسة وصح عزمى لكى يصون الله ولدى

من كل سوء أن أقدم له العون المادى لكى يستأنف دراسته بعد أن استدعيته لاصلاح التالف فى دورة المياه وأدركت من حديثه ما يعانى به بسبب استحالة اتمام دراسته رغم شدة رغبته لضيق ذات يده • فلما علم زوجى بذلك عن طريق خادم ليست على خلق اتهمنى بخيانتته مع هذا السباك ونحن الآن فى شبه انفصال يعيش كل منا بعيدا عن الآخر ولولا وجود جهاز كنت وضعتته فى الردهة لتسجيل أغنية لى وقد نسيت أن اغلقه فلما عدت لاستماع الاغنية سمعت حديث الشغالة الذى صورنى خائنة لزوجى وانزعجت (هبه) وبصوت ينم عن مبلغ تقديرها لخطورة موقف (نسمة) وهى بريئة قالت : هونى عليك لكيلا تقضى على الرضيع بتلوث اللبن بدم الحزن والألم واللّه كفىل بان بيرئك • • واستأنفت (نسمة) حديثها بقولها : ها هو المسكين بعد أن طرده زوجى يعيش قطعاً كمتهم وهو برىء وليس فى وسعه الدفاع عن نفسه كما أنه يعانى ما يفوق طاقة شباب فى مثل سنه من الاحتمال حىال ما يتمناه ويصعب عليه تحقيقه • • وبودى لو أرسل له معونة مالية تخفف عنه عبء حياة العوز والحرمان لكن كيف • • وقد أثبتت الشغالة خيانتها ولا يمكن أن اعتمد عليها فقالت (هبه) : دعينى اتصرف بما يرضى الله ويرضىك ويرضىه وبعد أن عادت إلى بيتها واستعادت حديث (نسمة) ازدادت حبا فيها وتقديرا لمروعتها وعطفها الأكيد على من يعوزه العطف والمعونة والحنان ولكى تضم عطفها إلى عطف نسمة كلفت الخادم التى تثق فيه أن يذهب إلى السباك ويقدم له المبلغ الذى أرسلته بدعوى أنه خرج دون أن يأخذ أجره وفى طريق الخادم اليه قابلته الشغالة الخائنة التى لم تزل تعمل عند (نسمة) إذ لم تشأ أن تطردها لكيلا يفسر زوجها حرص زوجته على أن تستمر علاقتها مع السباك دون علم الشغالة • • وكان الخادم لم يذهب من قبل إلى السباك فاتجه صوب بقال اعتقد أن السباك

يشتري منه ما يحتاجه • وكان لابد للشغالة أن تسير في هذا الطريق لكي تنقضي حاجتها فلما رأت خادماً (هبه) يقف أمام البقال اندهشت لأن البقال الذي تعودت الشراء منه على مقربة من القصر فتقدمت منه وسألته : هل قبض على البقال المجاور لكم لرفع التسعيرة ؟ فقال : لا وإنما أريد أن أعرف محل السباك محمود • • لأن سيدتي أعطتني مبلغاً من المال أقدمه إليه لأنه انصرف دون أن يأخذه فقالت : استرح في هذه المقهى وأنا أعرفه جيداً وفعلاً انصرف قبل أن يأخذ أجره • • ولم يذكر الخادم اسم (هبه) التي أرسلته إذ لم يتعود ذكر اسمها • • وظنت الشغالة بعد أن أخذت المبلغ منه أن سيدتها هي التي كلفتها بذلك عندما جاء مع سيدته (هبه) لزيارتها في الصباح • • وبعد أن قامت بقضاء حاجتها عادت إليه وأخبرته بأنها سلمت المبلغ وهو يشكر الهانم • • وأسرعت إلى سيدها زوج (نسمة) وناولته المبلغ لتثبت له أن سيدتها مازالت على علاقة بالسباك • • وفقد الزوج أعصابه فأسرع إلى زوجته يصفها بأنها فاجرة تلبس مسوح النقوى والصلاح وما هي إلا امرأة لا تنتمي إلى الفضيلة والدين بصلة وبعد اهانتها لم يهدأ إلا بعد أن رمى عليها يمين الطلاق ورمى النقود في وجهها قائلاً : لن يغفر الله لك لأنك تسرفي مالي وتهيبه لسارق عرضي وشرفي • • ووجدت (نسمة) أن لا مكان لها بعد طلاقها في هذا البيت فحملت ملابسها وملابس رضيعها ولم تجد أمامها غير (هبه) لتقص عليها ما حدث وكانت لم تعلم بعد بارسال (هبه) النقود إلى السباك وخيل اليها أن السباك أرسل اليها هذا المبلغ الذي سبق أن أعطته إياه اثناء القيام باصلاح التالف في دورة المياه • • وأخبرتها (هبه) بأنها هي التي أرسلت النقود مع الخادم معونة منها فهل تراه رد هذه النقود ليقطع الصلة التي بينهما وليمنع عنها الاتهام وهي بريئة • • واستدعت الخادم لتعرف كيف وصلت النقود إلى زوج

(نسمة) مع أن الخادم لم يسبق له محادثة الزوج .. فقال الخادم :
عندما كان يسأل عن محل السباك لقيته شغالة سيدتى (نسمة) فأخذت
النقود وأعطتها للسباك لأنها تعرف محله .. هنا أدركت (نسمة)
حقيقة ما حدث ووجدت بعد طلاقها لا بد من مصارحة (هبه) بأن
السباك هو ابنها الذى ولدته عند أمها وهى على استعداد بعد أن
طلقها زوجها أن تذهب إليه وتخبره أن أمه توفيت بعد ولادته وكانت
أوصتها أثناء احتضارها أن ترعاه ولكنها لم تتمكن من تنفيذ هذه
الوصية خشية أن يتهمها زوجها بأن الرضيع نتيجة خيانتها مع رجل
آخر فسلمته إلى قريبة لها ولكن القريبة لم تستطع رعايته لفقرها
فسلمته إلى رعاية الطفل ومنذ شهور اتصلت بى فى الهاتف امرأة
قالت : أنا الآن على فراش الموت وقبل أن يخرج نفسى الأخير أوصيك
تنفيذ وصيتى منذ أعوام طوال • سلمتنى قريبة لى طفلا رضيعا لكى
أقوم بتربيته حتى يبلغ رشده ويعتمد على نفسه ولكن ضيق يدى حال
دون ذلك فسلمته لرعاية الطفل فى عام ١٩٦٥ تقريبا واسمه محمود
عبد الدايم وقد علمت أنك سيدة غنية يمكنك معرفة مصيره ومعاونته
إذا كان فى حاجة إلى المعاونة • وتنفيذا لوصيتيها استطعت أن أعرف
مصيره فلما وفقنى الله استدعيت بحجة السباكة ولما لمست أنه فى
حاجة إلى المعاونة قمت بما قمت به نحوه من أجل الله ومرضاة لروح
صاحبة الوصية .. ولكن زوجى صدق وشاية الشغالة بأننى على
علاقة معه غير شريفة ولذلك طلقنى .. والآن لا يمكننى أن امكث فى
هذه المنطقة خشية أن تشيع الشغالة أن سبب طلاقى خيانة زوجى ولذلك
اعتزمت أن آخذ ولدى ونرحل من هنا وأرض الله واسعة وهو كفيل أن
يرعانا لبراءتى وبيئته .. وتركتها (هبه) تنفس عن أساها بهذا الحديث
لكى تصغى اليها بعقل واعى فقالت : وهبى أنك نفذت ذلك .. فهل
فى مقدورك رعاية رضيعك بعيدا عن والده وماذا تقولين له إذا عرف

أن للأولاد آباء أو رأى لكل ولد الأب الذى يحنو عليه ويرعاه !! ..
وإذا فرض واقتنع بأن والده - مات - ثم اتضح بعد أن يلجأ والده
إلى الشرطة والمباحث للبحث عنك ونشر صورتك فى الصحف معرفة
مكانك مع السباك وأن الوالد لم يمت .. ماذا يكون موقفك ساعتئذ ..
لا .. لا يا نسمة .. ان الله لا يتخلى عن الأبرياء والتوايين الأطهار
فما بالك وأنت بريئة طاهرة محسنة ! اتركى الأمر لله وسوف يلهمنى
إيجاد حل لاثبات براءتك .. وهيات لها غرفة فى القصر لتختفى فيها
مع رضيعها دون أن يعلم (محسن) بذلك .. واستدعت السباك
بدعوى الاتفاق معه لترتيب لوازم دورة المياه فى المسجد الذى كاد
ينتهى بناءه .. وقالت له : أنها سمعت عنه من السيدة زوجة المدير
لثئون زوجها .. انه شاب مهذب يجيد عمله قبل أن تطلق بسببه
لاعتقاد زوجها انه يوجد علاقة بينها وبينه وهنا لم يمالك السباك
أعصابه فقال : معاذ الله يا سيدتى .. أنها سيدة أشرف من الشرف
ومن أجلها كدت أقتل الشغالة التى تعمل عندها عندما جائتني صباح
أمس وأخبرتني بأن زوجها طلقها لاعتقاده بأن بينها وبينى علاقة
غير شريفة وصارحتني بأنها تحبنى وكانت تغار من السيدة وعرضت
على مبلغا كبيرا من المال وبعض المجوهرات لكى أتزوجها وفهمت أنها
السبب فى طلاق السيدة المحسنة فضربت بالآلة التى فى يدي فسقطت
على الأرض والدماء تنزف من الجرح وهى تصرخ فدخل جارى ولم
يكذبها حتى أسرع وأبلغ الشرطة وبعد القبض على .. اضطرت
أن أقرر سبب ضربها وعرضت النقود والمجوهرات إذ لم تتمكن الشغالة
من أخذها وهى بالقرب منى أثناء نقلها إلى الاسعاف وقد افرجت
النيابة عنى تحت الطلب .. ريثما تجرى التحقيق مع الشغالة واثبات
مصدر النقود والمجوهرات ..

وكانت (هبه) وضعت جهاز تسجيل أثناء معاينة دورة مياه المسجد لتثبت حقيقة براءة نسمة لاعتقادها بصحة هذه البراءة .. وبعد انصرافه .. طمأنت (نسمة) التي حمدت الله لأنها نسيت أن تأخذ ما لديها من نقود ومجوهرات فقالت (هبه) هذه مشيئة الله انساك إياها لاثبات براءتك .. فى هذا الوقت شعر المدير بحنين شديد إلى ولده وراح يفكر فى مصيره مع أمه التى يحتمل أن تسافر إلى بلد بعيد بعد وفاة أمها إذ لم يكن لديها سواها ولا يمكنها الاتصال بأخيها بعد معرفته ما حدث وصح عزمه الاتصال بالمباحث للبحث عنها من أجل ولده وقبل أن ينفذ ذلك وهو فى طريقه إلى الشرطة لتقديم هذا البلاغ مع صورتها اصطدمت سيارته بشجرة كبيرة وأصيب بجراح عديدة اضطرت به إلى البقاء فى المستشفى تحت العلاج ولكى تستكمل (هبه) مهمتها من أجل براءة (نسمة) اضطرت أن تقول (لمحسن) بأن أخته تعاني الآن آلام اتهامها بخيانة زوجها مع أنها بريئة ودليلى على ذلك .. سردت عليه استدعاء السباك بدعوى الاتفاق لعمل سباكة دورة مياه المسجد وسجلت الحديث الذى أدلى به واسمعه اياه .. ولم تخبره بأن السباك ابن أخته لكيلا تثير غضبه وسخطه على أخته وعملا بقول الله تعالى ورسوله ﷺ عدم افشاء سر يسئ إلى صاحبه واستشعر (محسن) برغبة ملحة لرؤية هذا السباك بطل هذه المأساة واستدعاه ليقول له أنه موافق على أن يقوم بأعمال سباكة دورة مياه المسجد وعاد الرسول بعد أن ذهب إليه وقال (لمحسن) : أنه شاب على خلق لقد كان يصلى عندما جئته وأثناء انتظارى ريثما ينتهى من صلاته رأيت على المنضدة بجانب أدوات عمله مصحفا فلما انتهى من الصلاة قلت له : حرما بارك الله فيك يا ولدى قل من يوجد فى شباب أعمال اليوم من يؤدى الصلاة ويقرأ القرآن وأشهد أن صراحتة أعجبتنى حينما قال : صحيح أنا خريج مؤسسة الأيتام ولكننى تأثرت بما كان

يلقيه علينا واعظ المؤسسة كل يوم وما اسمعه الآن فى اذاعة القرآن الكريم واعتمادى على نفسى لكى اتزود من تعاليم الاسلام وكل ما يتعلق به رسم لى الطريق الذى أسلكه من أجل الله وختم الرسول حديثه بقوله : سيحضر بعد ساعة لأن فى يده عملا وعد صاحبه أن يسلمه الآن ولا بد أن يفى بوعده والا خالف تعاليم دينه .. وانتظر (محسن) مجيء السباك فى لهفة لم يعهدها فى نفسه خيال مقابلة أى عامل .. فلما جاء قابله كأنه لا يعرف أى شىء عنه وبدأ حديثه حول عمل السباكة الذى استدعاه من أجله .. ثم سأله : من أى بلد أنت ؟ وأين تعلمت هذه السباكة التى يبدو من حديثك عنها أنك ماهر فيها كأنك خريج المعهد الصناعى أم ورثتها من أبيك ؟ فقال السباك بلهجة حزينة : لا هذا ، ولا ذاك .. إنما تعلمتها من مؤسسة الأيتام وكانت (هبة) لم تذكر له أى شىء يتعلق بماضى الطفل .. فقال (محسن) وما علاقتك بمؤسسة الأيتام التى لا يدخلها غير اليتامى .. فقال السباك : وأنا منهم لقد قضيت طوال مدة إقامتى فيها .. لم ينزنى أى أحد فى حين غيرى من الأطفال يتردد عليهم آبائهم أو أمهاتهم اللاتى لجأن إلى ايداع ابنائهن لاستحالة قيامهن بواجب الأمومة لاضطرار الأم إلى أن تتزوج برجل غير أبيه ليعولها ويرفض إقامة ابنها معها أو اضطرار الأب إلى ايداع ابنه أو ابنته لضيق يده وعدم قبول زوجته بقبول ابنته أو ابنه معها فقاطعه (محسن) وكيف عرفت ذلك ؟ قال : بعد أن كبرت وسمعت ما كان يدور من أحداث بين المشرفين علينا وأننى الوحيد الذى لا أب ولا أم له كأننى يتيم الأبوين كما هو مدون فى المؤسسة كان يتحدث بنبرة الحزن العميق مجففا دموعه التى إنهالت من فرط الأحاسيس التى يصعب عليه التعبير عنها .. فى حين كان يصغى إليه (محسن) وهو مشدود إليه بمشاعره وتصور لو أنه تزوج فى سن العشرين لكان له الابن الذى

مياه
...
يت أن
ة الله
شديد
فر إلى
الاتصال
ث عنها
لتقديم
بجراح
تستكمل
حسن)
ودليلى
سباكة
ياه ..
أخته
صاحبه
الأساة
رة مياه
ه شاب
هى من
هى من
شباب
عجبتنى
ما كان

يمثل هذا الشاب المتوقد ذكاء يعبر عنه التمتع عينيه وتوسم فيه الاستعداد الطبيعي لى يكون من نوابغ وعباقره هذا الجيل ومر بخاطره ذكرى الفتاة التى اعتدى عليها وحاولت الاتصال به عن طريق صديقه بعد أن أدركت نتيجة خطيئته •• ووقف خياله عند (نسمة) عندما قابلته فى الملهى وسردت عليه ما حدث لها منذ اعتدى عليها شاب تدعو الله ألا يغفر له بذنبها •• وسأل نفسه أترى هى هذه المرأة ؟ وسرح خياله تحت تأثير إحساسه بأنها هى ولكنه تجاهلها وفكر فى ضرورة التكفير عن خطيئته بمساعدتها ليغفر الله له ولم يشأ أن يشعرها بأنها الفتاة التى اعتدى عليها وحاول أن يثبت لها أنه أخذ على عاتقه التكفير عن أساء إليها من أجل الله وزوجها بمدير أعماله ليضمن لها الحياة الكريمة والرفاهية الدائمة وتوقف تفكيره عند نهاية حديث السباك ورأى وقت الغذاء حان فاستدعى الخادم وكلفه باحضار الغذاء إليه ••••• ووجد اسم مهنة السباكة لا تنطبق عليه وعلى وسامته فسأله ما اسمك •• فذكر له اسمه المدون فى المؤسسة ولم يزل يتعامل به فلم يشأ (محسن) أن يذكره بالمؤسسة إذ كلما ذكرها طفرت الدموع من عينيه فقال للخادم : خذ ولدى إلى غرفة المائدة ليتناول الطعام كأنه فرد من أسرتنا •• وأسرع الخادم ليخبر (هبه) بأن البك أمر أن يتناول السباك الطعام فى غرفة المائدة •• فقالت ولم لا ؟ أنه كأى ضيف أليست السباكة حرفة شريفة تحول بينه وبين الانحراف كما يحدث لبعض الشبان •• ولما خلت إلى (محسن) أرادت أن تعرف رأيهِ عن السباك فقال لها بصراحة •• لقد شدنى إلى ماضى شبابى الذى ضاع تحت تأثير الشيطان وتمنيت لو أننى كنت فقيرا مثل هذا الشاب لأعيش كما هو الآن عيشة الزاهد المتصوف •• لعن الله الثراء بدون دين وتعليم فقاطعته : لو علمونى لكنت أعلم عالم •• ولكن بيتى كعبة الزوار • فابتسم وقال : أمازلت تذكرين ؟ كل ما يتصل

بك عالق بذهنى كأنه حدث الساعة ثم قال : ما رأيك .. بى رغبة
أن أعوض هذا الشاب ما افتقده من حنان الأبوين فقاطعته : جزاك
الله خيرا . قال : ان ذكاءه يؤهله للتعليم وفق المناهج الدراسية فيمكنه
أن ينال الاعدادية والثانوية من المنزل وسوف أكلف سكرتيرى الخاص
لأنه حاصل على بكالوريوس التجارة بالتدريس له وسوف أخلع اسمى
عليه بدعوى أن أسرته كانت ضحية حرب السويس وهو طفل صغير
أخرجته أحد العمال من وراء الأنقاض وسلمه إلى مؤسسة الأيتام
فى هذا الوقت استرد المدير صحته كاملة وشعر بحنين شديد إلى
ولده وقبل أن ينفذ ما اعتزم عليه من قبل بشأن البحث عن مطلقته
أراد ألا يفقد ثقة (محسن) وبالتالي قد يفقد عمله دون أن يعرف
سبب الطلاق فذهب إليه وقبل أن يقابل (محسن) . فوجيء بوجود
شاب يجلس فى الحديقة وفى يديه كتاب كأنه يستذكر درسه .. وخيل
إليه أن نظره لم يتبين حقيقة هذا الشاب الذى بدا له شبيها بالسباك
.. فاستعمل نظارته ليتحقق منه .. ورغم أناقته وملابسه الفاخرة ..
فان ملامحه وشعره مثل السباك تماما .. على أنه ظن أن الشبه
لا يدل قطعا على أنه السباك عله ابن زائر ممن يستضيفهم (محسن)
بعض أيام من أهله القاطنين فى القاهرة .. وبعد أن أذن (محسن)
له بمقابلته لم يترك له فرصة للكلام إذ تعمد أن يفتح التسجيل
ليسمع حديث السباك .. وهنا وقف المدير مبهورا لا يدرى ماذا يقول .
فقال (محسن) : دعنى أوفر عليك الخوض فى حديث اتهامك بأختى ..
فهل سمعت ما يثبت براءتها . فقال المدير : لو أنك مكانى لتصرفت
كما تصرفت أنا .. صدقنى لقد فقدت الوعى والآن ساعدنى أرجوك ..
لكى أعرف أين هى ! .. فأنت أعلم منى بمن يمكن أن تلجأ اليهم .
فابتسم (محسن) وقال : وهل يمكن أن تلجأ لغير أخيها وهى بريئة .

الفصل الثالث عشر

ومرت الأعوام واجتاز (ناير) الاسم الذى خلعه عليه (محسن)
عندما استخرج له شهادة ميلاد كأنه ساقط قيد وعندما أخذ رأى
(هبه) فى تسمية أمه قالت أنا معجبة باسم (نسمة) فليكن اسم
أمه (نسمة) وعندما علمت (نسمة) بذلك إنتهزت فرصة احتفال
(محسن) بمناسبة نجاح (ناير) بتفوق فى الثانوية ورغبته فى
الالتحاق بالهندسة رغم أن والده (محسن) كان يفضل الطب لأن
مجموعه يسمح بذلك .. ولكن (ناير) فاجأ والده بأنه اكتشف وسيلة
لإنارة المنطقة وقد تمتد إلى القاهرة بوسيلة السد وهنا دخلت عليهما
(هبه) ترافقها (نسمة) لتتهنى ولدها بقولها : أظن من حقى اليوم
ان اناديك ولدى باعتراف شهادة ميلادك فهل يسمح ولدى أن أقبله
لأول مرة أمام والده وعمه المدير قبله الأمومة بمناسبة نجاحك والتحاقك
بالجامعة وقبله المدير مهنئاً .. ولم يدر (محسن) ولا المدير المشاعر
التي غمرت قلب (نسمة) والسعادة التي عبرت عنها (هبه) لنجاحها
فى مهمتها من أجل الله بقولها : لقد قرر (محسن) توزيع الصدقات
على فقراء الحى ودفع مصاريف من يلتحق بكلية الهندسة هذا العام
ليوفق الله ولده فى دراسته وحياته المقبلة أن شاء الله .

وعلى ضوء الإيمان المطلق عاشت (نسمة) هانئة راضية تضيف
إلى صلاتها التي فرضها الله .. صلاة الحمد لله رب العالمين وسافر
(محسن) مع زوجته لتأدية فريضة الحج معتمدا على (نسمة)
وزوجها فى إدارة شئونه متجها إلى الله بقلب التائب المؤمن الذى
لا يتمنى فى الحياة غير رضاه والعمل لتوفير أسباب الطمأنينة ومطالب
العيش بالاكتماء الذاتى بما تنتجه المنطقة من الخضر والفاكهة مع تربية

الحيوانات والطيور حيث انشأ مصانع حسب تخطيط المختصين وتحت اشراف ولده (ناير) الذى لم يكتف بدراسة هندسة الكهرباء بل راح يطلع على أحدث أساليب الانتاج فى كل ما يتعلق بحياة المواطنين •

وبعد أن استراح (محسن) مع زوجته قال لها : أظن أننا فى حاجة إلى الاستجمام فما رأيك فى قضاء مدة فى الاسكندرية • قالت : أفضل القاهرة لكى أزور أهل بيت الرسول ﷺ لأننى اكره رؤية النساء العاريات على بلاج الاسكندرية كما رأيتهن فى التليفزيون قال : لتكن مشيئتك • • ولما وصلا القاهرة قال : لنسترح أولاً فى قصرى • • وفوجئت (هبه) عندما دخلت القصر إذ رأت القصر الذى قضت فيه ليلة عند ابنة أخت السائق الذى اعترف (محسن) بأنه ابن عمه فلما دخلت غرفة النوم سألتها عندما رفعت الستار : هذه تشبه صورتى • قال : بل صورتك • قالت وكيف صورتنى • • قال : هى الصورة التى التقطها لك المصور أثناء وجودك فى السد بجوار المهندس (ناير) وكنت أراقبه فاشتريتها منه وكلفت مصورا بارعا بتكبيرها • وهذا دليل جديد على تعلقى بك منذ رأيته • واين ابنة أخيك قال : عادت إلى بيت زوجها إذ كنت كلفتها بالبقاء هنا أثناء وجودك لخدمتك وسمعا آذان الصلاة فقال : هيا نصلى لنحمد الله على توفيقنا فى عمل ما يرضيه وارتباطنا ارتباطاً أبدياً والحمد لله •

مع أمي



كنت لا أطلع ما تكتبه والدتي
لارتباطي بدراستي حتى نهاية الجامعة
ثم رغبت في المضي لاستكمال الدراسة
العالية حتى الدكتوراه إن شاء الله .. رغم
ما كنت أطلع ما ينشر من تقارير على أثر
صدور أي مؤلف لها بأقلام كبار الأدباء
والشعراء وفي مقدمتهم دكتور زكي مبارك
— د أحمد زكي أبو شادي — محمد مندور

— د عبد العزيز الدسوقي جلال سيد ندا

— د هلال ناجي (العراق) والأساتذة محمد دودة وأنور
الجندي وحافظ محمود ومحمود جبر ووديع فلسطين وغيرهم من
مصر والبلاد العربية .. بجانب ما تنشره في مجلة الأهداف التي كانت
تصدرها مع المرحوم والدي سيد ندا .. ولي العذر لأنها لم تهيب لي
فرصة الإطلاع على ما تكتبه قبل نشره أو بعده نشرًا أو شعراء وقد
يكون لها العذر أيضًا لكيلا تحول بيني وبين الاهتمام بدراستي العالية
التي تتطلب وقتي كله مع الجهد الوفير .. على أنني موقن بقدرتها
الفائقة فيما تكتب إذ لاحظت ذلك إذا طلب منها قصة أو قصيدة أو
دراسة لاحدى الصحف العربية أو قامت بأجراء حديث إذاعى مرتجله
مما جعلني أضمر صوتي إلى من شهدوا لها بتفوقها من كبار رجال
الأدب والعلم والدين والاجتماع وقد سجلوا ذلك فيما نشره أو
أذاعوه — على أنني لم أحاول أن أباهي بمواهبها تلك لكيلا أتهم بتأثير
عاطفة البنوة التي تربطني بها ..

ورغم ضيق وقتي .. إطلعت على قصتها تلك (من أجل الله)
عندما كلفتني بكتابتها وهي تمليها على لكي أقدمها للمطبعة .. وإذ بي
ألاحظ أنها تكتب بالهام من الله لكي تلهم الآخرين .. وإذا كان في
مجتمعنا الآن من يدعو إلى ضرورة تفهم معاني الإسلام كما تنزل من
السماء ليعمل وفق نصوصه بوسيلة الدعاة المصالحين والرواد المؤمنين
بوسيلة وسائل الاعلام — فهي تدعو إلى اعتناق تعاليم الله مستشهدة
بالأحداث التي وقعت ومازالت تقع في قصص نشد القارئ كأنه
يتابع بنفسه وقائع ما سجلته فينأى عن الباطل متأثراً بنور الإيمان
الذي يتجلى ساطعاً في طريق من هداهم الله بعد انحراف بوسيلة
الحب كرسالة منبثقة من تعاليم الله سبحانه وتعالى وكما أوصى
الرسول ﷺ باتخاذ وسيلة للتعامل في شتى ميادين الحياة .. إذ
أصبح الحب في هذا العصر لا صلة له مطلقاً بجوهره الأصيل ومعناه
المبرأ من كل سوء حيث قل من يدرك في هذا العصر أن الحب هو
الصلة التي تربط العبد بخالقه ورسوله ﷺ • بل أصبح مع الأسف
الشديد وسيلة من وسائل الاغراء النسوي أو الحصول على مأرب
مادي كوسيلة من وسائل الشيطان لتحقيق غاياته التي تضعه في
قائمة الملحدين والضالين والعياذ بالله •

فهنيئاً لمن ارتفع إلى مصاف الملائكة المقربين بعد أن استضاء
قلبه بنور الإيمان واليقين مجتازاً بقوة إيمانه الحواجز التي يسيطر
عليها الشيطان بوسائل الافك والضلal مؤمناً بضرورة عمل الخير من
أجل الله رب العالمين متمسكاً بالحب الذي يحول بين اقتراف الاثم
والخطيئة زاهداً في متاع الدنيا الزائف قانعاً بما يرزقه الله سبحانه
بما يمنحه للمؤمنين التائبين •

الحب الذى يجمع العالم تحت جناحيه كأنه ملك كريم موفد من
قبل الله العلى العظيم فيخلق بهم نحو السماء التى تحوطهم برعاية
الله العلى القدير .. فإذا هم يعيشون فى أمن وطمأنينة وسلام
بعد ما بذلوه من تضحيات جسام فى الأرواح والأبدان وكل ما كان
شامخا على أرض اتخذها الشيطان مسرحا يمثل عليه ما يحفز العبد
على أن يسير فى ركب كل من ضل الطريق الذى يهديه إلى الصراط
المستقيم ..

والآن بعد أن اطلعت على هذه القصة (من أجل الله) أشهد
بأن مؤلفتها تعتبر بحق — داعية — لاعتناق ما يقرب العبد لربه ويتوب
بعد العبث والاستهتار مؤمنا بأن الله سبحانه غفور رحيم يلهم
التائب بما يدفعه إلى التضحية وكل ما كان يعتز به من متاع الدنيا
فى سبيل الخير والبر وتوفير أسباب الحياة الآمنة لأبناء الوطن أجمعين
وللإنسانية كلها مرضاة لله رب العالمين وكما تدعو الكاتبة إلى أن يجب
العبد الله ويجب من يجب لله ويعمل الخير من أجل الله ..

وفقنا الله جميعا لعمل ما يرضى الله سبحانه وتعالى

جلال سيد ندا

و اما در مورد ...
...
...
...
...
...
...
...
...
...

...
...
...
...
...

مطبعة دار التاليف
٨ شارع يعقوب ت : ٥٤١٨٢٥

...
...
...
...
...

...
...



للمؤلفة :

اجتماعيات —

سعادة المرأة — النسومات — مرشد الفتاة

فصص كبيرة تحليلية

الطائر الحائر — أماني — هندية — الراعية — إحسان —
تآلف الأرواح — إيمان الإيمان — الأميرة — المرأة الرحيمة —
جاسوسة صهيون — الناسك — بين أبوين — عن المجلس الأعلى للفنون
والآداب — دراسات جامعة بقلم كبار الأدباء والشعراء مع دراسة عن
كل كاتب بقلم المؤلفة

أدب الربيع — أدب رمضان — قضية فلسطين •

الشعر

صدي احلامي

كلام الله قصة شعرية

أوبريت فلسطين

في طريق العودة

صدي إيماني

نبضات شاعرة — نشر المجلس الأعلى للفنون والآداب

مواقف شعرية في بعض القصص التي نشرت

تحت الطبع

ديوان — مع الله والى الله

روحان بقراسلان — رواية في رسائل اجتماعية

الهام الايمان — رواية في رسائل انسانية

الثن ٢٠٠ قرش